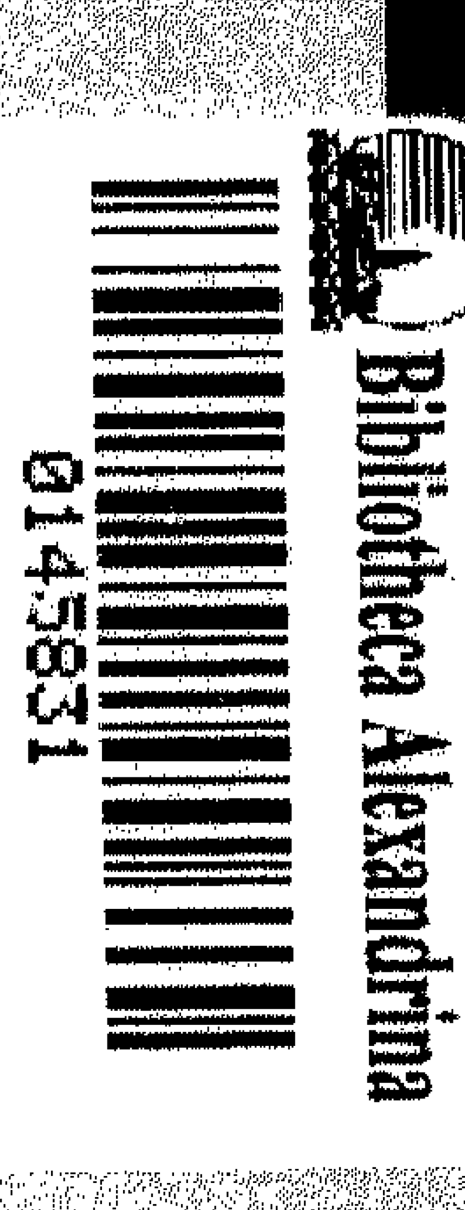
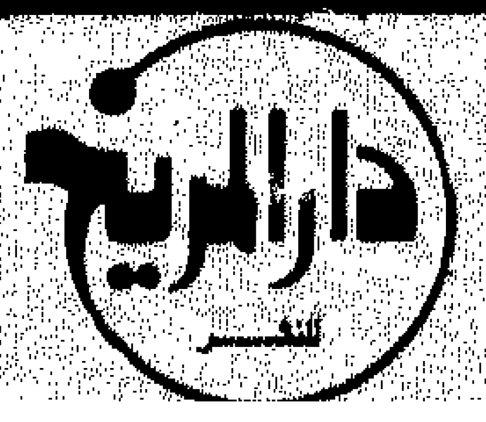
الجذور التاريخية

للقضية الفلسطينية

تأليف

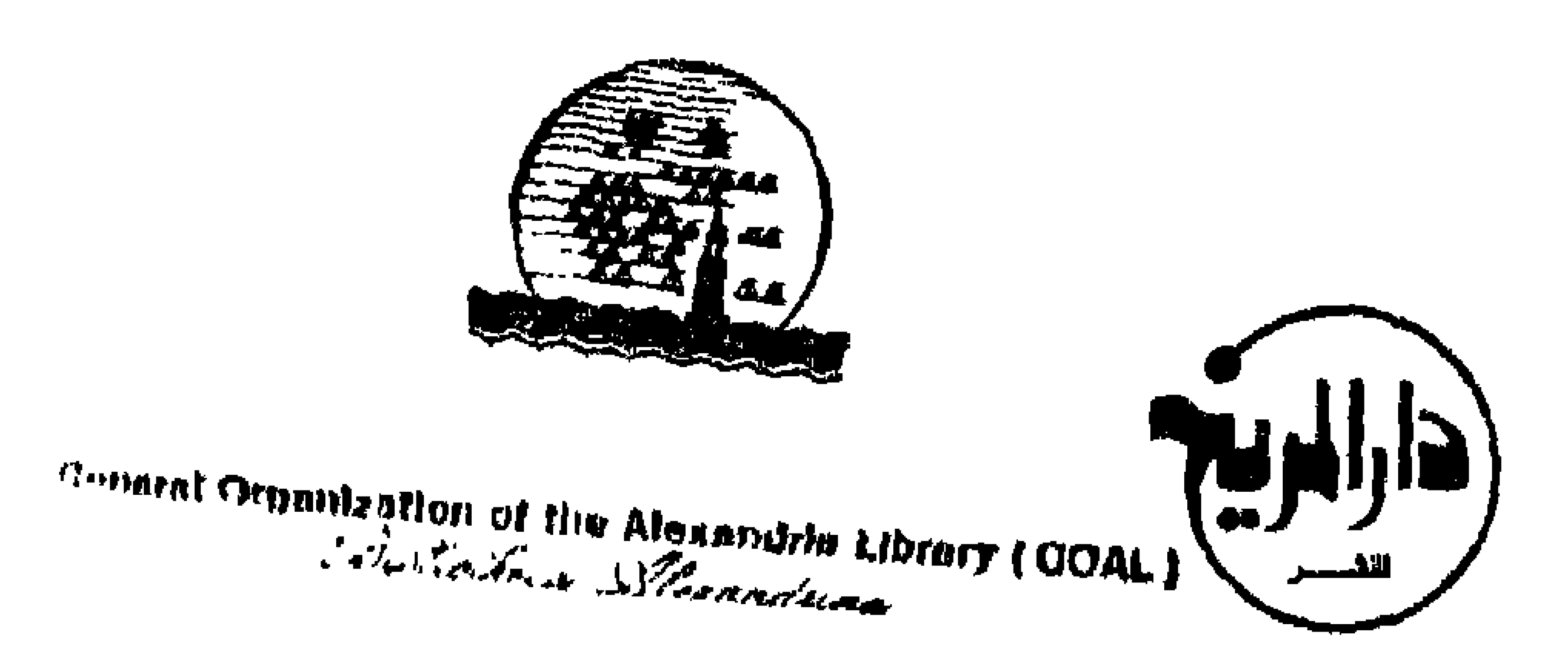
الدكتور اسماعيل أحمد ياغي





الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية

تأليف
الدكتور اسماعيل أحمد ياغي
أستاذ التاريخ الحديث المشارك
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الرياض - ص.ب : ١٠٧٢٠

طبعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م الرياض

دار المريخ للنشر

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه فلسطين تعبر مشارف القرن الخامس عشر وهى حزينة اسيرة تبكى حريتها وعزتها .... وتنتظر من المليار مسلم تحريرها من أيدى الصهاينة شذاذ الآفاق .

أنها تعبر هذا القرن كما عبرت فى الماضى القرن السادس الهجرى حين أسرها الصليبيون وأقاموا فيها إمارة بيت المقدس . وظلت أسيرة حتّى جاء صلاح الدين الأيوبى وحررها وفك أسر القدس من معقلها . وعادت إلى فلسطين وقدسها أولى القبلتين ومسرى الرسول الكريم محمد عليه السلام حريتّها وعزتّها .

* * *

إن فلسطين تنتظر من العرب والمسلمين من يحررها ! ! فمن لها بعد صلاح الدين ؟ ولا يمكن أن يظهر صلاح الدين إلا إذا أصبحت هذه الأمة أهلا لهذه القيادة ومهيئة لها . ولابد من أن تهيأ المسلمون لمعركة طويلة الأمد . . « جهاد مقدس » كى يعيدوا إلى فلسطين حريتّها وكرامتّها وشرفها . ولن تعود القدس وفلسطين إلا إذا عاد المسلمون إلى الإسلام ، بالأسلحة الضرورية المتطورة اللازمة للجهاد المقدس . . « وأعدوا لهم ما استطعتّم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ويمكن اعتبار المأساة الفلسطينية مثلاحيا للواقع الاسلامى الذى يشهد اليوم جميع أنواع التحدى والتهديد ، اذ لولا هذا الواقع المؤلم للعالم الاسلامى لما ضاعت فلسطين ، ولما تجاسر العدو على اغتصابها ، ولذلك فان هيبة الاسلام والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين عربية اسلامية .

* * *

تتناول هذه الدراسة القضية الفلسطينية بجميع جوانبها وأبعادها وذلك من أجل إثبات الحق العربى فى فلسطين والقدس على وجه الخصوص ، ودحض آراء ومفتريات كتاب الصهيونية والإستعمار . وقد تدرجت فى عرض القضيه لإبراز ملامحها وتطوراتها فعرضت أهمية فلسطين الإستراتيجية والجغرافية وعروبة فلسطين فى التاريخ ومكانتها فى الإسلام . كما عالجت المشكله اليهودية فى أوربا ونشأة الحركة الصهيونية وعلاقتها مع الإستعمار . وشرحت الظروف التى أدت إلى إصدار عد بلفور والإحتلال الإنجليزى لفلسطين ثم خضوعها للانتداب البريطانى . وضحت دور بريطانيا والصهيونية فى تهديد فلسطين إبان فترة الإنتداب بحيث مكنت اليهود من الهجره وتملك الأرض حتى استطاعوا فى نهاية فترة الإنتداب إعلان دولتهم .

كما تناولت دراسة الصراع العربى الإسرائيلى وشرحت أبعاده بشكل علمى دقيق . وأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض الملامح الأساسية لقضية الصراع بى والصهيونى .

وإن هذه الدراسة ليست إلا شهادة حق وعدل ضد الباطل والظلم . وآمل ن يهب المسلمون جميعا لتحرير أرض النبوات ، وإعادة الحق الضائع فى فلسطين حتى يتحدد مصير الكرامة الإسلامية والسلام .

والله ولى التوفيق

الرياض ١٠ شعبان ١٤٠١ هـ

المؤلف

الفصل الاول
عروبة فلسطين فى التاريخ

أهمية فلسطين :

فلسطين قلب العالم الإسلامى ، ففيها مدينة القدس وهى أحد مراكز الإسلام الثلاثة الرئيسية ، إذ تأتى فى الأهمية الدينية بعد كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففيها المسجد الأقصى قبلة الإسلام الأولى ومسرى النبى الكريم . وقد كرم الله سبحانه وتعالى القدس وما حولها بقوله « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير »[1] .

وإلى جانب القدس توجد فى فلسطين الكثير من المدن التى تضم العديد من الآثار والمقدسات الإسلامية كمدينة الخليل التى اتخذها أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام محلا لإقامته ، إلى أن إختاره الله إلى جواره ، فدفن فيها هو وزوجته ساره وأبناؤه من بعده ، وعلى هذا المكان أقام المسلمون مسجدا سمى بالحرم الإبراهيمى .

وفى أقصى الجنوب من فلسطين حيث مدينة غزه التى كانت محط قوافل عرب الحجاز فى تجارتهم إلى الشام ، دفن هاشم أحد أجداد النبى محمد صلى الله عليه وسلم[2] .

ومن هنا حظيت فلسطين ولازالت باهتمام المسلمين على مر العصور ، فكانوا يدافعون عنها بالنفس والنفيس لأنهم كانوا يعتقدون أن التفريط فيها تفريط فى دينهم وعقيدتهم . ولاشك فى أن احتلال اليهود لفلسطين وتهويدهم لها أمر بالغ الخطورة لأنه يهدد العالم الإسلامى بأسره ، وهى ظاهرة خطيرة لم يسبق لها مثيل فى جميع عصور التاريخ ، اللهم إلا تلك الحملات الصليبية المسعورة التى

(١) سورة الاسراء : الآية ، ١ .

(٢) محمد على الفرا : « تهويد فلسطين » المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول ، « لجنة الجغرافيا السياسية » الرياض ١٣٩٩ ط ، ص١ .

رفعت شعار الصليب مخفية وراءه أطماعها الإستعمارية والعدوانية وشهواتها الإنتقامية من الإسلام والمسلمين .

ويمكن إعتبار المأساة الفلسطينية مثلا حيا للواقع الإسلامى الذى يشهد اليوم جميع أنواع التحدى والتهديد ، إذ لولا هذا الواقع المؤلم للعالم الإسلامى لما ضاعت فلسطين ، ولما تجاسر العدو على اغتصابها ، ولذلك فإن هيبة الإسلام والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين عربية إسلامية .

وإلى جانب الأهمية الدينية لفلسطين ، فإنها ذات موقع إستراتيجى هام ، فهى تقع على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط بين درجتى عرض ٣٠ر٢٩° و ١٠ر٣٣° شمالا ، وبين خطى طول ١٥ر٣٤° و ٤٠ر٣٥° شرقا ، ويحدها لبنان شمالا والجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية شرقا ، وجمهورية مصر العربية جنوبا[١] . ونبلغ مساحة فلسطين حوالى (٠٠٠ر١٥٨ر٢٦) دونما (كم٢) أى (١٠٠ر١٠٠) ميلا مربعا[٢] .

إن موقع فلسطين الآنف الذكر ، جعل منها جسرا يربط بين قارات العالم القديم وممرا عالميا ، ومرتكزا لعدد كبير من الحضارات[٣] ، وهو الطريق الوحيد الذى يربط وادى النيل بوادى دجلة والفرات وبلاد الشام . ولذلك كانت على مر العصور مكانا للاقتتال ، وممرا للجيوش والغزوات التى احتلت مصر أمثال الهكسوس والآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان وغيرهم . ولم يأت الفتح العربى الإسلامى لمصر إلا عن طريق فلسطين أيضا ، كما قام المصريون القدماء باحتلالها لفترات طويلة تأمينا لحدودهم الشرقية خوفا من الغزو الأسيوى المتكرر[٤] .

---

(١) الحكم دروزه : ملف القضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى ، بيروت ١٩٧٣ . ص٥ .

(٢) Cmd; 3686. 1930. Palestine. Report on Imnigration, dand Settlement and Development By sir J.H. Simpson, 1930. pp: 12-13

(٣) محمد أديب العامرى : عروبة فلسطين فى التاريخ ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٨ — ١٩ .

(٤) كامل محمود خله : فلسطين والانتداب البريطانى ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١ .

عروبة فلسطين فى التاريخ :

يدعى اليهود زورا وبهتانا بأنهم أسبق فى الوجود من العرب ، وزعموا أن العرب جاءوا إلى فلسطين مع الفتح الإسلامى ، ولكن الحقائق التاريخية وأقوال توراتهم تدحض إدعاءاتهم . فقد أجمع معظم المؤرخين الثقاة بأن سكان فلسطين القدماء ينحدرون من القبائل الكنعانية التى خرجت من الجزيرة العربية واستقرت فى فلسطين منذ فجر التاريخ حوالى (٤ — ٣) آلاف سنة ق . م . وكانت تسمى أرض كنعان ، وسميت باسمها الحالى منذ القرن الثانى الميلادى نسبة إلى قبيلة فيلستيا التى غزت ساحل فلسطين من جزيرة كريت واستوطنت الساحل وأسست لها مدنا محصنه (غزه ، عسقلان ، اسدود ، عاقد) وقد إندمجت هذه القبيلة مع الكنعانين وتأثرت بعاداتهم وتقاليدهم السامية . وأن صلة هؤلاء العرب بفلسطين لم تنقطع بعد ذلك ، وأن إشارة القرآن الكريم إلى رحلة الشتاء والصيف فى عصر ما قبل الإسلام ، تعتبر دليلا قويا على إستمرار الصله بين الشام ومنها — فلسطين — وبين الجزيرة العربية . وظل العرب يشكلون الكثرة العددية الغالبة فى البلاد ، وتعضد وجودهم بمن جاء إليها من عرب الجزيرة مع الفتح العربى الإسلامى الذى صبغ البلاد بطابعها العربى لغة وثقافة وتاريخا ومصيرا[1] .

أما العبرانيون فقد طرأوا على مسرح الأحداث فى فلسطين فى وقت متأخر جدا على وجود الكنعانيين هناك . فى الوقت الذى يرى فيه العبرانيون أن علاقتهم بفلسطين ترجع إلى إبراهيم[2] ، نجده عليه السلام يؤكد بأنه كان غريبا عن أرض كنعان ، لا يملك فيها شبرا واحدا ، وحينما توفيت زوجته سارة فى قرية « أربع » الكنعانية ، نجده يخاطب أهل القرية قائلا : « إنى غريب ونزيل عندكم ، أعطونى ملك قبر معكم لأدفن ميتى من أمامى »[3] .

(١) محمد أديب العامرى : عروبة فلسطين فى التاريخ ، ص ١٦ ، ٢١ ، ٧٤ .

(٢) هاجر ابراهيم وعشيرته من اور جنوب العراق إلى فلسطين (بلاد كنعان) سنة ١٨٥٠ ق . م حيث استقر فى مدينة الخليل حاليا وبها الحرم الإبراهيمى المشهور ، وهاجر أولاده واحفاده إلى مصر حيث استقروا فيها فتره إلى أن اضطهدهم فرعون فارسل الله نبيه موسى لإنقاذهم وخرج بهم من مصر فى طريقهم إلى بلاد كنعان .

(٣) سفر التكوين ، الإصحاح ٢٣ : ٤ .

غير أن العبرانيين استطاعوا بعد ذلك أن يغزو فلسطين بقيادة يوشع بن نون حوالى ١٢٠٠ ق . م الذى دمر مدينة أريحا وأحرقها وقتل كل سكانها ونهب ما فيها من ذهب وفضة وأموال أخرى ، وكذلك فعل بمدينة « عاى » الكنعانية التى حولتها يد العبرانيين إلى تل أبدى بعد أن قتل يشوع كل سكانها البالغ عددهم حوالى اثنى عشر الفا[1] . وعلى الرغم من تلك الغزوة البربرية ، إلا أن سكان فلسطين قاوموها لفترة طويلة من الزمن . ويقول المؤرخ بريستيد بهذا الصدد : « . . . وحين دخل العبرانيون فلسطين ، وجدوا فيها الكنعانيين ، يقيمون فى مدن زاهرة ، تطوقها الأسوار الضخمة ، فلم يستطيعوا أن يفتحوا منها إلا المدن الضعيفة . . حتى أورشليم (القدس) هزئت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون »[2] .

واستقر الإسرائيليون بعد ذلك فى فلسطين ، ولكنهم لم يستطيعوا الإستيلاء إلا على الجزء الداخلى الفقير منها ، وأسس داود مملكة يهودية لم تدم سوى سبعين عاما تقريبا ، فى عام ٩٢٢ ق . م ثارت قبائل اليهود الشمالية ، بعد موت سليمان ، وانفصلت وسمت نفسها « اسرائيل » وعادت دويلة الجنوب إلى اسمها القديم « يهوذا » . واستمر الصراع بين الدولتين إلى أن قضت آشور على إسرائيل عام ٧٢٢ ق . م ، أما يهوذا فقد قضى عليها البابليون عام ٥٨٠ ق . م وسبوا أعداد كبيرة من اليهود إلى بابل[3] .

وسمح قورش الفارسى للإسرائيليين بالعودة من السبى البابلى فى عام ٥٣٨ ق . م وعاد بعض اليهود تدريجيا ، ولكن الغالبية منهم فضلت البقاء فى بابل . وقد سيطر التعصب العنصرى على اليهود الذين عادوا من السبى البابلى ، فعمل « عزرا » أحد كبار كهنة اليهود مع رفقائه على بث الروح العنصرية فى العقيدة اليهودية ، وذلك بعد أن طوروا فى بابل فكرة « الشعب المختار »[4] ، والتى

---

(١) سفر يشوع : الإصحاح ٨ : ٢ – ٢٨ .

(٢) محمد اديب العامري : المصدر السابق ، ص ، ١٢٣ .

(٣) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٢ – ١٣ .

(٤) Liliental, Alfred: what price Israel? (chicago 1953) p.3

تلاقت مع فكرة الغرور البشرى لدى البابليين ، واعتقد اليهود أنهم الشعب الإلهى الذى يجب عليه أن يسيطر على غيره من الشعوب [١] .

ويذكر اليهود أن السبي البابلي كان أول هجرة يهودية من فلسطين على نطاق واسع ، ليصوروا أن الإسرائيليين « نفوا عنوة » من فلسطين . ولكنهم تناسوا أو نسوا هجرة العبريين إلى مصر وخروجهم الجماعى منها بعدان أيضا هجرة جماعية على نطاق واسع [٢] .

وتعرضت فلسطين بعد ذلك لغزوات اليونان والرومان ، فقضى الرومان على فتنة اليهود وهدموا هيكلهم ، ثم قتلوا أكثر من نصف مليون يهودى ، وأرسلوا الكثيرين من اليهود أسرى إلى روما ، وهرب من تبقّى من اليهود إلى مصر والعراق وغيرها من الأقطار الأوربية . وعاشوا فى هذه المجتمعات أحقابا طويلة لا تربطهم بفلسطين أية صلة من قريب أو من بعيد . ولم يعد فى فلسطين إلا عدة الآف من اليهود [٣] .

وبانقسام الإمبراطورية الرومانية أصبحت فلسطين جزءا من الإمبراطورية البيزنطية ، ثم احتلتها الدولة الفارسية فى عام ٦١٤ م ، ولكن لم يدم حكمها طويلا إذ فتح العرب المسلمون فلسطين عام ١٥ هـ(٦٣٦ م) ، واعتنق سكانها الإسلام بعد أن كانوا يدينون بالمسيحية ، وتحدث أهلها باللغة العربية ، فسادت فى البلاد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ، وظلت فلسطين بعد ذلك قطرا عربيا إسلاميا لمدة أربعة عشر قرنا (منذ الفتح العمرى ١٥ هـ(٦٣٦م) حتّى سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) باستثناء فترة الحروب الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧) [٤] .

ومما يستلفت النظر أن الوجود العربى فى فلسطين لم ينقطع على الإطلاق ، كما أن الحياة العربية لم تحتجب إبان غزوات العبرانيين أو الفرس أو الإغريق أ

(١) ولیم فهمی : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) هنري كتّن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤ .

(٤) وليم فهمى : المصدر السابق ، ص ١٥ .

الرومان . فقد استمر الشعب العربى فى فلسطين مستوطنا لبلاده يتعاقب عليه الغزاة والفاتحون . ومع أن هذه الغزوات قد أثرت إلى حد ما فى حياة المجتمع الفلسطينى ، سواء من ناحية تقاليده وحضارته ، إلا أن حياة الشعب المذكور بكل مالها من خصائص ومقومات لم تصطبغ بصبغة الفاتحين .

وسأستعرض بإيجاز أقوال علماء التاريخ الأجانب وما قالته التوراة التى كتبها حاخامات اليهود مما يثبت بالدليل القاطع أن فلسطين منذ عشرة الآف سنة قبل الميلاد وحتى اليوم هى أرض عربية ، سكنها العرب منذ خروجهم من جزيرة العرب وأنهم أقاموا فيها بصورة ثابتة ومتصلة ومستمرة حتى اليوم . وأن العرب المسلمين الذين فتحوها وحرروها إنما كانوا أصولا لفروع أو فروعا للعرب الذين سكنوها منذ فجر التاريخ . وهذا يدحض مزاعم اليهود القائلة بأن فلسطين تاريخيا ليست أرض العرب وإنما اغتصبها المسلمون من أصحابها ، وأنها كانت يوما ما للعبرانيين أو اليهود .

يقول أعلام المؤرخين (كروبنسون ، وباتو ، وبريستيد) : « يرجع السكان فى فلسطين إلى عهد قديم جدا يقدره بعضهم بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هذه البلاد ، كان يقطنها أقوام ذوى حضارة ومجد كالكنعانيين أو الفينيقيين ، والحثيين والفلسطينيين وغيرهم » .

وتقول الدكتورة فرنسيس إميلى عضو اللجنة الملكية البريطانية فى بحثها لظاهرة إستقرار الجنس العربى فى فلسطين أو القدس : « أن العرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة الثابتة المستمرة غير المنقطعة » . ويقول برايت المؤرخ الأمريكى المتعصب للإسرائيليين : « كان العبرو (يعنى العبرانيين) غرباء عن كل بلاد عاشوا فيها ، وكان أهل تلك البلاد يعنى فلسطين يسمونهم الغرباء » .

ويقول المؤرخ الإسكتلندى الشهير جيمس فريزر : « أن الناطقين بالعربية من فلاحى فلسطين هم من ذريات القبائل التى استوطنتها قبل الغزوة الإسرائيلية لها فى عهد داود ، وأنهم مازالوا متصلين بالأرض لم ينتقلوا عنها ولم يقتلعوا منها وإن طلعت عليهم موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا » . ويقول الباحث

والمؤرخ ويلز فى كتابه (معالم الإنسانيه) : « إن أرض فلسطين هى أرض وبلاد الكنعانيين والفلسطينيين » .

أما المؤرخ العالمى الإنجليزى المعاصر والمشهور آرنولد توينبى والذى يطلق عليه مؤرخ القرن العشرين ، فقد أثبت بالوثائق التاريخية الصحيحة أن فلسطين هى أرض العرب وأن اليهود دخلوها معتدين قديما وحديثا . وقد قال فى بعض كتاباته عن فلسطين « قبل أن يبدأ هرتزل حركته الصهيونيه كان قد انقضى على وجود السكان فى فلسطين فترة تزيد على سبعة عشر قرنا ونصف على الأقل[١] .

ونحن لسنا بصدد مناقشة حق اليهود الدينى والتاريخى فى فلسطين وإن كان ما ورد على لسان أشهر علماء التاريخ يؤكد حق العرب فى فلسطين بصورة أقوى من حق أى شعب يملك وطنه فى أى بقعة من بقاع الأرض . كما وأن عشرات الآيات من التوراة المكتوبة تؤكد أن فلسطين هى ملك لساكنيها من القبائل العربية وأن العبرانيين هم غرباء عن الأرض ، فقد ورد فى سفر التكوين (١٥ — ٢٣) : « أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم » . وجاء فى سفر حزقيال المكتوب عن القدس : قال السيد الرب لأورشليم : « مخرجك ومولدك أرض كنعان » يعنى أرض الكنعانيين العرب[٢] .

كما وأن زعماء إسرائيل يعترفون بصراحة عن عدم أحقيتهم بأرض فلسطين ، وليس أدل على ذلك ما قاله زعماؤهم أمثال هرتزل وبن غوريون :

يقول هرتزل : « نحن لا تربطنا بهذه التربة أية حقوق ملكية صحيحة ، لقد مرت أجيال عديدة منذ كانت هذه الأرض يهودية » . ويقول بن غوريون : «لسنا عميانا. أننا على علم أكيد بأن فلسطين ليست بلدا خاويا بل إننا نعرف أن ملايين من العرب يسكنون على ضفتى نهر الأردن الشرقية والغربية كما وأن هناك ملايين وملايين من العرب قطنوا فلسطين[٣] » .

(١) رفيق شاكر النتشه : الإسلام وفلسطين . الرياض مطبعة المدينة ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ ص ٢١ — ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) رفيق شاكر النتشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٤ — ٢٥ .

وإذا كان يحق لليهود الادعاء بحقهم التاريخي فى فلسطين بحجة أنهم أقاموا على جزء منها دولة فى عهد داود وسليمان استمرت سبعين سنة . فلماذا لا يحق على ضوء هذا المنطق أن يطالب الفرس بفلسطين وقد حكموها ٢٠٠ سنة ، وكذلك اليونان وقد حكموها ٣٠٠ سنة ، والرومان وقد حكموها ٧٠٠ سنة . كما يصبح على ضوء هذا المنطق أن من حق بريطانيا أن تطالب بأمريكا ومن حق إيطاليا أن تطالب ببريطانيا وهكذا سينقلب العالم رأسا على عقب من أجل منطق يهودى صهيونى عابث .

ولكن علماء التاريخ قد حسموا الأمر واعتبروا أن حق ملكية العرب بفلسطين أقوى من حق ملكية أى شعب فى وطنه كما قال المؤرخ العالمى المشهور أرنولدتونيبي الذى أكد أن إقامة العرب بفلسطين بدأت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، أى أن إقامتهم الدائمة والمتصلة والمستمرة دامت من ستة الآف إلى اثنتى عشرة ألف سنة .

وإذا كانت فلسطين عربية منذ القدم ، فقد تأصلت عروبتها وازدادت وتأكدت منذ الفتح الإسلامى لها ، وكان لها أهمية خاصة فى قلوب المسلمين جميعا ومكانة عظمى لدى العرب والمسلمين على السواء . وقد جاءت منزلة فلسطين ومكانتها من الكتاب والسنة

مكانة فلسطين فى الإسلام

يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية الأولى من سورة الإسراء « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » فالمسجد الأقصى مبارك فى أرض مباركه وهى أرض فلسطين .[1]

كما يقول فى الآية (١٨) من سورة الإسراء : « وجعلنا بينهم القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقررنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » [2] . قال ابن عباس (القرى التى باركنا فيها هى بيت المقدس) .

---

(١) سورة الاسراء : الاية ، ١ .　　(٢) سورة سبأ : الآية ١٨ .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الأنبياء « ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين »[1]. وورد فى تفسير ابن كثير عن ابن كعب قال : (عن الأرض التى بارك الله فيها للعالمين هى بلاد الشام ، ومانقص من الأرض زيد فى بلاد الشام ، وما نقص من الشام زيد فى فلسطين وكان يقال هى أرض المحشر والمنشر) .

ويقول جل من قائل فى سورة المائدة : « ياقوم إدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا حاسرين »[2]. والمراد بالأرض المقدسة ، بيت المقدس وما حوله .

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد منها الكثير نورد منها ما يلى :

روى ابن مسندة عن أنس بن مالك قال : « أن الجنة لتحن شوقا إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس وهو سرة فى الأرض » . وعن ابى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس » . وروى الحاكم فى المستدرك وأحمد فى مسنده قوله عليه الصلاة والسلام : « طوبى للشام فإن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله لمعاذ رضى الله عنه : « إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وآباؤهم ، مرابطون إلى يوم القيامة[3] » .

وليس هذا فحسب ، فأن فلسطهن أرض الأنبياء والصحابة والعلماء ، فهذه الأرض المقدسه التى سار على تربتها الأنبياء والرسل إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وكذلك موسى عليهم السلام وفيها دفنوا ، وعيسى عليه السلام حيث رفعه الله إليه ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث عرج إلى السماء . هذه

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢١ .

(٣) رفيق النتشه : المصدر السابق ص ٧ – ٨ .

الأرض التى شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام . فكان منهم الخليفه عمر بن الخطاب الذى فتح بيت المقدس ويرافقه من الصحابة أربعة آلاف صحابى . وكان منهم أبو عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش المسلمين فى بلاد الشام الذى أمر بحصار بيت المقدس ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويزيد ابن أبى سفيان ومعاذ بن جبل من قادة جيوش المسلمين ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر ، وبلال بن رباح الذى رفع الآذان بعد الفتح ، وأبو ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وأبو الدرداء ، وعمير وعبادة بن الصامت أول من ولى القضاء فى فلسطين سكن بيت المقدس ودفن فيها ، وعمرو بن العاص السهمى ، وأبو اسحق سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قدم بيت المقدس وأحرم فيه بعمرة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعوف بن ماللك بن عوف وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم جميعا[١] .

كما ظهر فى فلسطين علماء وفقهاء أمثال مالك بن دينار فى الأئمة الأعلام ، والأوزاعى عبد الرحمن بن عمر فقيه الشام ، وسفيان الثورى ، والإمام الشافعى محمد بن إدريس أمام أهل السنة الذى ولد بغزة وتوفى فى مصر ، والغزالى الإمام زين الدين حجة الإسلام الذى صنف (إحياء علوم الدين) فى بيت المقدس ، وكذلك ابن قدامة المقدسى المولود فى القدس وابن حجر العسقلانى شارح صحيح البخارى[٢] .

وكانت فلسطين مهوى أفئدة كثير من أبطال العرب المسلمين ، فقد ذكر أن آلافا من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتابعيهم قد دفنوا فيها ، ومن أشهرهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل والفضل بن العباس ، ومسلمه بن هاشم المخزومى ، وعبد الله بن الزبير ، والحارث بن عتيك ، وهراب بن أسود

---

(١) رفيق شاكر النتشة : الإسلام وفلسطين ، ص ١٠ – ١١ . وانظر كذلك الطبري وابن الاثير . تاريخ الرسل والملوك . والكامل فى التاريخ ، ومحيى الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل .

(٢) أحمد سامح الخالدى : أهل العلم بين مصر وفلسطين ، القدس ١٩٤٦ .

المخزومى ، وهاشم ابن العاص بن وائل ، وكليب بن عمر القرشى ، وأبان ابن سعيد العاص وتميم بن الحارث ، وقيس بن الحارث ونعيم بن عبد الله بن التمام .

وفى أرض فلسطين أعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارتها الأرض هناك ، من معارك اليرموك وأجنادين ، وقد قدر عددهم بخمسة وعشرين ألف شهيد ، بالإضافة إلى شهداء الحروب الصليبية وحروب التتار وشهداء حروب المسلمين فى بلاد الشام[1] .

وفى ظل الإسلام انتعشت الحضارة فى فلسطين ، فأنتجت كثيرا من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، فإلى فلسطين ينتسب القائد الإسلامى الكبير موسى ابن نصير فاتح الأندلس وكان من أبناء الخليل ، والى فلسطين ينتسب الأديب العالم وزير الدولة للبطل صلاح الدين ، القاضى الفاضل المولود بعسقلان ، ومنها خليل بن أيبك الصفدى الأديب والمؤرخ الإسلامى الشهير صاحب المؤلفات العديدة . وإلى قيسارية بفلسطين ينتسب رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوبن وسيد الإنشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموى مروان بن محمد . والى فلسطين ينتسب العالم الكيميائى العربى خالد بن يزيد الأموى أول من نقل علوم الفرنجة إلى اللغة العربية فى دول الإسلام[2] .

وينتسب إلى فلسطين أيضا القاضى عماد الدين أحمد الكركى الذين تولى منصب قاضى قضاة الديار المصرية والملك شرف الدين الأيوبى المجاهد ضد الصيليبين ، والعالم الذى كانوا يطلقون عليه اسم المأمون الثانى . وإليها أيضا ينتسب الشيخ مرعى الكرمى الذى تولى الإفتاء فى الديار المصرية بالأزهر الشريف ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدى الفقيه العالم الذى تولى الإفتاء فى حاضرة الشام بدمشق .

وإلى فلسطين ينتسب المئات بل آلالاف من الأدباء والشعراء العظماء والقواد

---

(١) رفيق النتشه : المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق ٢ جـ ٩ ، ١٠ ص ١٥٠-٢٠٠ وانظر كذلك . محى الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (جزءان) .

وإنك لواجدهم فى كتب التاريخ منتهية أسماؤهم بالصفدى (نسبة إلى صفد) والعسقلانى (نسبة إلى عسقلان) والمقدس (نسبة إلى القدس) وما مائل ذلك . بل إن الإمام الشافعى صاحب المذهب المشهور الذى ولد فى غزة كان فلسطينيا وكان يردد فى شوق إلى بلاده بيتين شهيرين .

وإنى لمشتاق إلى أرض غزة   وإن خاننى بعد التمزق كتمانى

سقى الله أرضنا لو ظفرت بتربتها

لكحلت به من شدة الشوق أجفانى [1] .

ومهما يكن من أمر فإن الوجود اليهودى فى فلسطين قد انقطع منذ عام ١٣٥ م حينما أحرق الإمبراطور الرومانى هدريان هيكلهم ومسح مدينة أورشليم وشتت أهلها ، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلة اليهود بفلسطين مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة ، وتشتتوا فى بقاع الأرض ، وانبثو فى شمال إفريقيا وفى آسيا وفى أوربا . وعاشوا فى هذه المجتمعات أحقابا طويلة لا تربطهم بفلسطين أية صلة من قريب أو من بعيد . ولم يسكن فلسطين بعد عام ١٣٥ ولمدة ألف سنة يهودى واحد . كما لم يكن فيها فى القرون الخمسة التى تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديا [2] . ولم تقم لليهود قائمة بعد حروب هدريان .

ومما يجدر ذكره أن المسيحيين قد اشترطوا على الخليفة عمر بن الخطاب أثناء تسليمهم مدينة القدس له ، عدم مساكنة اليهود لهم فوافق على ذلك ، ونصت الوثيقة العمرية على ذلك . ولذلك نجد أن اليهود قد انقطع وجودهم فى فلسطين تماما . ففى عام ١١٧٠ لم يكن فى فلسطين إلا ثمانية يهود ، اثنان فى حيفا وأربعه فى القدس وآخران فى بيت لحم ،وفى عام ١١٧١ أصبح عددهم ١٤٤٠ يهوديا.

وفى عام ١٢٦٧ لم يوجد إلا عائلتين يهوديتين فى القدس ، وفى عام ١٤٨٩ أتى الطاعون على القلة القليلة من اليهود فى القدس حتى أصبحت خالية من

---

(١) رفيق النتشة : الإسلام وفلسطين ، ص ١٢ — ١٣ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق ٢ ص ٩ر ١ ص ٧٢ .

اليهود ، وفى عام ١٨٤٥ أصبح عددهم ١١ ألفا وفى عام ١٨٨٠ لم يتجاوز عددهم ٢٠ ألفا ووقت صدور وعد بلفور كان عددهم ٥٦ ألفا أى بنسبة ٦ر٥٪ من السكان(١) .

ويرجع وجود هذه الأعداد من اليهود إلى تسامح المسلمين معهم والسماح لهم بالمجئ إلى القدس للعبادة ، فقد أضفت البلاد العربية والإسلامية حمايتها على اليهود ، وعاشوا فى ظلها فى أمان وسلام ، فبينما كانت أوروبا تضطهدهم كان لهم فى العالم العربى والإسلامى مكان وثروة . ولكثرة الإضطهاد الذى لاقاه اليهود فى الدول الأوربية نجد أنهم فروا منها ولجأوا إلى بلاد العرب والإسلام حيث كانوا ينعمون بالطمأنينة وراحة الإستقرار . ولولا ذلك لباد اليهود كما باد غيرهم من بقايا الأمم القديمة . ولما أخذت ظروفهم تتحسن فى القرن الماضى انقلبوا على المسلمين عامة والعرب خاصة ، وأعلنوا عليهم حربا بلغت ذروتها فى إغتصاب فلسطين وتشريد سكانها .

ومهما يكن من أمر ، فلم يجد اليهود تسامحا وعيشا كريما إلا فى ظل الحكم الإسلامى ، فمنذ استعاد صلاح الدين مدينة القدس من الصليبيين ، إزداد عدد اليهود فى فلسطين نتيجة لتسامح الإسلام ، وحسن معاملة المسلمين لليهود فاعتنق الكثير منهم الإسلام ، وذلك لأن اليهود لم يسلموا من الحملات الصليبية فقد تعرضوا لإضطهاد الصليبيين وبيعهم فى أسواق الرقيق(٢) . ونجم عن ذلك قلة اليهود فى فلسطين اثناء الحملات الصليبية وبلغ عددهم ١٤٤٠ يهوديا فقط بينما يذكر البعض وجود عائلتين فقط(٣) .

ولقد اتخذ اليهود العالم الإسلامى وخاصه الدولة العثمانية حمى ومأوى لهم من الإضطهاد الذى لاقوه فى أوربا ، فقد هرب إلى حمى الدولة العثمانية كثير من يهود أسبانيا (السفارديم) بعد طردهم منها عام ١٤٩٢ م(٤) .

---

(١) رفيق النتشة : المصدر السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) إسرائيل كوهين : هذه هى الصهيونية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦ .

(٣) هنرى كتن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٧ .

(٤) Yale, william: The Near East, London 1958) p.145

وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر هاجر إلى فلسطين لاجئون من يهود وسط أوربا أقاموا فى الأماكن المقدسة لدى اليهود . (القدس ، الخليل ، صفد ، طبريا)[1] . وبلغت أعدادهم خمسة الأف فقط عندما غزا نابليون البلاد عام ١٧٩٩ ، ثم ارتفع عددهم إلى حوالى ستة آلاف فى العام ١٨٣٩ مقابل ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ عربى ، أى أن نسبة اليهود لم تتعد ٢٪ من مجموع سكان فلسطين ولم يتجاوز عدد اليهود فى عام ١٨٨٠ عشرين ألفا . وفى ١٩١٨ بلغ عدد اليهود ٥٦ ألفا بينما بلغ عدد السكان العرب ٧٠٥ر١٨٢[2] أى أن نسبة اليهود تقارب ١٠٪ من مجموع السكان .

ويلاحظ على الجماعات اليهودية فى فلسطين فى العصر الحديث أنها نتيجة هجرات منعزلة إلى فلسطين إما هربا من الإضطهاد وإما عراض د واليهود الذين جاءوا للعيش فى فلسطين لم يكونوا من نسل ... ود من سلالة الأوربيين الذين اعتنقوا اليهودية ، مما يؤ... هجر فلسطين واستيطانهم فيها قد غلبت عليها اعتبارات ...مة[3] المهاجرين من المتقدمين فى العمر ، والذين ... بالدفن فى الأماكن المقدسة ، ولذا تركز ... نظر اليهود وهى القدس والخليل وطبر... الأورب... الا نظام الصدقات على إعتبار أن ... ى . ولم نوع من أنواع الإنتاج . وكان إستي...هم بدون جذور اقتص يكونوا فى فلسطين مجموعة متجانسة ، وإنما اختلفت أجناسه...هم وانقسموا إلى مجموعات متمايزة لكل مجموعة عالمها الخاص ... على ماضيها واستبقت موطنها الأصلى ، وحملت هذه المجم... سيات ...ها ، وكانت هذه الجماعات اليهودية تتلقى حماية الدول ... – بإعتبارهم رعايا أوربيين – عن طريق قناصلها لدى الدولة العثمانية[4] .

---

(١) Bentwich, Norman: Palertine. (Lo...ion 1946) pp. 42-43.

(٢) Government of palestime, Statistical Abstract of palestine 1941, p.12.

(٣) Bullard, Reader: The Middle Fast (London 1958) p.285.

(٤) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ص ... ٢٠ .

مما تقدم يتضح أن المزاعم الصهيونية فى وجود حق تاريخى لليهود فى فلسطين لاتستندالى أساس ، فالحقائق التاريخية كما أشرنا تنفى عن اليهود إستمرار بقائهم فى فلسطين بل تؤكد استمرارية الشعب العربى الفلسطينى وصلته بالأرض منذ فجر التاريخ . وليس كما يدعى اليهود بأن عرب فلسطين كانوا غزاة لها فى أثناء الفتح الإسلامى وهو قول خاطئ ، لأن الوجود العربى بفلسطين (أرض كنعان) أسبق من الفتح الإسلامى فالعرب قوم سابقون على الإسلام منذ ٤٤ قرنا . ولكن الفتح الإسلامى صبغ البلاد بطابع إسلامى لغة وثقافة وتاريخا ومصيراً وسادت فى البلاد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية والتى استمرت حتى منتصف القرن العشرين وحتى تمكنت الصهيونية من إقامة دولة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ بعد أن شردت قسما كبيرا من العرب[1] .

الذى يطرح نفسه الآن لماذا لاقى اليهود مذابح وإضطهادا فى [illegible] إلى نشوء مشكلة اليهود ، ومحاولة زعماؤهم إيجاد حل لها على [illegible] العربى [illegible]

---

(١) محمد اديب العامرى : عروبة [illegible] التاريخ ، ص ١٥٦ .

الفصل الثانى

المشكلة اليهودية ونشوء الصهيونية

كانت جماعات قليلة من اليهود قد ظلت مقيمة فى فلسطين بعد أن أصبحت جزءا من الدولة العربية الإسلامية ، وكان معظمهم من المتدينين الذين اقتصرت رغبتهم على ممارسة شعائرهم الدينية ، وذلك إنطلاقا من إيمانهم بفكرة بعث الدولة اليهودية فى فلسطين بحدوث معجزة إلهية ، يظهر معها المسيح المنتظر الذى سيعيد بناء « هيكل سليمان » ويقود العالم نحو الخير والسلام[1] . وغدا مركزهم الرئيسى هو منطقة الجليل ، حيث أسسوا فى فترة من الفترات مدارس دينية . ولكن مركز التجمع اليهودى ، كان قد انتقل إلى بلاد ما بين النهرين قبل الإسلام بعدة قرون ، وظل هنالك عندما خضعت تلك البلاد التى عرفها العرب باسم العراق للحكم العربى الإسلامى . ثم انتقل إلى أسبانيا ، وكانت وقتئذ تحت حكم العرب المسلمين أيضا . وفى العصور الحديثة ، أصبح مركز التجمع اليهودى فى شرق أوربا ، وبخاصة فى الأقاليم المحيطة بمدينه بنسك Pinsk الروسية ، وهى تقع فى أوكرانيا فى أقصى غرب الإتحاد السوفيتى وقريبة من حدود بولندا ورومانيا والمجر ويوغوسلافيا . وبقيت الأقاليم المحيطة بمدينة بنسك ، وتقع داخل دائرة مركزها هذه المدينة وقطرها ستمائة كيلو متر حولها ، مركز تجمعات يهودية كبيرة فى أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين[2]

وكان اليهود الذين نزحوا إلى أوربا قد تعرضوا للإضطهاد منذ أيام الإمبراطورية الرومانية ، بسبب رفض الجماعات اليهودية المتدينة الإندماج فى المجتمع الرومانى . وبعد انتشار المسيحية فى أوربا ، لم يتوقف اضطهاد اليهود ، إذ

---

(١) أمين محمود عبد الله : « نشأة النزعة الإستيطانية فى الفكر اليهودى الغربى خلال القرن التاسع عشر» مجلة العلوم الإجتماعية جامعة الكويت ، العدد الثانى فى يوليو ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٣ .

اعتبر هؤلاء مسئولين عن دم السيد المسيح . وأكسبهم نشاطهم التجارى والمالى وما يتصل به من عمليات الاقراض والربا الفاحش وسلوكهم الذى يقضى باستغلال غير اليهود ، وذلك بسبب عقيدتهم التى جعلت اليهود يحملون عداء دائما لغيرهم من الناس ، وقد إمتلأت قلوبهم بالأحقاد نتيجة لتلك العقائد العنصرية المزيفة . ولذلك فقلما تمر فترة من الزمان إلا ورأيت اليهود يقومون بمذابح ضد غيرهم من الشعوب إذا ما واتهم الفرص وتمكنوا من رقاب غيرهم مباشرة أو بوساطة حكام آخرين . كما وأنه قلما يمر زمن إلا وتقرأ عن مذابح لليهود على أيدى الشعوب الأخرى وذلك كرد فعل لتصرفاتهم وأحقادهم ضد تلك الشعوب وإستغلاليتهم . ولعل من أهم الدوافع إلى هذا الحقد الذى يدفع إلى القتل وسفك الدماء هى وصيتهم الجامعة فى كتبهم الدينية (أهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، أحرق كل أخضر ، كى تنفع يهوديا بفلس)[1].

أثارت تصرفات اليهود سخط المجتمعات الأوربية باعتبار أن تسلط اليهود التجارى وجشعهم المالى هما مصدر ما تعانيه الطبقات الكادحة من بؤس وفاقة . وقد صحب ذلك عدم الإطمئنان إلى ولاء اليهود واخلاصهم ، وبذلك اتخذ اضطهاد اليهود فى أوربا مظهر الدفاع عن النفس[2] .

وتناول الإضطهاد الذى أصاب اليهود مظاهر شتى ، ففرضت عليهم قيود اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وحرم عليهم إمتلاك الأراضى ومزاولة الكثير من المهن الحرة ، فضلا عن حرمانهم من الحقوق السياسية ، وعدم السماح لهم بالإقامة فى بعض المدن ، مما ترتب عليه جميعه إنعزال اليهود عن الحياة إنعزالا كاملا فى أقاليم خاصة بهم ، بل وأقاموا فى المدن فى أحياء مخصصة لهم ، عرفت باسم « الجيتو » Ghetto . وفى معظم الحالات كانت تحيط بهذه الأحياء أسوار وحوائط عالية ، كان الدخول والخروج منها محدودا ، إن لم يكن معدوما . وفى الحالات النادرة ، التى كان يتجول فيها أحد أفراد « الجيتو » خارج الأسوار ،

---

(١) رفيق النتشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٨ – ٢٩ .

(٢) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٣

فإنه لم يكن يحس بالأمان التام . إذ كان العالم خارج هذه الأسوار ، وهو يختلف تماما عما هو داخلها ، عالما لا يمكن أن يأمن له ، فهو فاتر على أحسن الأحوال ومعاد على أسوأها . أما الطمأنينة والدفء فهما فقط داخل الأسوار . وحتى هذه الطمأنينة فى الداخل فليست مطلقة ، فبين الحين والآخر قد يقتحم العالم الخارجى أسوار « الجيتو » لينهب ويعتقل ويعذب من هم داخل الأسوار . ولم يكن الإنعزال داخل الأسوار ماديا فحسب ، ولكن كانت له مضاعفاته الإجتماعية والنفسية[1] .

ولعل مرد ذلك ، ما إرتكبه اليهود من مجازر عبر التاريخ ضد المسيحيين ، ففى عام ٢١٤ قتل اليهود مئتى ألف مسيحى فى روما وكل النصارى فى قبرص . وفى زمن البابا كليمان قتل اليهود فى روما وخارجها جملة من النصارى بأعداد كبيرة . وفى عام ١١٥ م ذبح اليهود من المسيحيين ٢٠٠ ألف فى ليبيا و ٢٤٠ ألف فى قبرص . وفى عام ١٥٥ قتل الإمبراطور جميع النصارى فى روما بناء على دسائس الحاخام « يهودا » . ولا غرابة فى أن تقوم المذابح ضد اليهود كرد فعل لأعمالهم الوحشية والمذابح التى قاموا بها فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، ولاقى اليهود العديد من المذابح الإنتقامية[2] . فبريطانيا طردتهم منذ أول القرن السادس للميلاد ومنعت دخولهم إليها مدة ثلاثة قرون . وفى فرنسا طرد اليهود وحرق تلمودهم فى عهد لويس التاسع عشر بسبب كيدهم للشعب الفرنسى كما طردوا من أسبانيا والبرتغال وحرموا من الدخول إلى البلاد منذ عام ١٤٩٢ وذلك بسبب ما الحقوه بالمسيحيين من ضرر وبسبب محاولاتهم لهدم الكاثوليكية والهزؤ والسخرية منها وقد دام هذا الطرد خمسة قرون . ولعل هذا يفسر موقف أسبانيا من عدم اعترافها بإسرائيل حتى الآن . وقامت مذابح ضدهم فى روسيا وألمانيا مؤخرا[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٢) رفيق التتشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٨ – ٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١ – ٣٢ .

وفى الوقت الذى كانت فيه مذابح اليهود كثيرة الوقوع فى أوربا ، كان اليهود يجدون فى البلاد الإسلامية أطيب معاملة ، ويعتبروها الملجأ الآمن لهم ، وفتحت لهم المجال للعمل والعلم حتى وصلوا فى بعض البلاد الإسلامية إلى مرتبة وزير . وهذا يرجع إلى تسامح الدين الإسلامى مع أتباع الديانات الأخرى . مما يدحض التهم التى يوجهها اليهود بأننا نحاربهم من أجل ديانتهم . وحقيقة الأمر أننا لا نحارب اليهود لأنهم يهود أو نحاربهم بسبب عقيدتهم ، فالعالم الإسلامى والعربى وخاصة الفلسطينيون ليس عندهم تعصب مذهبى أو طائفى ، ولكن حينما يتحول اليهود إلى صهاينة يستولون على الأرض وينتهكون العرض ، فعندها سيحاربهم العالم الإسلامى بعامة والعالم العربى بخاصة ، وسيكون الفلسطينيون الذين ذاقوا مرارة النكبة منهم أشد الناس حربا لهم .

وعلى العموم ، فقد ظل اليهود موضع إحتقار وكراهية المجتمعات الأوربية حتى أواخر القرن الثامن عشر ، حين ظهرت معانى جديدة فى الحياة الإنسانية ، كنتيجة لإنتشار مبادئ الحرية والمساواة والإخاء فى أعقاب الثورة الفرنسية ، وما ترتب على ذلك من تأكد حقوق الإنسان . وهيأ هذا الجو الفكرى الذى غمر أوربا فرصة لتحرير اليهود وانطلاقهم من « العزلة والإنطواء » إلى « التحرر والإندماج » مع المجتمعات التى يعيشون بين ظهرانيها . ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، اختفت الإضطهادات ضد اليهود فى غرب أوربا ، أو قلت إلى حد كبير . وباختفاء الإضطهاد والتفرقة فى غرب أوربا ، تكسرت الحواجز التى كانت تفصل بين اليهود وغيرها ، مما سهل عمليات التفاعل والانصهار الإجتماعيين وتحطم نظام « الجيتو » .

وهكذا تحسنت أحوال اليهود فى أوربا الغربية ، وأصبحوا دستوريا واقتصاديا مواطنين عاديين بعد إلغاء القوانين المقيده لحرياتهم منذ عام ١٧٩١ فى فرنسا ، ثم فى معظم الدول الأوربية . وقد ساعد التجمعات اليهودية فى غرب أوربا على التحرر والإندماج ، اتجاه مجتمعات أوروبا الغربية نحو العلمانية ،

وفصلها بين الدين والدولة ، وإعتناقها للمبادئ الليبرالية والديمقراطية التى هيمنت على الفكر السياسى الأوربى الحديث[1]

أما التجمعات اليهودية فى شرق أوربا ، فقد ظلت – شأنها شأن الأقليات فى روسيا القيصرية – ترزح تحت وطأة التمييز والإضطهاد المستمر من جانب القياصرة الروس . وكان إغتيال قيصر روسيا إسكندرا الثانى فى ١٣ مارس ١٨٨١ ، والذى حملت السلطات الروسية اليهود مسئولية اغتياله ، هو الشرارة التى أشعلت جذوة الأعمال المعادية لليهود ، أو ما أطلق عليه «حركة معاداة السامية » The Anti-Semitic Movement. فلم تمض بضعة أسابيع على إغتيال القيصر ، حتى فتحت أبواب الجحيم على مصاريعها لتبتلع اليهود[2] . وانتشرت حركة إضطهاد اليهود من روسيا إلى بولندا ورومانيا . وكان من أبرز مظاهر هذه الحركة فى روسيا ، مذبحة كيشينيف Kishinev عام ١٩٠٣ ثم مرة أخرى عام ١٩٠٥ بواسطة الحكم القيصرى ضد يهود المدينة والمناطق المجاورة . وبقى وضع اليهود فى شرق أوربا على هذا الحال من الإضطهاد والتعذيب إلى نشوب الثورة البلشفية (١٩١٧) ، الأمر الذى أوجد ما عرف « بالمشكلة اليهودية » ، ويقصد بها إمكانية بقاء اليهود دون إضطهاد فى المجتمعات التى يعيشون فيها[3] .

والحقيقة أن هذه المشكلة لم يشعر بها يهود شرق أوربا ، حيث سادت حياتهم العزلة والإضطهاد . أما يهود غرب أوربا فكانوا قد خطوا خطوات واسعة نحو الإندماج فى المجتمعات الغربية ، وأصبح من حقهم أن يتولوا وظائف الدولة وأن يزاولوا من الأعمال ما يشاءون ، وأن يسكنوا حيث يريدون . وبلغ الأمر أن أصبح أحد اليهود رئيسا للوزراء فى انجلترا ، وهو بنيامين دزرائيلى Disraeli ونشأت بيوت مالية لهم فى فرنسا وانجلترا ، من اكبرها بيت روتشيلد Rothschild ، وأصبح لهم شأن كبير فى الحياة الإقتصادية والمالية[4] .

---

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١٦ .

(٢) Roth, C.: Ashort History of the Jewish Reople, p.386.

(٣) Tbid.

(٤) حراز : المصدر السابق ، ص ١٧ .

وانبرى اليهود – وهم بارعون فى فن الدعاية والإعلام – فى تجسيم صورة الإضطهاد الذى لاقوه حتى جعلوا الباحثين والمؤرخين والكتاب يعتقدون أنه لم يكن فى تاريخ الحياة الأوربية على مدى هذه الأجيال ما هو افظع وأشنع من المظالم التى حلت باليهود . وانطلقت صيحات من أنحاء مختلفة من أوربا تنادى بحل مشكلة اليهود وذلك بعودتهم إلى أرض الميعاد أى فلسطين واحتوت هذه الصيحات الصهيونية وجسدتها إلى واقع عملى ملموس .

الصهيونية :

الصهيونية Zionism نسبة إلى صهيون ، وهو أحد التلال أو الجبال التى تقوم عليها مدينة القدس القديمة . وهو اسم كنعانى فى الأصل وقد ورد ذكره فى التوراة والإنجيل . وكان غرض اليهوديه العالمية من اختياره ، هو إثارة الشعور الدينى والعنصرى فى يهود العالم وإكتساب تأييد العناصر المسيحية الغربية وعطفها[1] .

والصهيونية حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية[2] ، وزعمت أن الشعب اليهودى يكون عرقا نقيا[3] ، ونادت بحل لما أسمته « بالمشكلة اليهودية » فعارضت إندماج اليهود فى أوطانهم الأصلية ، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين ، زاعمة أن لهم فيها حقوقا تاريخية ودينية ، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الإستعمار فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين عن طريق إرهاب وطرد شعبها العربى الأصيل[4] .

وتستمد الصهيونية أصولها من الفكر الصهيونى النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود ، تلك العقائد التى جعلت المستعمرين على مدار التاريخ يسعون

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ١ .

(٢) فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى فى فلسطين ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣ .

(٣) يورى ايفانوف : احذروا الصهيونية ، ترجمة أحمد داود ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٨٧ . وقد ذكر إيفانوف أن ناحوم « سوكولوف أعلن بصراحة : « ليس ثمة أجناس نقية نقاوة مطلقة ولكن اليهود دونما ريب هم أنقى أمة بين أمم العالم المتمدنة » .

(٤) ولبم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

لاستغلال اليهود وتوريطهم للعودة إلى ما يسمونه زورا وبهتانا أرض الميعاد ، كما جعلت اليهود فى العالم يحملون عداء دائما لغيرهم من الناس . كما تستمد الصهيونية حيويتها من إرتباط الفكر الصهيونى بعقائد دينية وعنصرية ثابتة فى أذهانهم[1] . فالصهيونية كعقيدة وفكرة قديمة تتصل باليهود ودينهم ومعتقداتهم وهى جزء من تفكيرهم ، وإن كان القرن التاسع عشر قد أعطى للفكرة شكلها التنظيمى والعلمى وطبعها بالطابع السياسى ، إلا أن الأفكار التى تدعو إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين سبقت ذلك التاريخ بكثير بصورة خفية وغير معلنة ، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة فى ظل التشبث بخرافات وأوهام مبنية على حكايات اصطبغت بصبغة دينيه[2] . ويؤكد ذلك قول دافيد بن غوريون عن الصهيونية : « لم تكن الصهيونية مجرد نظرية شاملة أو مفهوما فلسفيا أو دينيا ، مستقلة عن الزمان والمكان أو الظروف ، بل كانت فى الواقع فلسفة يهودية ، هى فى جوهرها نضال ضد الإندماج « كما ذكر ليونارد شتين Leonard stein فى كتابه « تصريح بلفور » ما يلى : « إن الأصول الفكرية للصهيونية قديمة قدم الشتات اليهودى ، ولكنها بوصفها حركة منظمة ، إنما تبدأ فى عام ١٨٩٧ » . .[3] وعلى ذلك ، فإن الصهيونية هى الإمتداد الطبيعى والتطور التاريخى لليهودية . وذلك لأن دعاة الصهيونية قد جعلوا من التلمود أساسا للدولة وفلسفتها . وتقوم الفلسفة الصهيونية على الأفكار الآتية :

١ – اليهود شعب الله المختار فأرواح بنى إسرائيل تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات ، والإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة[4] . ويمكننا القول هنا أن هذه الفكرة جعلت من اليهود فئة متعصبة وقد عرفوا بهذه الصفة منذ أن نزلوا بأرض كنعان ، والدليل على ذلك نزعتهم الإنعزالية التى بدت واضحة فى تصرفاتهم

(١) عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، القاهرة ١٩٦٥ ط ٢ . ص ٢٢ .

(٢) سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس ، عمان ١٩٧٧ ، ص ٤٣ .

(٣) السيد رجب حراز : المصدر السابق ، ص ١ – ٢ .

(٤) محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الأسكندرية ١٩٧٦ ، ص ١٧ .

عندما دخلوا مصر مهاجرين سنة ١٦٥٦ ق . م إذ نجد يوسف عليه السلام يهيئ لأهله إقامة بعيدة عن الإختلاط بالشعب المصرى ويحتفظ لهم بنوع من الإستقلال فى معيشتهم رغم ما لا قوه من ترحيب من فرعون مصر ، وهذا ما نلاحظه أيضا فى ظل الحكم العربى الإسلامى ، فبالرغم من تسامح المسلمين مع اليهود وهو ما يشهد به المستشرقون وحتى اليهود أنفسهم ، نجد أن اليهود عاشوا فى عزلة فى مختلف الأقطار العربية[1] .

فالصهيونية تصور اليهود على أنهم أمة واحدة وشعب واحد وجنس واحد ، وعدم اختلاط اليهود بالشعوب الأخرى إنما مرده رغبتهم فى الإبقاء على وحدتهم . وإدعاء الصهيونية فكرة النقاء الجنسى لليهود ، وأن يهود اليوم هم النسل المباشر ليهود التوراة ، إنما قصد بذلك تبريرا للعودة إلى أرض الميعاد »[2] .

وتحاول أجهزة الإعلام الصهيونية إضفاء صفة العرق أو الجنس على اليهود المنتشرين فى العالم وربطهم عرقيا بالجنس السامى ، ويعتبرون أن من يحاربهم يحارب الجنس السامى ويطلقون عليه « لا سامى » . وهذه التهمة « اللاسامية » أو « معاداة السامية » أصبحت الشبح الذى يخيفون به كل من يتجرأ على كشف أباطليهم وألاعيبهم .

وإذا سلمنا بأن أكثرية اليهود فى بعض البلاد العربية هم من أصل سامى فليس معنى ذلك أن جميع يهود العالم من أصل سامى . فهناك اليهود الأوربيون ، وهناك اليهود الأمريكيون ، وهناك اليهود الأفريقيون وهناك اليهود الخزريون المنتشرون فى أوربا الشرقية والإتحاد السوفيتى .

ويشترك اليهود فى لون البشرة ولون الشعر والسحنة مع مواطنى الدولة التى يعيشون فيها ، فاليهود فى أوربا كالأوربيين ، ويهود أفريقيا كالمواطنين الأفريقيين ، ويهود البلاد العربية كالعرب فى الشكل واللون والسحنة .

---

(١) سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس ، ص ٤٣ .

(٢) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، ص ٣٠ .

ومن المعروف تاريخيا أن اليهود الأوربيين واليهود الأمريكيين ويهود الخزر (فى الإتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية) لا ينتمون بأية صلة قرابة إلى يهود البلاد العربية ولا تجمعهم لا عادات ولا تقاليد ولا لغة ولا شكل مشترك بأى صورة من الصور ، وإنما يربط بينهم الديانة اليهودية .

وإذا كان يهود البلاد العربية من أصل سامى ، فليس معى ذلك بأن لهم الحق بأى شكل من الأشكال فى فلسطين ، فيهود اليمن هم مواطنون يمنيون ويهود العراق مواطنون عراقيون ويهود مصر مواطنون مصريون كما أن يهود فلسطين هم مواطنون فلسطينيون ومن هنا فليس هناك سند قانونى أو شرعى أو تاريخى لأى يهودى عربى (ناهيك عن اليهود غير العرب) للمطالبة فى فلسطين لمجرد أن داود وسليمان عليهما السلام أقاما دولة منذ عدة الآف من السنين . فصلة العرب منذ ستة الآف سنة قبل الميلاد إلى اليوم لم تنقطع عن فلسطين بالرغم من الموجات الأجنبية التى مرت عليها بما فيها الموجة العبرية التى لم تدم على بعض أجزاء منها أكثر من سبعين عاما متصلة . فقد انقسمت دولة سليمان عليه السلام إلى قسمين : يهوذا فى الجنوب واسرائيل فى الشمال وحاضرتها القدس[١] .

وتبرز عدة تساؤلات عند مناقشة النقاء الجنسى لليهود :

أولا : هل لم تعرف الديانه اليهودية تحول غير اليهود وإعتناقهم اليهودية ؟

ثانيا : وهل لم يتم اختلاط اليهود بغيرهم من الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها ؟

ثالثا : ما رأى الدراسات الانثربولوجية فى يهود اليوم ، وهل يمثلون حقا جنسا نقيا ؟

يقول يوسفيوس Josephus المؤرخ اليهودى الكبير ، إن يهود أنطاكيه Anticeih قد هودوا الكثير من غير اليهود ، وتحول إلى اليهودية الكثيرون فى القرن الثانى الميلادى[٢] .

---

(١) رفيق النتشة : الإسلام وفلسطين ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٢) Ripley, william z: The Races of Europe, (London 1899) p.391.

واعتنقت اليهودية شعوب مختلفة من اليمنيين ، وملكة سبأ ، والذين تهودوا من الرومان حملوا العقيدة اليهودية إلى إيطاليا وفرنسا ووادى الرون وحوض الرين والتحول الجماعى للقبائل الجرمانية نشر اليهودية فى وسط أوروبا وشرقها وخاصة فى بولندا وشرق روسيا ، كما أن التحول إلى اليهودية قد تخطى كل العقبات حتى فى العصور الوسطى والحديثة .

وأكبر اعتناق لليهودية هو تحول قبائل الخزر ، فقد اعتنق الخان « بولان » اليهودية حوالى عام ٧٤٠ وتبعه النبلاء ثم الشعب[١] . وقد قوى نفوذ اليهودية فى دولة الخزر ، ولاقت من شعبها التشجيع والمساندة . وحمل التجار الخزر الديانة اليهودية إلى شواطئ الفستولا والفولجا ، وبعد زوال دولة الخزر انتشر يهودها فيما عرف بروسيا ، وفى شرق أوربا ، والبعض منهم اتجه شمالا وانضموا إلى الجماعات اليهودية فى كييف ولما عاد بعض يهود الخزر إلى القوقاز وكثيرون منهم بقوا فى القرم والمجر . وقد اعترف المؤرخون اليهود أنفسهم بان الخزر هم الأسلاف المباشرون ليهود شرق أوروبا[٢]

ومنذ أقدم العصور اختلط اليهود بالآراميين والحثيين والفلسطينين والأموريين[٣]. وهذا الاختلاط يرويه لنا العهد القديم فى أسفار يوشع وصموئيل والملوك ، فأسرة داود مثلا كانت من أصول مؤابية . ولم يرجع كثير من اليهود من السبى البابلى ، بل فضلوا البقاء فى بابل ، كما عاد مع المسبيين كثير من غير الاسرائيليين الذين اعتنقوا اليهودية فى بابل[٤].

وليس هذا فحسب ، بل تم الزواج المختلط بين الإسرائيليين وسكان فلسطين الأصليين ، فيروى سفر القضاة (٣ : ٥ : ٦) سكن بنو اسرائيل وسط الكنعنيين والحيثيين والغرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم (هذه الشعوب) لأنفسهم نساء واعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . وهذا يؤكد

---

(١) Liliental, A: what price Israel? p.220

(٢) Ibid. p. 222

(٣) Haddon, A.C.: The Races of Man (Cambridge 1929) pp. 24,99.

(٤) Liliental, A: op: cit., P. 213

الحقيقة التاريخية وهى أن يهود التوراة لم يبق منهم أحد بل اندمجوا فى المجتمعات القديمة التى عاشوا بين ظهرانيها .

وحرمت الكنيسة المسيحية الزواج المختلط بين المسيحيين واليهود ، فالمجالس الكنسية فى طليطلة Toleds فى عامى ٥٣٨ و ٥٨٩ وكذلك فى روما عام ٧٤٣ قد وضعت القيود والقوانين التى تحرم الزواج المختلط وفى هذا دلالة على أنه كان أمرا شائعا فى ذلك الوقت ، الأمر الذى دعا إلى فرض القيود على الزواج المختلط . ومع هذا لم تراع القوانين الكنسية التى حرمت الزواج المختلط ، ولذا فإن رئيس اساقفة المجر قد شكا فى العام ١٢٢٩ من أن تحولات تتم بالآلاف من المسيحية إلى اليهودية[1] .

وفى منتصف القرن الخامس عشر كان الزواج المختلط ظاهرة عادية فى حياة اليهود ، واتسع نطاقه فى القرن التاسع عشر عندما أقرت أغلب الدول الزواج المدنى ، فتزايد الزواج بين يهود غرب أوروبا وأمريكا ، فبلغت نسبته ثلثى حالات الزواج التى تمت بين اليهود فى إيطاليا ، وفى عام ١٩٣٠ بلغت نسبة الزواج المختلط ٦٠ ٪ من إجمالى حالات الزواج بين اليهود فى ألمانيا ، كما كانت نسبته مرتفعة كذلك فى أمريكا[2] .

ولا شك ان الزعم بان الدين اليهودى كان مقصورا على بنى اسرائيل زعم باطل ، فقد انتشر الدين اليهودى قبل الإسلام بقرون عديدة فى جهات مختلفة من الجزيرة العربية وخصوصا فى اليمن . ومن المسلم به أن اليهود بذلوا جهودا عظيمة لنشر دينهم بين الأمم فى أثناء العهود الوثنية ، كما أن أجداد يهود فلسطين الأصليين قد تحول عدد كبير منهم إلى المسيحية ، وعدد أكبر إلى الاسلام وكثرت حالات الزواج من غير اليهوديات بعد السبى البابلى وبعد انتشار اليهود فى أوروبا ، كما كثرت حالة التمازج البشرى الذى ينفى اسطورة العرق النقى .

والواقع أن اليهود ينتمون إلى عدد كبير من السلالات ، وهم يشبهون

(١) Riply, w.: op. Cit., p. 391 - 392

(٢) Roth, C.: The standard Jewish Encydopcdia (Jerusalem 1926)p.9G4

الجماعات التى يعيشون وسطها ، والذين يزعمون أن اليهود حميعا من سلالة إسرائيل ، هو زعم باطل من أساسه لأنهم لو وقفوا هنيهة يتأملون هذا الوهم لو كان صحيحا ، لكان اليهود فى جميع أنحاء العالم متشابهين فى السحنة والمنظر والتقاطيع ، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن الفروع تشبه الأصل وتتشابه فيما بينها تشابها شديداً . ولو نظرنا إلى اليهود فى مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر والسمر والسود . وهذا يدحض ادعاءاتهم كما دحضها علماء الاجناس الذين أشرنا إليهم آنفا .

ولا حاجة إلى القول بأن اليهودية دين وليست قومية ، شأنها شأن الأديان السماوية كالمسيحية والإسلام ، كما أن دعوى القومية اليهودية لا تستند إلى أى اساس ، فيهود العالم فى القرن التاسع عشر كانوا يفتقدون إلى كافة مقومات القومية المتعارف عليها :

١ – فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك أو تراث حضارى مشترك .

٢ – ولا تجمعهم لغة واحدة مشتركة ، بل كانوا يتحدثون فى غالبية الأحوال لغات البلاد التى عاشوا على أرضها ، باستثناء فريق من يهود الرين الأوسط وروسيا وبولندا ، والذين كانت لهم لغة متميزة هى اليديش Yiddish أو الجوديش دويتش Judisch Deutsch فهذه كانت لغة أدب وثقافة . أما العبرية فكانت لغة ميتة منذ ألفى عام إلى أن عملت الصهيونية على إحيائها فى إسرائيل .

٣ – وتختلف عاداتهم وتقاليدهم وفقا للمجتمعات التى نزحوا إليها .

٤ – ولم يعيشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا إلى أرجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر يرجع إلى بدايات التاريخ اليهودى .

٥ – ولم يكن يربطهم فى القرن التاسع عشر سوى الشعور بالتضامن الذى خلقته ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة ، وأمل العودة إلى أرض الميعاد من الدياسبورا Diaspora أى أراضى الشتات أو المنفى[1] .

---

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٣٧ – ٣٨

ومهما يكن من أمر ، فان الصهيونية واليهودية صنوان لا يفترقان ، وان كانت الصهيونية قد تحولت إلى حركة سياسيه وتعاونت مع الدول الاستعمارية عليها تحقق ما تريد . وقد نجحت فى ذلك . غير أن الكثيرين من الصهيونيين يعرفون حقيقة الأمر وهو أن الدول الاستعمارية أقامت إسرائيل لتحقق من خلال وجودها (أى إسرائيل) مصالحها الاستعمارية . ومن جهة أخرى ، فإنها لا تسمح لإسرائيل بالتوسع إلا إذا كان ذلك التوسع يخدم مصالح الدول الاستعمارية . وانطلاقا من هذا المفهوم فإن اليهود المتدينين لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم فى المحافظة على كيانهم لولا ما يلقونه من دعم أجنبى وخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية . ولذلك فإن هذا الكيان الإسرائيلى لن يعمر طويلا ، وقد بدأ التآكل يدب فى جسده من الداخل فقد ظهرت التناقضات الإجتماعية المختلفة من فئاته ولم يبق إلا أن يتحد العرب والمسلمون فى قيادة عسكرية واحدة لتحرير بيت المقدس كما حررها من الصليبين البطل صلاح الدين الأيوبى .

واستندت الصهيونية منذ نشأتها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على ثلاثة ادعاءات من أجل المطالبة بفلسطين وانتزاعها من أيدى أصحابها العرب ، وهذه الادعاءات الثلاثة هى :

أولا : الوعد الالهى لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد : وتقوم الدعوى الصهيونية فى فلسطين أساسا على ما يسمى « بالوعد الإلهى » لابراهيم منذ أربعة آلاف سنة ، حيث جاء فى التوراة إلى "نسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر (النيل) إلى النهر الكبير (نهر الفرات)" واتخذت الصهيونية من هذا الوعد سندا رسميا لها نسجت حوله التفسيرات والأساطير الواسعة ، لتجنيد جماهير اليهود فى تحقيق مخططاتها السياسية ، مدعية ان عبارة « نسل إبراهيم » تعنى أولئك الذين يعتنقون اليوم الديانة اليهودية دون سواهم ، سواء أكانوا من نسل ابراهيم أم لا .

وقد دحض مشاهير العلماء والباحثين هذا السند المقطوع لأسباط ابراهيم بأرض الميعاد ، فاكدوا خطأ تصور اليهود لهذا الادعاء ، لأن عبارة نسل إبراهيم

تشمل دون شك العرب لأنهم من ذرية إبراهيم عن طريق ابنه اسماعيل من زوجته هاجر. زد على ذلك أن الوعد قد قطعه الله لنسل إبراهيم قبل مولد اسماعيل واسحق.

ومن جهة أخرى، فليس من المعقول القول بأن اليهودى لابد أن يكون من نسل إبراهيم، ذلك أن كثيرا من اليهود فى التاريخ القديم والحديث كانوا يتحولون إلى اليهودية من عنصر آخر.[1]

ويقول جيوم Alfred Guillaume [2] ان الآشوريين حين أزاحوا سكان السامرة وأزاح البابليون سكان يهوذا، رأى الأنبياء الإسرائيليون فى هذه النكبات تحقيقا للعدالة الالهية على شعب عاصى متمرد على الناموس (أى جبريل عليه السلام) ولكنهم علموا شعبهم أن بقية منهم سوف تعود. وعاد اليهود بالفعل من حيث أتوا وأعادوا بناء الهيكل، ولم يلبثوا أن مارسوا فترة قصيرة من الاستقلال السياسى، وبذلك تكون نبوءة العودة قد تحققت ولا يمكن أن تتحقق ثانية، ولا تشمل التوراة على بنوءة بالعودة الثانية، بعد عودة اليهود من الأسر البابلى، هذا فضلا عن أن آخر أنبياء اليهود قد مات قبل تدمير الهيكل عام ٧٠ م بقرون.

ثانيا. حق اليهود التاريخى فى فلسطين.

تدعى الصيونية بأن لليهود حقا تاريخيا «وعلاقة تاريخية» بفلسطين، اذ كانت لهم فيها دولة ازدهرت فى عهد داود وابنه سليمان. وتناست الصهيونية أن مملكة داود وسليمان لم تدم إلا ما يقرب من ثلاثة وسبعين سنه من عام ١٠٠٦ إلى عام ٩٣٣ ق. م، كما أن مملكتى اسرائيل ويهوذا اللتين ورثتا مملكة سليمان، لم تشملا كل فلسطين، بل اقتصرنا على ما حول السامرة واورشليم وما جاورهما من قرى، فضلا عن أن دورهما فى التاريخ السياسى اليهودى كان محدودا للغاية فقد

---

(١) السيد رجب حراز: المصدر السابق، ص ٣٢

(٢) Guillaume, A.: Israel according to Holy sriptures, (London 1961)

اندمجت اسرائيل فى الإمبراطورية الأشورية عام ٧٢٢ ق .م وسقطت يهوذا « فى يد البابليين عام ٥٨٦ ق . م . وتناست الصهيونية كذلك أن فلسطين عربية منذ أربعة عشر قرنا ، وأن اليهود قد غادورها للمرة الأخيرة منذ ألفى عام ، ومنذ ذلك التاريخ لم يبق لليهود فيها أية صلة سياسية أو علاقة تاريخية أو وضع قانونى وأنها أصبحت منذ ذلك الزمن البعيد بسكانها وآثارها وحوادثها وتاريخها للذين تملكوها واحتفظوا بها وحافظوا عليها .

وغنى عن البيان أن العلاقة التاريخية المزعومة للاسرائيليين مع فلسطين كانت فى أحسن الأحوال علاقة قصيرة متقطعة غير مستقرة ، بدأت واندثرت منذ وقت طويل ، وهى فى الأصل لا تقوم على شىء أفضل من حق الاحتلال الناجم عن الغزو . وإذا كان هذا « الاحتلال المؤقت » يمكن أن يعطى اليهود حقا تاريخيا فى العودة إلى فلسطين فحينئذ يحق للعرب أن يطالبوا بجميع الأقطار والأقاليم التى خضعت لسلطانهم قديما وامتلاك أسبانيا التى أنشأوا فيها دولة ذات شأن طوال ثمانية قرون زاهرة متواصلة ، ويحق للأتراك أن يطالبوا بامتلاك البلقان حتى أبواب فينا وغير ذلك من الأمثلة كثير . ولكن فى ذلك رجوعا إلى الفوضى والاضطراب والنزاع مما لا يقبله منطق ولا يؤيدة قانون .

ثالثا : القومية اليهودية : يزعم الكتاب الصيونيون أن الحركة الصهيونية هى احدى ثمار الحركات القومية الحديثة ، وتنتمى إلى هذه الحركات التى عرفتها أوروبا فى العصر الحديث ، كما تستمد جذورها من التاريخ السحيق فى نفس الوقت . ويردد هؤلاء الكتاب أن اليهود يمثلون جنسا نقيا لم يدخله عنصر غريب منذ نزحوا عن فلسطين إلى بلاد أخرى . وقد فندت هذه الأقوال فى موضع سابق من البحث .

وفيما يتعلق برأى الدراسات الأنثرو بولوجية فى يهود اليوم ، فقد أعلن الأتحاد الأمريكى للأنثروبولوجيا عام ١٩٣٨ أن لفظ « سامى.» إنما هو تعبير لغوى ليس له أى مدلول « جنسى » Racial وأنه ليس هناك جنس يهودى[١] .

---

(١) Lilienthal, A.: what price Israel? pp. 213-214

ويرى الانثروبولوجى فردريك هيرز Friedrich Herz أن اليهود يتكونون من أجناس مختلطة ، كما أن يوجين بيتارد Eugene Pittard يرى فى كتابه الجنس والتاريخ Race and History أن اليهود يتكونون من عناصر مختلفة جدا وليس هناك شىء اسمه « جنس يهودى » ، فاليهودية عقيدة دينية لها أتباع من كل الأجناس البشرية [١] .

ويرى Ripley أن أصول اليهود لم تعرف النقاء الجنسى وأن يهود اليوم لا يكونون جنس واحدا [٢] ، ويشاركه هادون Haddon فى هذا الرأى فيرى ان اليهود الذين يتكونون من أصول مختلفه لا يمكن أن يقال عنهم أنهم جنس نقى [٣] .

ويقول سامى هداوى حول نقاء الجنسى اليهودى ما يلى : أن هناك اختلافا كبيرا بين الصفات الجسمية لليهود وفى فصائل الدم أيضا ، وهذا يرجع إلى عدم توحيد الجنس وتناقضهم [٤] . كما أن اليهود لا تنطبق عليهم صفة القومية لأنهم لا يشكلون أمة إذ لا تجمع اليهود أرض واحدة ولا لغة واحدة ولا تاريخ واحد [٥]

والصهيونيون أنفسهم فى عهد الاضطهاد الهتلرى نادوا بأن اليهود لا يؤلفون عنصرا نقيا ، بل يتكونون من عديد من السلالات البشرية المتناقضة وذلك فى مجال دحض الحجة التى استندت إليها النازية فى اضطهادهم .

وهكذا يبدو تهافت ادعاءات الصهيونية فى فكرة الشعب اليهودى ونقائه الجنسى ، كما يتضح مما تقدم كيف توجه فكرة الجنس اليهودى حسب المصالح والأهواء الصهيونية ، فاذا رأوا فى نفيها ما يحميهم من اضطهاد النازية أنكروها ونفوها ، وإذا احتاجوا إليها لتدعيم مزاعمهم فى فلسطين قاموا ينادون بها رغم

---

(١) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٣٤ .

(٢) Ripley, w: op. cit., pp. 392, 400

(٣) Maddon, A.C.; op. Cit., p.2.

(٤) Hadawi, sami: palestine,(Cano 1965) pp. 16-17

(٥) سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس ، ص ٧١ .

مخالفتها للحقائق العلمية والتاريخية[1] وبذلك نكون قد فندنا بصورة علمية اليهودية وتناقضها مع الحقائق العلمية التاريخية مما ينفى بشكل مؤكد ادعاءاتهم المزعومة . وستتابع بعد ذلك وصف الأفكار التى استندت إليها الفلسفة الصهيونية وتفنيدها .

ثانيا : الدنيا بأسرها ملك للإسرائيلى ومن حقه أن يتسلط عليها بوصفه مساو للعزة الالهية[2] ، ومن الأمثلة التى توضح لنا هذه الفكرة ما ورد فى الرد الذى بعث به المجتمع اليهودى العالمى إلى يهود فرنسا ردا على شكواهم من تهديد المواطنين الفرنسيين فى اكس وال ومرسيليا لمعابد اليهود . والواقعة ترجع إلى القرن الخامس عشر ، وقد ورد فى الرسالة الجوابية : «أيها الأخوة الأعزاء بموسى . . . . تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا وإليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين بمقتضى قولكم أن ملك فرنسا يجبركم على أن تعتنقوا الدين المسيحى ، فاعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا . غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم بمقتضى قولكم أنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاكهم فاجعلوا أولادكم تجارا لتتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم ، وبمقتضى قولكم أنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة ليهدموا كنائسهم ، وبمقتضى قولكم أنهم يسومونكم اعتداءات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل ليتدخلوا فى مسائل الحكومة لتخضعوا المسيحيين لغيركم فتستولوا على زمام السلطة العليا ، وبذلك يتسنى لكم الانتقام . . فسيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم فى ذلك تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة . التوقيع : أمير اليهود »[3] .

ومما جاء فى بروتوكول حكماء صهيون بشأن سيطرة الهود على العالم ما نصه :

---

(١) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٣٥ .

(٢) عبد المنعم شميس : اسرار الصهيونية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٠

(٣) السيد أحمد حامد الفقى : الصهيونية ساخرة ، ص ١٣٤ وما بعدها .

« اعتدنا نحن حكماء صهيون أن نجتمع مرة كل مائة عام بهيئة مجمع ديني لنبحث ما وصلنا إليه من تقدم نحو السيطرة التي وعدنا بها يهوه (اله اسرائيل) . كان الذهب وسيظل دائما القوة التي لا تقاوم ، فبالذهب نشترى الضمائر الصلبة ونحدد الأسعار والأوراق المالية وأسعار المنتجات ونعقد القروض للدول فنسيطر عليها . . . فلنحاول استبدال العملة الورقية بالذهب لنملأ صناديقنا بالذهب فندفع قيمة الورق ونصبح أسياد الجميع »[1] .

ان هذه الأفكار وان كان مبعثها فى الأصل مبنيا على معتقدات دينية ، إلا أنها أخذت تتسم مع الزمن بطابع يعتمد على استراتيجية اقتصادية تهدف إلى السيطرة والاستيلاء على مقدرات البلاد التي يعيشون فيها (اليهود) وفق نهج مرحلى يراعى الظروف السياسة والاجتماعية فى البلاد التى يعيش فيها اليهود .

أما النقطة الثالثة التي ترتكز عليها الصهيونية فهى فلسطين وهى الهدف الأساسى لليهود وهى نقطة الارتكاز التى يبدأ منها سيطرتهم على العالم ، ففيها (يجب أن تقوم دولتهم لأنها . على حد قولهم أرض الميعاد ، ولذلك يقول اليهود أن فلسطين أرض مقدسة لا يحق لأية فئة احتلالها ، وإنما هى حق لليهود وحدهم)[2] .

وقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون أن فلسطين ليست إلا حقل تجارب لإسرائيل فى الزراعة تمهيدا للثورة العمالية القادمة وبقى اليهود البعيدون عن فلسطين يراودهم الحلم بالعودة إلى الأرض المقدسة واستعادتها (وإعادة بناء أورشليم) كما كانوا يتغنون فى مزاميرهم بالأرض المقدسة ويصلون من أجل الرجوع إليها . وقد ظلت فكرة العودة إلى فلسطين تراود اليهود منذ نهاية غزوهم لها وطردهم . وقد تناقلت الأجيال المتعاقبة هذه الأفكار ولذا فإن فلسطين على حد زعمهم هى حجر الزاوية فى معتقدات اليهود الدينية .

---

(١) محمد خليفة التونسى : بروتوكومات حكماء صهيون ، ص ١٢٠ .

(٢) محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين امام القانون الدولى ، ص ١٩ — ٢٠ .

وتزعم الصهيونية كذلك أن اليهود فى شتى أنحاء العالم يمثلون شعبا واحدا ينتمى إلى أصل واحد وأن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين ، ومن ثم يجب أعتبار يهود العالم جميعا اعضاء فى الجنسية الإسرائيلية[1] .

وحقيقة الأمر أن اهتمام اليهود بفلسطين ليس مرده الاهمية الدينية كما يزعمون ، بل هى الأهمية الاستراتيجية . كما ذكرنا حوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى الذى بين بوضوح الهدف الحقيقى لاختيار فلسطين هدفا للصهيونية وقاعدة للاستعمار . فقد قال فى محاضرة له فى مونتريال فى كندا عام ١٩٤٧ نشرتها جريدة الاتحاد الوطنى الناطقة بالفرنسية عدد ١٢ عام ١٩٥٣ م « لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتى والدينى بالنسبة إليهم ، ولا لأن مياه البحر الميت تعطى بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضا لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الامريكتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هى ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجى للسيطرة على العالم »[2] .

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تنشأ الصهيونية فى أوروبا ، وأن يكون توقيت ظهورها فى نهاية القرن التاسع عشر ، وأن تصوغ أيدلوجيتها على الوجه الذى صاغته فيه . فالأوضاع الاقتصادية والسياسية هى التى أوجدت المناخ المناسب لظهور اللاسامية[3] ومن ثم ظهرت الصهيونية التى زعم أصحابها أنها الرد الوحيد على اللاسامية ، فقد ولدت الصهيونية على فراش الاستعمار الأوربى وغذتها المطامع الدولية .

وعلى أثر انتشار فكرة القوميات فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، أخذ بعض مفكرى اليهود وفلاسفتهم يفكرون فى حل للمشكلة اليهودية فى أوربا

(١) سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس ، ص ٤٥ .

(٢) رفيق شاكر النتشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٥٨ .

(٣) Herzle, Theodor: The jewish state (New york 1972)p.27.

والتخلص من الاضطهاد الذى لا قوة هناك ، فوجدوا أن خلاصهم من أرض الشتات لابد أن يكون على أساس من الفكر الدينى اليهودى وكان على رأس هؤلاء الحاخام يهوذا القالى (١٧٩٨ ١٨٧٨) الذى عاش فى البلقان فى أعقاب الحرب اليونانية التحررية ، التى تميزت بالشعور القومى ضد الدولة العثمانية . وقد تأثر القالى بهذه الحرب فنشركتيبا بعنوان اسمعى يا اسرائيل عام ١٨٣٤ ، اقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية فى فلسطين كأساس لخلاص اليهود من شتاتهم واضطهادهم [١] . وقد هاجر القالى إلى فلسطين وهو فى السبعين من عمره ، وحينما توفى فيها عام ١٨٧٨ م قام عدد من أتباعه بشراء قطعة من الأرض وأنشأوا عليها أول مستعمرة زراعية لليهود فى فلسطين هى مستعمرة « بتاح تكفا » والتى تعنى « باب الأمل » وكانوا بذلك يضعون افكار القالى موضع التنفيذ [٢] .

ومما يجدر ذكره أن حياة اليهود فى فلسطين فى تلك الفترة كانت تعكس ظلالا قاتمة إذ كان لا يذهب إليها من اليهود إلا كبار السن ، الذين يرغبون فى قضاء آخر أيامهم فى القدس . وخير وصف لحياتهم تلك جاء على لسان القنصل الأمريكى فى القدس عام ١٨٧٨ م إذ يقول : « ويهود القدس خاصة فقراء كسالى ، ضعاف العقول والأجسام يبدو أن القدس محطة يتلاقى فيها اليهود المتعصبون المشوهون والعجائز ليعيشوا هنا على الشحاذة والإحسان ، وليقضوا بقية العمر ينوحون أمام حائط المبكى » [٣] .

ولم يكن القالى هو الأوحد فى هذا المضمار ، فقد تلاه عدد من المفكرين اليهود الذين طوروا الدعوة إلى الهجرة اليهودية والاستيطان فى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية فى أرض الشتات ، وكان فى مقدمة هؤلاء الحاخام زفى هيرش كاليشر Ziv Hirseh Kalisher (١٧٩٥ – ١٨٧٤) المولود فى بوطون فى بولونيا ، والذى عمل حاخاما لمدة أربعين عاما فى مدينة ثورن ،

(١) أنيس صايغ واخرون : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .
(٣) اسحق موسى الحسينى : عروبيت المقدس ، ص ١٨ .

وكانت حياته معاصرة لحركة الإصلاح الدينى اليهودى ، إلا أنه عارضها بشدة ، ودعا إلى ضرورة التمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة وشدد على ضرورة إبراز العلاقة بين اليهودى والأرض المقدسة[1] .

وحين تأسست « جمعية رعاية الاستيطان اليهودى فى فلسطين » عام ١٨٦٠ فى مدنية فرنكفورت ، انضم كاليشر إليها واستمد فيها أفكاره التى طرحها فى كتابه « السعى إلى صهيون » Derishat zion الذى نشر عام ١٨٦٢ م . وقد بالغ كاليشر فى هذا الكتاب فى وصفه لحياة اليهود فى أوروبا الشرقية ، ودعا إلى إنهاء الاضطهاد والذى يعانونه هناك ، بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان الدائم فيها [2] .

وراح كاليشر يطوف فى بلدان أوربا داعيا لتطبيق أفكاره ، مما حمل جماعة من اليهود على شراء قطعة من الأرض بالقرب من مدينة يافا عام ١٨٦٦ حيث قامت جمعية الاليانس الاسرائيلية[3] بإنشاء مدرسة زراعية أسمتها « مدرسة ميكفاه إسرائيل الزراعية » Mikveh Israel Agri cultural school لكى تتولى الاعداد لإقامة المستوطنات الزراعية الصهيونية فى فلسطين وكان كاليشر يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت دعائم الاستعمار الاستيطانى فى أرض فلسطين . وهكذا استطاع كاليشر أن يخطو بالفكرة الصهيونية خطوة هامة إلى الأمام[4] .

كما أسهم فى بناء الفكر الصهيونى الحديث مفكر إجتماعى يهودى آخر اسمه موسى هيس Moses Hoss (١٨١٢ – ١٨٧٥) وقد ولد فى بون فى

---

(١) أنيس صائغ واخرون : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ١٣ ، ١٦ وانظر كذلك أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، ص ١٥ – ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٣) جمعية يهودية تأسست فى فرنسا عام ١٨٦٠ لتشجيع شراء الأراضى ، وإقامة المستوطنات الصهيونية على أرض فلسطين .

(٤) أنيس صايغ واخرون : المصدر السابق ، ص ١٣

ألمانيا ، وتلقى أصول الدين اليهودى واللغة العبرية على يد جده لأمه . وكان فى بداية حياته متدينا ، ثم مال إلى الاشتراكية ، وغدا فى النهاية صهيونيا وقد اعتبره بعضهم منشىء الصهيونية ، إذ يقول عنه هرتزل : «كل شيء حاولناه يمكن العثور عليه فى آثاره »[1] وأهم تلك الآثار كتابه . روما والقدس » الذى نشره عام ١٨٦٢ ، وفيه اقترح هيس حلا للمشكلة اليهودية على أساس توطين اليهود فى فلسطين ، ووجدت الأجيال اللاحقه فيا تضمنه هذا الكتاب من آراء ، أساساً للعقيدة الصهيونية الجديدة[2] .

والواقع أن آراء هيس لم تختلف عن آراء سابقه كاليشر ، إلا أنه أكد فى كتابه هذا على استحالة ذوبان اليهود فى المجتمعات الأوروبية ، وانتهى إلى أن الحل القومى هو الأساس لحل لمشكلة اليهودى . وبناء على ذلك ، دعا إلى إقامة المستعمرات اليهودية فى فلسطين[3] . وهكذا نرى أن الفكر الصهيونى المنسلخ أصلا عن الفكر الدينى اليهودى بدأ يتطور ويبتلور فى إطار الفكر القومى الذى كان يسود أوروبا أنذاك .

وقد أضيفت لبنة جديدة فى صرح الفكرة الصهيونية على يد ليون بنسكر Lcon pinsker (١٨٢١ - ١٨٩١) ، وهو طبيب روسى ولد فى بولونيا ، وبدأ عام ١٨٦٠ يهتم بالشؤون اليهودية ، وكان فى بداية حياته يؤمن بافكار حركة التنوير (الهسكلاه Haskalah) التى كانت تدعو اليهود إلى الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، ولكن أفكاره هذه ما لبثت أن تغيرت ، كما تغيرت أفكار كثيرين من إتباع هذه الحركة على اثر مذبحة اليهود فى روسيا عام ١٨٨١ فى . أعقاب اغتيال قيصر روسيا اسكندر الثانى (١٨٥٥ - ١٨٨١) حيث اتهم اليهود بالإشتراك فى مؤامرة الإغتيال[4] . وهكذا كانت

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠

(٢) إبراهيم أبو لغد : تهديد فلسطين ، ص ٢٧ .

(٣) أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، ص ١٨ وانظر أيضا محمود السمره : فلسطين الفكر والكلمة ص ٤٦ .

(٤) Roth, cecil: Ashort History of the Jewish people, p.387.

هذه المذبحة العامل المباشر فى فشل حركة التنوير ، مما اضطر يهود روسيا للاتجاه إلى إعتناق الفكرة القومية ، واتخاذها اسلوبا للخلاص من الإضطهاد[1] .

وفى عام ١٨٨٢ ، نشر بنسكر كتابه « التحرر الذاتى » الذى تعرض فيه لحياة البؤس والإذلال التى يعيشها يهود أوربا الشرقية بخاصة ، وبالغ فى ذلك كثيرا ، وتوصل فى النهاية إلى أن حل المشكلة اليهودية يكون عن طريق تحرير اليهود ذاتيا فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، والسماح لهم بالهجرة إلى وطن يمارسون فيه السيادة على أنفسهم . ويلاحظ أن بنسكر لم يذكر اسم فلسطين فى كتابه ، وإنما كان همه الأول إيجاد قومية يهودية تعيش على أرض يهودية مستقلة[2] . وعلى ذلك استطاع بنسكران يطور الفكرة الصهيونية من الفكر الدينى التقليدى إلى الفكر السياسى القائم على اعتبار اليهود أمة لها مقومات خاصة .

والواقع أن بنسكر كان يعتقد بادئ ذى بدء أن بالإمكان إيجاد وطن قومى لليهود فى أى جزء من العالم ، وليس بالضرورة أن يكون ذلك الوطن فى فلسطين ، مما جعله يتعرض لنقد شديد من قبل المتعصبين اليهود الذين كانوا يصرون على أن تكون فلسطين وحدها هى أرض ذلك الوطن ، فاضطر بنسكر على أثر ذلك إلى أن يغير من اراثه تلك ويصبح صهيونيا ملتزما[3] .

وعلى أى حال ، فقد أصبح كتاب بنسكر السالف الذكر بمثابة الكتاب المقدس لكثير من اليهود الذين راحوا يؤلفون الجمعيات من أجل شراء الأراضى فى فلسطين لإقامة المستعمرات اليهودية عليها . وكان من بين تلك الجمعيات واحدة تسمى « البيلو » Bilu ، وقد تألفت من عدد من طلاب جامعة خاركوف فى روسيا عام ١٨٨٢ . وكان هؤلاء الطلاب يرفعون شعارا يدعون فيه اخوانهم من يهود الشتات إلى العمل بجد من أجل استعادة أرض فلسطين ، ونص ذلك الشعار : « إذا لم أساعد نفسى فمن يساعدنى ، يا بيت يعقوب هلم بنا

---

(١) Tylor, Allan. prelude to Israel, p.2.

(٢) أنيس صايغ واخرون : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

نذهب » Beth Jacop lech Ue-neleha [1] . ومن الحروف الأولى من هذه الكلمات العبرية تكونت كلمة Bilus) التى عرفت بها الجمعية فيما بعد . ولكن هذه الجمعية كانت قد فشلت فى الحصول على ترخيص من الباب العالى لشراء الأراضى فى فلسطين من أجل إقامة مستعمرات يهودية عليها . فقد تنبهت السلطات العثمانية لما يدور فى خلد الصهانية ، فأصدرت فى إبريل عام ١٨٨٢ قانونا بمنع اليهود من الإستيطان فى فلسطين[٢] .

ولكن القانون العثمانى لم يثن من عزيمة بنسكر الذى واصل جهوده ، فألف جمعية زرو بابل zeru Babel فى مدينة أوديسا عام ١٨٨٣ ، وتولى رعايتها حتى غدت مثالا يحتذى لكثير من الجمعيات اليهودية التى راحت تقلدها فى أهدافها من أجل انجاح الإستعمار الإستيطانى اليهودى فى فلسطين . إلا أن أهم أعمال بنسكر على الإطلاق كانت جهوده التى بذلها لتوحيد تلك الجمعيات اليهودية فى حركة واحدة سميت حركة « أحباء صهيون » وذلك على أثر إنعقاد مؤتمر دروسكينجى Droskiniki عام ١٨٨٧[٣] .

وهكذا نبتت البذور الأولى للحركة الصهيونية السياسية . فى عام ١٨٩٠ حصلت حركة أحباء صهيون برئاسة بنسكر على اعتراف رسمى من روسيا ، وذلك عندما منحت ترخيصا للعمل باسم « جمعية دعم الزراعيين والحرفيين اليهود فى فلسطين وسوريا[٤] »
Society for support of Jewrish Agriculturalists and Artisans in palestine and syria .

وقد انبعثت الحماسة لدى أحباء صهيون عندما اقدمت السلطات العثمانية على رفع الخطر عن الإستيطان اليهودى فى فلسطين عام ١٨٩٠ ، مما دفع إلى تشكيل لجنة برئاسة بنسكر لتشجيع شراء الأراضى فى فلسطين والاشراف على الهجرة اليهودية إليها . وجرى افتتاح مكتب لهذا الغرض فى مدينة يافا ، إلا أن السلطات

---

(١) Laqueur, W.: The Israel Arab Reader, p.3
(٢) أسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ، ص ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) Tylor, Allan: prelude to Israel, pp. 2-3.

العثمانية سارعت فأمرت بإغلاقه نتيجة لإحتجاج عرب فلسطين على عمليات الاستيطان اليهودى فى بلادهم . وقد أفضى ذلك العمل إلى خيبة أمل لدى حركة أحياء صهيوني ، فتوقفت عمليات الإستيطان اليهودى فى فلسطين مما أوقف إستمرارية تقدم وتطور الصهيونية السياسية[١] .

وفى العام التالى ١٨٩١ ، توفى بنسكر ، فانقسمت على أثر ذلك حركة أحباء صهيون إلى ثلاثة تيارات :

التيار الأول : وظل مصراً على الإتجاه العملى القائم على ضرورة استعمار فلسطين عن طريق الإستيطان والهجرة ، وكان هذا التيار بزعامة ليلينبوم . Lilinbum

التيار الثانى : وكان أتباعه يعتقدون بضرورة القيام بعمل ثقافى وروحى فى فلسطين قبل البدء فى عملية الإستيطان ، وكان هؤلاء بزعامة أحدها عام . Ahad Ha'am

التيار الثالث : وهم الصهيونيون الدينيون الذين ظلوا مصرين على حبهم لصهيون[٢] .

وكان التيار الثانى يعارض بشدة عمليات الإستيطان الفورى فى فلسطين ، مما جعل التيارات الأخرى تعتبر أتباعه منشقين عن حركة أحباء صهيون . وقد دفع هذا العمل زعيم ذلك التيار أحدها عام[٣] ، إلى تكوين جمعية منفردة أطلق عليها اسم « جمعية بنى موسى » ، ثم قام بزيارتين لفلسطين الأولى عام ١٨٩١ ، والثانية عام ١٨٩٣ واستفاد من هاتين الزيارتين فى وضع ملاحظاته عن البلاد ، وكان أهمها أن فلسطين غير صالحة لاستيطان كل المهاجرين اليهود ، وأنه مهما هاجر إليها منهم فإن الموقف السياسى لهؤلاء المهاجرين سيظل ضعيفا ، لأنهم لن

---

(١) أسعد رزق : إسرائيل الكبرى ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق وانظر أيضا : Taylor, A.: op. cit., p.3

(٣) اسمه الحقيقى أشير جيز برج (١٨٥٦ – ١٩٢٧) ، كان من زعماء حركة أحباء صهيون فى أوربا ، أما أحدها عام ومعناها واحد من الناس فقد كان اسما مستعارا يوقع به مقالاته اللاذعة التى كان يعالج فيها أمور الحركة الصهيونية

يصحبوا مزارعين أكفياء فى نظره[1] . وحقيقة الأمر ، أن زعماء أحباء صهيون الآخرين كانوا يعلمون علم اليقين بأن فلسطين لا تصلح لإستيطان اليهود ، وإنها مكتظة بسكانها العرب ، لكنهم كانوا يضللون اليهود فى الخارج بأن فلسطين هى أرض خالية من السكان وهى الفردوس المفقود وستجدوا الراحة والنعيم هناك .

تلك هى الصورة التى كانت عليها حركة أحباء صهيون ، عندما برز إلى الساحة زعيم صهيونى جديد تم على يديه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ألا وهوتيودورهرتزل Theodor Herzel (١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذى يعتبر بحق مؤسس الصهيونية الحديثة[2] .

وقد ولد هرتزل فى بودابست فى ٢ مايو عام ١٨٦٠ [3] ، وكان الابن الوحيد لأحد أثرياء اليهود فيها ، وأثرت والدته عليه تأثيرا كبيراً ، فغرست فى نفسه منذ نعومة أظفاره أنه سيؤدى رسالة هامة فى حياته . وبعد أن أنهى تعليمه الثانوى فى بودابست انتقلت أسرته إلى « فينا » وهناك التحق عام ١٨٧٨ بكلية الحقوق وتخرج فيها بعد حصوله على درجة الدكتوراه عام ١٨٨٤ ، ولكنه لم يعمل فى المحاماة إلا عاما واحدا ، ثم اتجه إلى الصحافة ، وبدأ عمله محررا لصفحة أدبية فى إحدى الصحف ، ثم عرضت عليه أشهر الصحف النمساوية (Neu Freie presse ، أن يكون مراسلالها فى باريس عام ١٨٩١ ، فقام بهذه المهمة حتى عام ١٨٩٦ ، حين عاد إلى فينا ليرأس تحرير القسم الأدبى فى نفس الصحيفة[4] .

وكانت إقامة هرتزل فى فرنسا قد جعلته يهتم بالمسألة اليهودية ، وبخاصة أن باريس آنذاك كانت مسرحا لقضية « الكابتن دريفوس »[5] التى ازداد على

(١) Cohen, Israel: Ashort History of zionism, p.26.

(٢) Laqueur, w: op. cit., p.6.

(٣) أسعد عبد الرحمن : المنظمه الصهيونية آلعالمية ، ص ٢٠ .

(٤) أنيس صايغ واحروف : الفكرة الصهيونية ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٥) دريفوى ضابط يهودى فرنسى ، اتهم بالخيانة وحكم عليه بالسجن والتجريد من جميع القابه العسكرية وأهين علنا ، وكان الحاضرون للمحاكمة يهتفون « الموت لليهود » وقد حضر هرتزل المحاكمة بنفسه كمراسل صحفى لجريدته .

أثرها العداء لليهود . وشعر هرتزل أن اليهودى دائما يكون كبش الفداء فى مثل هذه القضايا ، ولذا راح يبحث عن حل لقضية العداء لليهود ، فوجد أن المشكلة اليهودية لن تحل إلا على أساس قومى ، ولذا قام هرتزل بنشر آرائه عام ١٨٩٦ فى كتاب أسماه الدولة اليهودية Der Judenstaat ، دعا فيه إلى إقامة دولة ذات سيادة[1] . ولكنه ترك لليهود حرية الإجماع على إختيار الأرض التى سيقيمون عليها تلك الدولة ، وإن كان لا يخفى تفضيله لفلسطين التى قال عنها : « أنها وطن اليهود التاريخى الذى لا يمكن أن ينسى ، ويكفى أن سحر هذا الاسم سيجلب اليهود إليها[2] . واقترح هرتزل فى كتابه السالف الذكر ، دستورا للدولة اليهودية ودعا إلى تكوين جيش صغير مسلح بأحدث الأسلحة للدفاع عنها ، كما اقترح شكلا لعلم تلك الدولة[3] . وقد ركز هرتزل فى كتابه على أن المشكلة اليهودية ليست مشكلة اجتماعية أو دينية فحسب بل هى مسألة قومية قبل كل شيىء ، ولابد من إيجاد حل سياسى لها تشترك فيه الأمم المتحضرة[4] . كما أن هرتزل قد وضع خطة لإقامة الدولة اليهودية المنشودة بوساطة هيئتين هما : جمعية لليهود ، وشركة يهودية تعمل إلى جانب الهيئة الأولى فى تمويل عملية إنشاء المجتمع اليهودى[5] . وبذلك يكون هرتزل قد حول أمانى العودة إلى صهيون من هدف دينى إلى هدف سياسى ، كما أدخل فكرة الهجرة إلى يهود الغرب الذين كانوا يسيرون فى طريق الإندماج مستفيدين بعوامل التسامح[6] .

إعتبر هرتزل أن « معاداة السامية » على حد قوله . قوة متأصلة دائمة فى نفوس غير اليهود ، ولاشفاء منها « فكل الجوييم (الأغيار) وعلى الدوام إعداء لكل اليهود » . All goyim ever lastingly against all Jews. ويجب على اليهود أن يعرفوا كيف يستخدمون معاداة السامية لصالحهم ، وكان حل المشكلة

---

(١) Taylor, A: op. cit.,pp. 3-4.

(٢) Herzel, theoclor: The Jewish state, p.66.

(٣) Tbid ., pp. 132-138

(٤) Lenzowski, Georgi: The Middle East in the world Affairs, p.260.

(٥) Laqueur, walter: op. cit., pp. 9-10.

(٦) وليم فهمى : المصدر السابق ، ص ٢٦ .

اليهودية فى نظره « أن اليهود الذين يكونون جماعة بيولوجية » يجب أن تكون لهم أمة مثل باقى الأمم فى دولة خاصة بهم ، وأن يعطى الشعب اليهودى بلا أرض ، أرضا بلا شعب » .[1]

to give to the people without land, a land without people

ومما لا ريب فيه أن هناك مغالطات وتناقضات فى أقوال هرتزل ، فهو يدعى أن كل الشعوب معادية لليهود ، وحقيقة الأمر أن المسلمين – بإعتراف اليهود أنفسهم –كانوا الملجأ الآمن لهم كلما تعرضوا لإضطهاد فى أوربا فلم يسبق أن إضطهدوا من قبل المسلمين ، بل كان الإسلام يمنحهم الأمان فى ظل الدوله الإسلامية . وهناك إدعاء زائف آخر قاله هرتزل عن أن اليهود يكونون جماعة بيولوجية ، والواقع غير ذلك كما أشرنا إليه سابقا وفندناه فى بداية حديثنا عن الصهيونية ، والأدهى وأمر من ذلك أن كشف القناع عن الفكره الصهيونية القائلة بطرد الشعب العربى الفلسطينى واحلال شعب الشتات اليهودى محلهم .

ولما كان هرتزل يعتقد أن خطة إقامة الدولة اليهودية لا يمكن أن يتم على يد رجل واحد ، فقد دعا إلى عقد مؤتمر صهيونى عالمى ، وعقد بالفعل المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس عام ١٨٩٧ ، وحضره مائتان وأربعة من مفكرى اليهود ، وكان هرتزل مهندسه الحقيقى ، واستطاع المؤتمر أن يخرج بقرارات هامة عرفت . ببرنامج بازل » وكانت تهدف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين يضمه القانون العام »[2] وحدد المؤتمر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض .

١ – تشجيع الإستعمار الإستيطانى فى فلسطين على أسس مناسبة من قبل العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ، وكذلك العمل على إنشاء مستعمرات زراعية وعمرانية فى فلسطين .

٢ – إنشاء منظمة تربط يهود العالم ، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها فى كل بلد يتواجد فيه اليهود .

(١) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٢) يوميات هرتزل ، ص ٨٩ ، فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ص ٩ – ١٠ .

٣ – تقوية وتعزيز الشعور القومى لدى اليهود .

٤ – إتخاذ خطوات تمهيدية من أجل الحصول على موافقة حكومية دولية لتحقيق أهداف الصهيونية[١] .

بعد أن حددت الحركة الصهيونية هدفها المرحلى فى المؤتمر الصهيونى الأول ، تكونت فى بازل المنظمة الصهيونية العالمية ، وانتخب هرتزل رئيسا لها ، وبدئى على الفور العمل من أجل الحصول على حق شرعى معترف به دوليا للبدء فى تنفيذ الإستعمار الإستيطانى الصهيونى فى فلسطين . ووضعت الحركة الصهيونية برنامجا عمليا لتنفيذ هذا المخطط يقوم على ثلاثة خطوط : التنظيم ، والإستعمار أو الإستيطان ، ثم الدبلوماسية أو المفاوضات[٢] .

وقد عملت الصهيونية على تنظيم أجهزتها الإدارية للقيام باعباء ومهام بناء الدولة ، فأقامت جمعيات صهيونية أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية ، كما عملت على خلق أدوات الإستعمار الصهيونى المنظم فى فلسطين ، ومنها : المصرف اليهودى للمستعمرات (صندوق الإئتمان اليهودى للإستعمار) Jewish colonial Trust ، ولم يبدأ عمل المصرف جديا إلا فى عام ١٩٠١ ، وقد أنشئ مصرف فرعى له فى يافا .٢ – الصندوق القومى اليهودى Jewish National Fund وقد انشئ فى عام ١٩٠٦ بهدف الحصول على أراضى فى فلسطين ، وإلى جانب المصرف اليهودى للمستعمرات والصندوق القومى اليهودى ، أنشئت عام ١٨٩٨ « لجنة الإستعمار » ، كما أنشئ عام ١٩٠٨ ، مكتب فلسطين » و « شركة تطوير الأراضى ١٩٠٩ » وكان هدف هذه المؤسسات جميعها التخطيط لعملية الإستعمار اليهودى[٣] .

واعتمدت الصهيونية الخط الثالث وهو الدبلوماسية للحصول على الدعم والتأييد الدولى بشأن تحقيق الهدف الإستراتيجى لها . وكان من الطبيعى أن تتركز

---

(١) Taylor, A: op. cit. p.5.

(٢) فايز صايغ : المصدر السابق ص ١٣ .

(٣) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٤٠ .

جهود الصهيونيين الدبلوماسية فى بادئ الأمر على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون فلسطين فى ذلك الوقت . وبذل هرتزل جهودا كبيرة للاتصال بالسلطان عبد الحميد الثانى ، فنجح فى مقابلته ثلاث مرات وفشلت محاولاته جميعها . فقد رفض السلطان منح حقوق غير محدوده بالهجرة اليهودية إلى فلسطين ، نظير قيام اليهودية العالمية بتسديد الديون العامة للدولة العثمانية ، وأرسل السلطان إلى هرتزل – كما كتب الأخير فى مذكراته – يقول : « انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات أخرى فى هذا الموضوع . إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، لأنها ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه . . . فليحتفظ اليهود بملايينهم لأنه لو قدر لأمبراطوريتى أن تتمزق فقد يحصلون على فلسطين دون مقابل . ولن يتم ذلك إلا إذا مزقت أوصالنا ، ولن أوافق على أن تمزق وأناحى »[1] .

ولم يمنع هذا الرد هرتزل من الإستمرار فى مفاوضاته مع الحكومة العثمانية ، بهدف السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، إلا أن السلطان العثمانى قد رد على ذلك بالسماح للمهاجرين اليهود بالاستقرار متفرقين فى جميع الولايات الأسيوية التابعة للدولة العثمانية بإستثناء فلسطين ، ولسوف يمنح المهاجرون اليهود الرعوية العثمانية ، ويطالبون بدفع جميع الضرائب المدنية ، بما فيها الخدمة العسكرية ، كم أنهم سيخضعون لجميع قوانين البلاد[2] . وحينما فشلت محاولات هرتزل مع الدولة العثمانية اتجه إلى الدول الأوربية الإستعمارية للحصول على التأييد الدولى .

---

(١) يوميات هرتزل ، ص ١٧٣ .

(٢) حسان حلاق « موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيونى الدولى ١٨٩٧ – ١٩٠٤ » مجلة شؤون فلسطينيه ، العدد ٧٤ ، يناير ١٩٧٨ ، ص ١٦٢ .

الفصل الثالث

الصهيونية والاستعمار

وقد أعطيت البراءة الدولية الأولوية فى المساعى الصهيونية ، خاصة وأن اليهود كانوا مشتتين فى جميع الدول الأوربية ، فرغبت الحركة الصهيونية فى أن يتنكر هؤلاء اليهود لقومياتهم ، وأخذت تعمل على تجميعهم وحشد قواهم فى فلسطين حتى يكونوا دولة خاصة بهم . وحتى يتحقق ذلك اعتبر هرتزل ومن جاء بعده الإستعمار الصهيونى فى فلسطين إمتدادا للإمبريالية الأوربية[1] .

وقد بنى هرتزل على هذا المنطق الأمال فى الحصول على الدعم الإستعمارى الأوربى معلنا بذلك إرتباط الحركة الصهيونية بعجلة الحركة الإستعمارية الأوربية والعمل على تنفيذ مخططاتها والمشاركة فى ممارساتها الإرهابية ضد الوطنيين . وتأسيسا على ذلك ، أوضح هرتزل أن الدولة الصهيونية ستكون الحاجز الأمامى للسياسات الإمبريالية الأوربية فى الشرق حين كتب يقول : « سنؤلف هناك جزءا من المتراس الأوربى ضد آسيا ، ومركز أماميا للمدنية والحضارة الأوربية فى وجه البربرية »[2] .

ولكن تكوين هذا المتراس إصطدام بواقع الوجود العربى الذى عارض بدوره تدفق المستعمرين الجدد منذ المراحل الأولى . فأدرك هرتزل حتمية الصدام والصراع بين أتباعه المستعمرين والسكان الوطنيين ، وخرج بنظرية للتخلص من هؤلاء الوطنيين ، فكتب فى مذكراته يقول : « سوف نحاول تسريب السكان

---

(١) إبراهيم ابو لغد : تهديد فلسطين ، ص ٣٢ .

(٢) Herzle, Theodor: The Jewish state, p.30.

الوطنيين عبر الحدود ، بتأمين مجالات الإستخدام لهم فى بلدان العبور ، على أن نسد أمامهم مجال العمل فى بلادنا »[1] .

وأياما كان الأمر ، فإن الظروف الدولية السائدة آنذاك ، جعلت إستراتيجية العمل الصهيونى نحو التحالف مع دولة كبرى أو مجموعة من الدول لقاء تقديم الصهيونية خدمات وإمتيازات لهذه الدول ، وكان هرتزل فى سعيه للحصول على البراءة الدولية من أجل قيام الوطن القومى فى فلسطين ، يدرك تماما أن اليهود فى أوربا يعيشون ضمن أطر دولهم ، ولا يكونون دولة مستقلة تسعى لأخذ مكانها فى الحركة الإستعمارية[2] .

ومما يجدر ذكره أن المجتمع الأوربى كان بحاجة إلى حد أدنى من الخبرة التجارية لدى اليهود للإستمرار فى التقدم ، وأن عليه أن يتقبل اليهود بين ظهرانيه أملا فى إكتساب الخبرة والتوصل إلى نفس مهارة اليهود . ولم يشرق القرن العشرون إلا وظهر فى أوربا طبقة من المسيحيين الذين لم تقتصر مقدرتهم على مجاراة اليهود فى الأعمال التجارية ، بل تعدت ذلك إلى رغبتهم فى التخلص من هؤلاء اليهود ، هذا فضلا عن أن تيار القومية الأوربية الحديثه قد حارب اليهود من ناحيتين فلقد أدت هذه القومية منفعة للأوربيين من جهة فشعروا بالعزة والكرامة ، وضغطت على اليهود من جهة أخرى ، الأمر الذى جعل اليهود يخترعون قومية خاصة بهم[3] .

وعلى ذلك ، فإن صلة الإستعمار بالصهيونية صلة وثيقة ، من قبل أن يعلن هرتزل دعوته . إذ بدأت هذه الصلة منذ أن قام نابليون بحملته المشهورة على مصر ثم على بلاد الشام . فقد سعى نابليون إلى استمالة اليهود لمعاونته فى فتح عكا ، ووعدهم بأن يعيدهم إلى القدس وأن يعيد بناء الهيكل ثمنا لمساعدتهم له . فقد

---

(١) Herzle, Theodor: The Complete Diaries, vol.1 (New york 1960) p.88.10)

(٢) أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربى ، بيروت ١٩٧٣ ، ط ، ص ٥٥ .

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٨٤ – ١٨٦ .

نبه نابليون الدول الإستعمارية إلى استغلال اليهود فى تحقيق أهدافها الإستعمارية ، كما نبه هرتزل إلى إمكانية إستغلال القوى الإستعمارية لتحقيق أحلام اليهود وإنشاء دولة لهم فى فلسطين[1] . ويبدو أن معظم الدول من أقدم العصور كانت تستغل اليهود من الناحية الدينية ليساعدوها فى تحقيق أطماعها التوسعية ، كما حدث مع الفرس فى التاريخ القديم ، ثم لا ثلبت هذه الدول أن تنقض عليهم .

بدأ هرتزل مساعيه مع الدول الأوربية ذات الشأن ، وأخذ يزعم أمام كل مسؤول فى أوربا بأن مخططه الصهيونى لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة ، وتارة يحاول إثارة التنافس الإستعمارى بين هذه الدول . فقد اتصل هرتزل بالإمبراطور الألمانى ولهلم الثانى فى أكتوبر ١٨٩٨ أثناء زيارة الإمبراطور لتركيا . وطلب هرتزل من الإمبراطور الألمانى السماح للصهاينة بتأسيس شركة لشراء الأراضى وتنميتها فى فلسطين على أن تكون تلك الشركة تحت رعاية وحماية ألمانيا . وحاول هرتزل إقناع الإمبراطور الألمانى بارتباط المصالح الألمانية بالمصالح اليهودية ، وبأن ثقافة اليهود المانية فى الصميم ، وحاولت الصهيونية أغراء الألمان بتقديم المساعدات فى المشروعات الاقتصادية (خط حديد برلين — بغداد)[2] . وفشل هرتزل فى جميع مساعيه .

أما فرنسا فلم تقدم على تأييد الصهيونية إيمانا منها بأن الحركة الصهيونية ما هى إلا أداة فى يد ألمانيا للاضرار بمصالح فرنسا ، كما أن اليهود الفرنسيين لم يعتنقوا الصهيونية وظلوا يعارضون بشدة . وإلى جانب ذلك فقد كان الفرنسيون يخشون أن يترتب على تأييدهم للصهيونيه نفور أنصارهم من العناصر المسيحية فى بلاد الشام . ومن ناحية أخرى ، فقد كان الصهيونيون فى قرارة أنفسهم ، يفضلون ، إذا ما أتيح لهم إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ألا يكون هذا الوطن تحت حماية فرنسا ، خشية ألا تسمح فرنسا بقيام ثقافة يهودية مميزة عن

---

(١) نقولا : هكذا ضاعت . . . وهكذا تعود بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٩ — ٢٢ .

(٢) Esco-Foundation For Palestine: Palestine: A study of Jewish, Arab and British policy, uol.1.p.43.

الثقافة الفرنسية ، وإنما ستصر على أن تطبع الحياة فى البلاد التى تحت سيطرتها بالطابع الفرنسى ، ومن ثم كان الصهيونيون يفضلون السيادة البريطانية[١] .

ولم يتورع هرتزل عن الإتصال بوزير الداخلية الروسى بليفيه Bleve والذى عرفه اليهود جيدا كجلادلهم ، زاعما أنه يحاول تخليص روسيا من الثوريين اليهود الذين ينتشرون فى البلاد[٢] .

اتجه هرتزل بعد ذلك إلى بريطانيا ، وأثار القضية الصهيونية فى الصحافة ومع الزعماء السياسيين من رجال الحكم . وكان الرأى العام البريطانى مهيأ للإستماع إلى هرتزل . فى هذا الوقت بالذات كانت المسألة اليهودية تفرض نفسها على بريطانيا بوصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود قادمين من شرق أوروبا . وشكلت لجنة ملكية « لدراسة مشكلة الهجرة الأجنبية » وكانت الحكومة البريطانية على وشك وضع قيود لوقف تيار تلك الهجرة . ولذا كان الوزراء البريطانيون على إستعداد لتأييد أى مشروع من شأنه إيجاد منفذ لإستيعاب اللاجئين اليهود ، الذين سيمنعون من الآن فصاعدا من دخول انجلترا[٣] .

وفيما يتعلق بفلسطين ، رفضت الحكومة البريطانية تعضيد مطامح الصهيونية فيها ، خشية اغضاب الدولة العثمانية ، مما جعل هرتزل يعرض مشروعات بديلة . فاقترح على جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain وزير المستعمرات أن يسمح لليهود باستيطان جزيرة قبرص ، فرفضت بريطانيا طلبه ، كما رفضت طلبا آخر باستيطان اليهود فى العريش[٤] .

وازاء فشل مشروع العريش ، عرضت بريطانيا على هرتزل أوغندا كمكان لإستيطان اليهود فيها . وقد أبدى هرتزل موافقته على ذلك بالرغم من معارضة

---

(١) محمود حسن منسى : « فرنسا والصهيونية » مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة العدد الأول يناير ١٩٧٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) انظر تفاصيل إتصالات هرتزل مع الدول المختلفة فى مذكراته سالفة الذكر.

(٣) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٤٦ .

(٤) Taybr, A: Preluele to Israel, p.8.

كثيرين من زعماء الصهيونية لمشروع أوغندا فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى انفض بعد أن أوصى بإرسال بعثه استكشافية إلى أوغندا لدراسة إمكانية إستعمارها على أن ترفع تقريرها للمؤتمر السابع ، غير أن هرتزل كان قد توفى فى ٣ تموز (يوليو) ١٩٠٤ وذلك قبل إنعقاد المؤتمر(١) .

والحقيقة أن مشروع أوغندا كان منعطفا خطيرا فى تاريخ الحركة الصهيونية ، إذ دب على أثره الخلاف بين أنصار المنظمة الصهيونية فانقسموا إلى فريقين : « سياسيين » « وعمليين » ، أما الفريق الأول فكان على استعداد لقبول فكرة الوطن البديل عن فلسطين ، وأما الفريق الثانى « فريق العمليين » فقد رفض أن يقبل أى بديل عن فلسطين ، وكان خايم وايز من weizmam chaim من ألمع زعماء هذا الفريق(٢) .

وأما وايزمان فهو من مواليد روسيا ، فقد ولد فى بلدة موتول عام ١٨٧٤(٣) ، وبدأ يمارس النشاط االسياسى فى فترة مبكرة من حياته ، ثم هاجر إلى انجلترا عام ١٩٠٤ ، وتولى تدريس الكيمياء فى جامعة منشستر حيث حقق إنجازات علمية ساعدت على نجاحه فى هذا الحقل . وكان وايز من من الصهاينة العمليين الذين أسهموا فى اسقاط مشروع أوغندا أثر وفاة هرتزل(٤) . وكانت الأعوام العشرة التالية من أكثر سنى حياته إنتاجا وخدمة للحركة الصهيونية ، ففى عام ١٩٠٦ اجتمع مع أرثر جيمس بلفور وشرح له سبب معارضته لمشروع أوغندا . ثم عمل وايز من بعد ذلك وحتى عام ١٩١٧ على كسب جماعة من ذوى النفوذ فى بريطانيا والذين باستطاعتهم دعم المطالب الصهيونية فى أوساط الحكومة البريطانية ومن أبرز أولئك : هربرت صموئيل ، واللورد روتشيلد ، والمحامى نورمان بنتويش ، والميجور أورمسبى غور ، ورئيسا تحرير جريدتى التايمز والمانشستر جارديان(٥) .

---

(١) sicolow, N.: History of Zionism, 600-1918 pp.296-297.

(٢) weizmann, chaim: Trial and Error, p.121.

(٣) Ibid.: p.4.

(٤) Ibid.: p.96.

(٥) Weizmamr, chain: Trial and Error, pp 100-120

ومهما يكن من أمر فإن العلاقة بين الصهيونية والإمبريالية علاقة قديمة قدم الحركة الصهيونية نفسها ، إذ أنها علاقة وجودية ومصيرية من ناحية ، كما أنها علاقة مصلحية من الناحية الأخرى ، وتقوم على التلاقى بين الأهداف والمخططات والمصالح(١) . أما أن علاقة الصهيونيه بالإمبريالية علاقه وجودية ومصيرية ، فلأن الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الأرض وإستيطانها بعد إخراج أهلها منها ، ولأنها فى واقعها تؤلف جزءا لا يتجزأ من الرأسمالية العالميه التى تعتبر الإمبريالية أعلى مراحلها . ومن هنا يكون الترابط الوجودى والمصيرى بين الصهيونية من ناحية وبين الإستعمار العالمى من الناحية الأخرى(٢) . وأما من ناحية علاقة المصلحية بين الصهيونية والإمبريالية ، فالصهيونية كحركة عنصرية دينية تقوم على مبادئ الإستغلال والعدوان ، وتستند إلى فكرة التوسع والسيطرة وتلجأ إلى أساليب العنف وسفك الدماء(٣) .

ولا ريب فى أن الاستعمار قد استفاد من الصهيونية وضرب عصفورين بحجر واحد ، فاستطاع بواسطة الصهيونية أن يدفع بجماعات اليهود المهاجرة من شرق أوربا إلى فلسطين بدلا من الهجرة إلى غرب أوربا وهذا ما كانت ترفضه الدول الأوربية وحتى الرأسمالية اليهودية فى تلك الدول ، كما أنه استفاد من ناحيه أخرى فى قيام جسم بشرى غريب فى فلسطين يحفظ لتلك الدول الإستعمارية مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية الهامة فى منطقة الشرق العربى الإسلامى .

ولم تمض عشرة أعوام على إنعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا ، حتى كان الاستعمار البريطانى يحدد أهدافه أيضا . فقد عقد مؤتمر عالمى للدول الاستعمارية فى عام ١٩٠٧ فى لندن وعدة عواصم أوربية استعمارية وخرج فى النهاية بمجموعة من التوصيات ، كان أهمها تلك التى تناولت شئون الوطن العربى(٤) .

---

(١) محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Lenzowski, G: The Middle East in the world Affaains, pp.259.

(٤) kink, G.: A 8hort History of the middle East. p.149.

وتضمنت هذه التوصيات حسبما جاء فى تقرير كامبل بانرمان Campbell Bannerman رئيس وزراء بريطانيا أنذاك أن الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر الأبيض المتوسط ، الذى يؤلف حلقة الإتصال بين الشرق والغرب ، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد ، يتميز بكل مقومات التوحد والترابط ، وبما فى أراضيه من كنوز وثروات تتيح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة . وأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر ، بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة ، والإبقاء على تفككها ، ومحاربة أى اتحاد يقوم بين أجزائها ، والسعى الدائب إلى تفسيخها عمليا وفكريا وتاريخيا ، واقترح التقرير كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الإفريقى والأسيوى فى هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشرى غريب فى نقطة التقاء هذين الجزئين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه كأداة فى تحقيق أغراضه[1] .

وهكذا تحددت أهداف الاستعمار فى المنطقة العربية ، ورأى قادة الصهيونية – وهى جزء لا يتجزأ من الناحية الوجودية والمصيرية من الإستعمار العالمى – فى هذا التحديد الفرصة التى طالما انتظروها لتحقيق أهدافهم العنصرية الخاصة .وقد تأكدت هذه الروابط بين الصهيونية والاستعمار حينما أعلن ناحوم جولدمان – كما أشرنا أنفا – فى خطاب له فى كندا عام ١٩٤٧ بأن اليهود اختاروا فلسطين لا لمعناها التوراتى والدينى ولكن لأن فلسطين هى ملتقى طرق أوربا وآسيا وأفريقيا ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الإرتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الإستراتيجى للسيطرة على العالم[2] .

ويبدو أن اليهود يؤكدون دائما على الهدف الدينى حتى يحافظوا على وحدة مجتمعهم فى فلسطين المحتلة ، فإذا أهملوا العنصر الدينى فإن المجتمع سيتفكك لأن به تناقضات وإختلافات كبيرة لا تظهر إلا إذا أهمل القائمون أمر الدين . فالدين

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب خيرى حماد « الوجود الإسرائيلى فى المخطط الإستعمارى بيروت ١٩٦١ .

(٢) رفيق النتشه : الاسلام وفلسطين ، ص ٥٨ .

هو الذى يحتوى هذه الخلافات ، ولكنها ستطفو على السطح وتقضى على ذلك الكيان أن عاجلا أو أجلا .

وقد شهدت المنظمة الصهيونية حدثين هامين أديا إلى انتشالها من حالة الفوضى والضياع مع بداية الحرب العالمية الأولى . أما الحدث الأول فهو ظهور حاييم وايزمن فى لندن كزعيم للحركة . والحدث الثانى كان الدور النشط والفعال الذى لعبه صهيونيو الولايات المتحدة الأمريكية . وقد اعتبر وايزمن ورفاقه بريطانيا أفضل حليف للصهيونية[1] .

الإستعمار البريطانى والوطن القومى اليهودى :

ترجع أطماع بريطانيا وغيرها من الدول الأوربية الغربية بفلسطين إلى عهد بعيد ، وبالتحديد إلى عصر الغزوات الصليبية لما يمثله موقع فلسطين من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية ، كما أن حملة بونابرت على مصر وبلاد الشام فى أواخر القرن الثامن عشر قد أثارت أطماع بريطانيا من جديد فى فلسطين ، ولذا دعت بريطانيا إلى المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية ، لتقف حاجزا فى وجه الدول الأوربية الأخرى ، ذات الأطماع الإستعمارية فى المنطقة ، ولهذا نظرت إلى قيام محمد على فى مصر بقلق بالغ ، خاصة بعد أن اجتاحت جيوشه سوريا فى طريقها إلى الآستانة[2] .

وعلى أثر ذلك ، تحالفت بريطانيا مع الدول الأوربية ضد محمد على لتعزيز موقف السلطان العثمانى ودعمه ، ووقعت هذه الدول على معاهدة لندن فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، والتى تقضى بإعادة جميع الممتلكات التى استولى عليها محمد على إلى السلطان عدا مصر[3] . وإذا رفض محمد على ذلك تدخلت تلك الدول وأجبرته عسكريا على توقيع إتفاقية بذلك فى ٢٧ نوفمبر ١٨٤٠ تقضى بجلاء قواته عن سوريا وفلسطين لقاء تأمين حقوق سلالته الوراثية فى مصر[4] .

(١) Taylor, A.: Prelude to Isreal, p.11.

(٢) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٥ — ٢٦ .

(٣) الوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ١٤١ .

(٤) F.O. 371 /14495 / 07186, Memorandenn by w.J. childs oct.24, 1930.

وفى الواقع أن إهتمام بريطانيا بفلسطين لم يقتصر على تأمين الطريق التجارى للهند ، بل كانت تهدف إلى تحويل فلسطين والمنطقة المجاورة إلى منطقة نفوذ . ومن أجل تحقيق ذلك ، فتحت بريطانيا أول قنصلية لها فى القدس عام ١٨٣٨ برئاسة المستر يانج W.T. yang.[1] ووجهت هذه القنصلية معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية فى فلسطين والتى لا يزيد عدد أفرادها عن تسعة آلاف نسمة موزعين بين القدس وصفد وطبريا وذلك بغية استمالة اليهود إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية كما عملت القنصلية البريطانيا جهدها لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأسباب إستعمارية بينتها بوضوح رسالة رئيس وزراء بريطانيا آنذاك (بالمرستون) إلى سفيره فى استانبول يشرح فيها المنافع المادية والسياسية التى تعود على السلطان العثمانى من جراء تشجيعه للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فقد جاء فى تلك الرسالة : « أن عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته تشكل سداً فى وجه مخططات شريرة يعدها محمد على أو من يخلفه »[2] .

وهذا يؤكد بشكل قاطع أن بريطانيا لم تكن حريصة على مصالح الدولة العثمانية بقدر ما هى حريصة على مصالحها الإستعمارية فى المنطقة ، فهى تريد أن تبقى المنطقة ضعيفه تحت سيطرة الدولة العثمانية (الرجل المريض) حتى يمكنها (بريطانيا) مستقبلا أن تحصل على ما تريد فى أعقاب إنهاء الدوله العثمانية . ولذا فإننا نجدها تقاوم بقوة أى محاولات إتحادية بين مشرق الوطن العربى ومغربه ، وذلك عن طريق إقامه حاجز بشرى غريب (اليهود) فى فلسطين للحيلوله دون قيام وحدة عربية اسلامية .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد اشتركت بريطانيا مع روسيا فى إنشاء أول اسقفية فى القدس عام ١٨٤١ ، وعينت الكنيسة يهوديا متنصراً أسقفا عليها يدعى سلومون الكزندر Salmon Alexander . ولعبت كذلك شخصيات بريطانيا دورا فى تقوية الفكرة الصهيونية ، مثل اللورد شافتسبرى Shaftasbury

(١) عز الدين فوده : قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية ، ص ١١٠ ، ١٣٨ . P.6.

(٢) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٧ .

قريب بالمرستون وزير الخارجية حينذاك ، فقد تقدم بمذكرة إلى مؤتمر لندن ١٨٤٠ يطلب فيها إرجاع اليهود إلى فلسطين . كما أن موسى منتفيورى حصل ليهود دمشق ورودس على بعض الحقوق من السلطان عبد المجيد ، وأنشأ أول مدرسة يهودية فى فلسطين ١٨٣٥ ، كما كان أول يهودى أجنبى استملك أرضا فى فلسطين بموجب فرمان (مرسوم) حصل عليه من السلطان عبد المجيد أيضا[١] .

وإنطلاقا من هذه المخططات البريطانية ، اندفع قادة الصهيونية نحو بريطانيا لتحقيق أهداف الصهيونية فى فلسطين ، وبذل وايزمن ورفاقه جهودا مكثفة لكسب تأييد المسؤولين البريطانيين إلى جانب المخطط الصهيونى[٢] . كما لعب صهاينة الولايات المتحدة بزعامة القاضى لويس برانديس دورا ناجحا وهاما فى كسب وإدخال أشخاص يتمتعون بنفوذ ومركز قوة إلى الصفوف الصهيونية . وتعاون وايزمن ورفاقه فى لندن مع برانديس ورفاقه فى الولايات المتحدة الأمريكية ، تعاونا وثيقا ، ونجحا فى استصدار تصريح بلفور من قبل الحكومة البريطانية وتدعمه الولايات المتحدة[٣] . ويعتبر تصريح بلفور أهم تطور حققه الصهاينة بعد مؤتمر بازل الأول ، فقد استطاع الصهاينة بوساطة هذا التصريح إيجاد الركيزة التى يستندون عليها فى عملية الإستيطان الجماعى فى فلسطين بهدف تحويلها فى النهاية إلى دولة يهودية .

وينص تصريح بلفور الصادر فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ والموجه من وزير الخارجية البريطانية آرثرجميس بلفور إلى الزعيم الصهيونى اللورد روتشيلد على ما يلى : « أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا ، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينة التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق والوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى »[٤] .

---

(١) نقولا الدر : هكذا ضاعت . . . وهكذا تعود ، ص ٢٤ – ٣٦

(٢) Encycl pedia of zionism and Israel , vol.I (New york 1971) col 412.

(٣) stein , heonurd : The Balfour Declaration, p.531.

(٤) Hurewitz,J.C. : Diplomacy in the near and Middle East, Vol.2 p.26.

وعلى العموم ، فإن موافقة بريطانيا على إصدار تصريح بلفور لم يكن إقتناعا منها بحق اليهود فى فلسطين فحسب ، بل إن عدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك ، ومن هذه الإعتبارات ماله ارتباط وثيق بوضع قناة السويس ، وتأمين مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها ، ومنها أيضا أن الحكومة الألمانية كانت تبذل المساعى الجادة للسيطرة على الحركة الصهيونية[1] . كما أخذت بريطانيا بعين الإعتبار إمكان استخدام الصهيونية لمواجهة حركة التحرر القومى العربية فى بلاد الشام والعراق وغيرها[2] .

ولا شك أن الساسة البريطانيين قد نظروا إلى الحركة الصهيونية نظرة استعمارية ، إذ أنهم وجدوا أنهم يستطيعون من خلالها وعبر قنواتها وجودا دائما فى الشرق العربى بخاصة والشرق الإسلامى بعامة . ويؤكد ذلك ما قاله لويس جولدنج L. Golding : « إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة انجليزية لا حركة يهودية فحسب »[3] .

وقد ذكر ونستون تشرشل Winston Churchill فى الجلسة التى وافق فيها مجلس الوزراء البريطانى على وعد بلفور : « إن قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين يخدم أهداف بريطانيا من حيث إنه يساعدها على مواجهة تناقض المصالح الحادة بينها وبين العرب . هذا الوطن القومى لليهود فى فلسطين سوف يكون عازلا يفصل بين العرب شرق سيناء والعرب غرب سيناء ، ثم إن هذا الوطن القومى لليهود الذى سيكون بحاجة إلى الدفاع عن نفسه ضد الإمتداد العربى الواسع ، سوف يبقى دائما فى أحضان الغرب الذى يستطيع فى أى وقت أن يستعمله كقاعدة للعمل ضد أى تهديد لمصالح الإمبراطورية البريطانية فى مصر من ناحية أو فى العراق من ناحية أخرى ، كذلك فإن هذا الوطن القومى لليهود سوف يشغل العرب ويمتص طاقاتهم أول بأول[4] . .

---

(١) Sykes, christe pher: Cross Roads to Israel (London 1965) p.40

(٢) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٨٢ .

(٣) Goldiny, lewis: The Jewish problem. (London 1949)p.183.

(٤) جريدة الأهرام ، ١٩٦٩/١٠/٣١ نقلا عن ولیم فهمی : الهجرة اليهودية ، ص ٣٦٦ .

وقال تشرشل فى مذكراته أيضا : « وإذا أتيح فى حياتنا ، وهو ما سيقع حتما أن نشهد مولد دولة يهودية ، لا فى فلسطين وحدها ، بل على ضفتى الأردن معا ، تقوم تحت حماية التاج البريطانى ، وتضم نحوا من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود ، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الإتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية »[١] . كما أدلى أورمسبى غور Ormesby qhour وكيل وزارة المستعمرات البريطانية ، بالتصريح التالى فى جلسة ٩ يوليو عام ١٩٢٣ : « أن هدف وجودنا فى فلسطين ليس فقط للإحتفاظ بها وطنا روحيا لليهود ولكن هناك أسباب أخرى »[٢] . وأدلى كثيرون من الساسة البريطانيين بتصريحات مشابهة .

والواقع أن تصريح تشرشل يكشف بوضوح وجلاء أهداف السياسة البريطانية بخاصة والسياسة الاستعمارية بعامة فى منطقة الشرق الغربى . تلك السياسة التى رسمها مخططو ومنظرو السياسة الاستعمارية والتى لا زالت قائمة حتى اليوم بالرغم من انحسار النفوذ البريطانى من المنطقة العربية ، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بهذا الدور الآن والذى حددته السياسة الإستعمارية حسب ما جاء فى تقرير كامبل بانرمان الذى أشرنا إليه سابقا .

ولكن السياسة البريطانية قد تطورت تجاه الصهيونية من العطف كما جاء فى تصريح بلفور عام ١٩١٧ إلى الإلتزام بتنفيذ ما جاء فى التصريح ، وذلك فى أعقاب الإحتلال البريطانى لفلسطين بقيادة الجنرال اللنبى Allenby الذى دخلت جيوشه القدس فى ١١ ديسمبر (كانو أول) عام ١٩١٧ ، أى بعد فترة وجيزة من إعلان ذلك التصريح[٣] . وأعلن أللنبى الأحكام العسكرية ، وشكل إدارة عسكرية تتولى شئون البلاد . وقد اتصفت فترة الحكم العسكرى فى فلسطين بثلاث مظاهر رئيسية هى : الحكم المطلق ، وسيطرة العناصر اليهودية

---

(١) أنيس وحراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٤١٠ .

(٢) Parlimentary Debates: House of commons. vol. too, col.900

(٣) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠٣ .

على الإدارة العسكرية ، والمحافظة على بعض الأنظمة العثمانية فى إدارة البلاد ، والتى كانت تخدم أهداف ومصالح الإحتلال العسكرى فى فلسطين[١] .

ومهما كان الأمر ، فإن الصهاينة لم يكتفوا بإستصدار تصريح بلفور ، بل عملوا جاهدين من خلال توافق سياستهم مع السياسة الإستعمارية البريطانية على كسب تأييد الدول الكبرى الأخرى لذلك التصريح لكى يكتسب شرعية دولية ، وقد أثمرت جهودهم تلك قبل صدور التصريح نفسه ، حينما جاء أول تأييد دولى من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ولسون . وفى ١٤ فبراير عام ١٩١٨ وافقت عليه فرنسا ، كما أيدته واعترفت به إيطاليا فى ٩ مايو من العام نفسه[٢] .

ولم يمض وقت طويل على انتهاء الحرب العالمية الأولى ، واستسلام تركيا فى ٣٠ اكتوبر ١٩١٨ ، حتى قرر المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح فى باريس فى يناير عام ١٩١٩ ، عدم إمكانية إعادة المقاطعات العربية المحتلة ومنها فلسطين إلى الحكم العثمانى[٣] . وفى ٢٥ أبريل عام ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء المنعقد فى سان ريمو وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطانى ، وقبل أن تصادق عصبة الأمم على هذا القرار كانت بريطانيا قد سارعت فى الأول من تموز (يوليو) عام ١٩٢٠ إلى إقامة إدارة مدنية لتحكم بواسطتها فلسطين ، وعينت أول مندوب سام لها هناك أحد كبار الصهاينة البريطانيين هو السير هربرت صموئيل[٤] Herbert Samual والذى كان له اليد الطولى فى إصدار وعد بلفور . وهكذا تشكلت الإدارة المدنية الجديدة التى أخذت على عاتقها تنفيذ السياسة البريطانية بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وذلك أثناء فترة الإنتداب البريطانى على فلسطين .

فلسطين تحت الإنتداب البريطانى :

رفعت بريطانيا مشروع صك الإنتداب إلى عصبة الأمم كما اقترحته الحركة

---

(١) Encyclopcelia of zionism and Israel, vol 2, col. 749.
(٢) Garcrnment of palestine: A survey of palestine, vol.I.(Jerusalem 1946)p.1.
(٣) Ibid. p.2.
(٤) war Memoirs of David Lloyd George, vol 2 (New york 1943)pp.1090-1091

الصهيونية دون تبديل أو تعديل فى ٢٤ يونيو ١٩٢٢ ، فأقرته العصبة فى ٢٤ يوليو من العام نفسه إستنادا إلى المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم[١] .

ويتكون صك الإنتداب من مقدمة وثمان وعشرين مادة ، وتضمنت مقدمة صك الإنتداب نص وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء الوطن القومى اليهودى ومسئولية الدولة المنتدبة عن إنشاء هذا الوطن . كما نصت الفقرة الثانية من مقدمة صك الإنتداب على « الإعتراف بصلة الشعب اليهودى التاريخية بفلسطين ، وبأسس إعادة بنائهم لوطنهم القومى فى ذلك البلد »[٢] . وعلى ذلك ، فقد كان صك الإنتداب نصرا آخر للصهيونية إذ حوى هاتين الفكرتين اللتين خلا منهما وعد بلفور .

وجاء فى المادة الثانية أنه على الدولة المنتدبة « أن تهيأ فى البلاد من الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية ما يضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى » . ونصت المادة الرابعة على قيام « وكالة يهودية » يعترف بها كهيئة عامة من أجل تقديم المشورة والتعاون مع السلطات الإدارية فى فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الشئون التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى » . وأجازت المادة الحادية عشرة لإدارة الإنتداب أن تتعاون مع الوكالة اليهودية على إنشاء أو تشغيل أية مرافق وخدمات عامة على أساس عادل ، وتطوير أية موارد طبيعية توجد فى البلاد » . ونصت المادة السادسة على « وجوب تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وأن يستقروا فى الأراضى الأميرية والأراضى الموات غير المطلوبة « وطلبت » المادة السابقة من الدولة المنتدبة » أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم

---

(١) Parlimentory Debates: Hawse of Lords. vol.44.col.1062.20th April 1921

وقد ذكر الفورد لامنجتون Lamington بان صك الإنتداب يتعارض مع المادة ٢٢ من الميثاق ، لأن المادة المذكورة تدعو إلى إستشارة الشعب الفلسطينى وأخذ رغبته فى قبول الإنتداب وهذا لم يتم بإعتراف الحكومة .

(٢) فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية (بيروت ١٩٦٧) ، ص ١٤٤ .

على الرعوية الفلسطينية » . ونصت المادة الثانية والعشرون على جعل اللغة العبرية – إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية – لغة رسمية فى البلاد[1] .

وهكذا يتبين لنا أن مهمة الدولة المنتدبة الرئيسية . وعلى نحو ما تتضمنه التزامات صك الإنتداب ، هى تهيئة الوسائل الكفيلة بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ومن ثم ، فلا عجب أن يعتبر حاييم وايزمن استصدار صك الإنتداب بمثابة نهاية الفصل الأول من نضال الصهيونية الطويل .

عملت بريطانيا بتعضيد من عصبة الأمم والدول الاستعمارية والحركة الصهيونية على تهويد فلسطين وخلق الظروف الملائمة لتأسيس الوطن القومى اليهودى ، فعينت – بضغط من الصهيونية – هربرت صموئيل كأول مندوب سام لها فى فلسطين كما أشرنا وهو صهيونى متطرف ، وسرعان ما خلق جهازا إداريا يرضى اليهود ، وينفذ أغراضهم ، فعين المستر نورمان بنتويش Norman Bentwich سكرتيرا قضائيا (نائبا عاما) ويتولى وضع القوانين وسن التشريعات اللازمة لفلسطين . وفتح أبواب المناصب لليهود برغم قلة عددهم حتى أصبحت أربعة أضعاف العرب ، وسلم الإدارة المهاجرة لمدير يهودى يدعى « حايمسون » كما سلم إدارة التجارة ليهودى آخر ولم تبق دائرة إلا ويرأسها يهودى أو يساعد مديرها البريطانى يهودى آخر[2] .

وبدأت بريطانيا بسن التشريعات ووضع القوانين اللازمة لتنفيذ مخططها ، فأصدرت قانون الهجرة الذى سمح بدخول فلسطين لكل الأشخاص الذين لهم موارد مستقلة ، وسمحت بدخول ١٦٥٠٠ يهودى كل عام[3] . وسنت سلطات الإحتلال البريطانى بعض القوانين التى تبيح لليهود إمتلاك الأموال غير المنقولة ، وقانونا آخر بنزع الملكية ، وقد سنّت فى عهد صموئيل مئات القوانين التى حدّت

---

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، إصدار الأمانه العامة للجامعة العربية ، القاهرة ١٩٥٧ ، وثيقة رقم ٢٧ صك الإنتداب ص ١٢٨ – ١٣٧ .

(٢) صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، ١٩٧٠ ، ص ٩٦ – ٩٧ .

(٣) Survey of Palestine, p.9.

من نشاط العرب وحمت اليهود وسهلت هجرتهم والتى منعت تصدير الحاصلات العربية ، لتكسيد تجارة الشعب العربى الفلسطينى ، وليئن الفلاحون العرب تحت وطأة الديون ، وتباع أراضيهم سدادا لتلك الديون[1] .

وحين وضع صموئيل اللبنات الأولى فى افقار العرب باثقال كاهلهم بالضرائب وسلخ أراضيهم ، أخذ يضع اللبنات القوية فى تنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصاديا من فلسطين[2] . فاقطعهم الأراضى ومنحهم المشروعات الصناعية الهامة (مشروع كهرباء فلسطين) ، فقد حصل بنحاس روتنبرغ .P Roten birg على مشروع كهرباء فلسطين لمدة ٧٥ عاما ، وتشكلت فى المدن والمستعمرات اليهودية هئيات سياسية ودينية واجتماعية لها مميزات قومية[3] ، وأصبحت اللغة العبرية لغة رسمية فى البلاد[4] .

وعلى العموم ، فإن أبرز وأهم وسائل التهويد هى الهجرة اليهودية إلى فلسطين وما نتج عنها من تحول ديمغرافى للسكان ، وتملك اليهود للأراضى . وهاتان النقطتان جديرتان بالبحث بشيئ من التفصيل وسأعالج ذلك بموضوعية وعلمية .

أما بالنسبة للسكان فى فلسطين ، فقد تطور فى ظل الإنتداب البريطانى بنسب غير طبيعية بين العرب واليهود وذلك بسبب فتح بريطانيا أبواب البلاد على

---

(١) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب ، منشورات اتحاد الحقوقيين الفلسطينين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢) صالح مسعود أبو يصير: المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٣) الوثائق الرئيسيه فى قضية فلسطين ، وثيقه رقم ٢٩ ، الكتاب الأبيض ١٩٢٢ ، ص ١٥٩ . يذكر تشرشل فى كتابه الأبيض . . . ولكن حتى يكون للطائفه اليهوديه أمل وطيد فى تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودى مجال واسع لكى يظهر مقدرته ، كان من الضرورى أن يعلم بأن وجوده فى فلسطين هو حق وليس منّة » .

(٤) Parlimentary Debates: House of Lords. Lord sydenham col.49.col.447 14 Eel.1922.
وقد سال اللورد سيد نهام كيف تقرر الحكومة فرض اللغة العبرية بالقوة فى بلاد لا يتكلم فيها هذه اللغة سوى ٥٪ فقط من السكان .

مصاريعها أمام موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ومعلوم أن زعماء الصهيونية قد أولوا مسألة الهجرة إلى فلسطين جل عنايتهم، فقد أخذوا يدفعون باليهود دفعا تارة بالإغراء والتشجيع وتارة أخرى بالوعيد والترهيب من أجل السفر إلى فلسطين والإقامة بها والإستيطان فيها، وذلك كخطوة هامة من خطوات تهويد البلاد، فهم يعلمون بأن العرب يشكلون الغالبية الساحقة من سكان فلسطين، فالبلاد بلادهم والوطن وطنهم.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وعدد اليهود فى فلسطين يزداد بسرعة بسبب وصول العديد من المهاجرين، وبخاصة على أثر الإضطهاد فى روسيا فى عام ١٨٨٢، فنى عام ١٨٤٥ كان عدد اليهود فى فلسطين نحو ١٢ ألف نسمة، وفى عام ١٨٨٢ وصل عددهم إلى ٢٤ ألف نسمة، وفى عام ١٨٩٥ قدروا بنحو ٤٧ ألف نسمة ثم تزايدوا إلى ٨٥ ألف نسمة فى عام ١٩١٤[١].

واستنادا إلى بعض التقديرات، فقد كان يسكن فلسطين فى منتصف القرن التاسع عشر نحو نصف مليون نسمة منهم ٨٠٪ عرب مسلمون و ١٠٪ عرب مسيحيون، أى أن العرب كانوا يؤلفون ٩٠٪ من جملة السكان، فى حين أن نسبة السكان اليهود كانت تتراوح ما بين ٥ إلى ٧٪ من مجموع السكان. أما الباقى فيتألف من عناصر سكانية أخرى[٢]

وقد كانت الهجرات اليهودية إلى فلسطين على شكل موجات، كل موجه منها تتم عقب حدث من الأحداث الدولية والمحلية أو نتيجة خطة صهيونية موضوعة. فالموجة الأولى مثلا حدثت بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٠٣ وكان معظمها من روسيا القيصرية، وذلك بسبب إضطهاد اليهود نتيجة إشتراكهم فى إغتيال قيصر روسيا، حيث قدرت بما يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف مهاجر

---

(١) Hurewitz, J.C.: The struqgle for palestine,(New york 1968)p.27.

(٢) جانيت أبو لغد: «التحول الديموغرافى لفلسطين» بحث فى كتاب تهديد فلسطين، إعداد وتحرير إبراهيم أبو لغد وترجمة الدكتور أسعد رزوق، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت ١٩٧٢، ص ١٥٦.

يهودى[1] . ومع حلول عام ١٩٠٠ كان حوالى ٥٠ ألف يهودى يقطنون فلسطين معظمهم على شكل أقليات تستوطن القدس ويافا .

وفى الفترة من ١٩٠٤ إلى ١٩١٤ جاءت الموجة الثانية ، وكان معظم أفرادها من روسيا أيضا ، وقد قدر عددهم بما يتراوح بين ٣٥ إلى ٤٠ ألف يهودى . ولكن منذ عام ١٩١٤ أنشأ اليهود ٤٤ مستعمرة (قرية) استوعبت نحو ١٤٪ من مجموع السكان بفلسطين[2] .

وفيما بين عامى ١٩١٤ و ١٩٣٦ تزايد عدد اليهود بفلسطين بنحو ٤٠٠٪ واتسعت المساحة المملوكة لليهود نحو ٢٠٠٪ أى من ١١٠ ألف فدان إلى ٣٠٨ ألف فدان وهذا يشكل نحو ٤٫٦٪ من مساحة البلاد[3] .

هذا وقد أخذت هذه الهجرات تتوالى على فلسطين بتشجيع ودعم من حكومة الإنتداب البريطانى التى أخذت على عاتقها تنفيذ مخطط التهويد ، ونتيجة لذلك أخذ عدد اليهود يتزايد يوما بعد يوم ، كما ازدادت أملاكهم التى منحتهم إياها بريطانيا فى فلسطين وسهلت لهم طرق شراءها من بعض الأسر غير الفلسطينية . وقد مول هذه الهجرات كبار الرأسماليين اليهود مثل البارون « أدموندروتشيلد » الذى أنفق نحو ٥٫٦ مليون جنيه إسترليني بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٣٧ على الإستيطان اليهودى بفلسطين ، وكذلك البارون « دى هيرش De Hirsch » الذى خصص نحو عشرة ملايين جنيه لبناء الوطن القومى فى فلسطين[4] .

وطبقا لهذه السياسة الإستعمارية ، فقد تطور عدد سكان فلسطين فى ظل الإنتداب البريطانى بنسب غير طبيعية بين العرب واليهود وذلك بسبب فتح بريطانيا أبواب البلاد أمام موجات الهجرة اليهودية فى فلسطين . فى عام ١٩١٨ ، عندما احتلت بريطانيا البلاد ، كان عدد سكانها حوالى ٧٠٠٫٠٠٠

(١) كامل محمود خلة : فلسطين والإنتداب البريطانى ، ص ٤٩٨ .

(٢) Hurewitz,J.C.: op.cit., p.28.

(٣) Ibid.

(٤) كامل خله : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ .

نسمة منهم ٦٤٤٫٠٠٠ من العرب (٥٧٤٫٠٠٠ مسلم و ٧٠٫٠٠٠ مسيحى) و ٥٦٠٠٠ يهودى[1] . أى أن اليهود آنذاك لم يزيدوا على ٨٪ من سكان البلاد فى حين أن العرب كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة أى ٩١٫٣٪ على الرغم من الهجرات اليهودية الكثيرة التى غزت البلاد .

وفى ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، أجرت حكومة الإنتداب أول إحصاء رسمى لفلسطين ومنه تبين أن سكان فلسطين تزايدوا فبلغوا نحو ٧٥٧١٨٢ نسمة منهم نحو ٥٩٠٫٨٩٠ عربيا مسلما أى نحو ٧٨٪ من سكان البلاد ، ونحو ٧٣٫٠٢٥ عربيا مسيحيا أو ما يوازى ٩٫٦٪ من السكان . . وبذلك أصبح العرب يمثلون ٨٧٫٦٪ فى حين بلغ عدد اليهود ٨٣٫٧٩٤ نسمة أو حوالى ١١٪ من سكان البلاد ، والباقى ومقداره ٩٤٧٤ نسمة أو نحو ١٫٢٪ للمذاهب الأخرى[2] .

وهذا يعنى أنه على الرغم من تزايد السكان العرب فى الفترة الواقعة ما بين ١٩١٤ و ١٩٢٢ بنسبة ٥٫٥٪ وهى نتيجة الزيادة الطبيعية الصرفة ، نجد أن اليهود تزايدوا فى نفس الفترة بنسبة ٣٩٫٦٪ بسبب الهجرات اليهودية التى تدفقت على فلسطين . وبمعنى آخر فإن تحولا ديموغرافيا بدأ يظهر بوضوح لصالح اليهود ، فى حين تراجعت نسبة السكان العرب . من ٩١٫٣٪ من مجموع السكان فى عام ١٩١٨ إلى ٨٧٫٦٪ فى عام ١٩٢٢ ، نجد أن نسبة السكان اليهود قد زادت فى نفس الفترة من ٨٫٧٪ إلى ١١٪ ، وهذا يعود إلى الهجرة اليهودية التى تدفقت على فلسطين إبان عهد الإنتداب .

وجرى عام ١٩٣١ إحصاء آخر تبين منه أن عدد السكان قد ازداد فبلغ ١٫٠٣٥٫٨٢١ نسمة منهم ٧٥٩٫١١٠ مسلم أو نحو ٧٣٫٣٪ من السكان ، وحوالى ٩١٫٣٩٨ مسيحيا أو نحو ٨٫٨٪ من جملة السكان ، فى حين ارتفع عدد اليهود إلى ١٧٤٫٠٠٦ نسمة أو حوالى ١٦٫٨٪ من مجموع سكان فلسطين ، أى

---

(١) Asurvey of Palestine, vol .p. 14.

(٢) جانيت ابو لغد : « التحول الديمغرافى لفلسطين » بحث كمن كتاب تهديد فلسطين ، ص ١٥٧ .

أنه حين تزايد السكان المسلمون بنسبة ٢٨ر٥٪ فى مدى عشر سنوات أو بمعدل ٢ر٨٪ سنويا ، نجد أن تزايد اليهود بلغ ١٠٧ر٧٪ أو بمعدل ١٠ر٨٪ سنويا ، أى أنهم بلغوا أكثر من الضعف فى بحر عشر سنوات . وهذا يعكس حركة الهجرة المكثفة فى هذه الفترة والتى بلغت الأوج ، إذ لم يسبق أن وفدت إلى فلسطين هجرة يهودية واسعة النطاق على هذا النحو . فنى عام ١٩٢٥ فقط هاجر نحو ٣٤ ألف يهودى إلى فلسطين[1] . ويضاف إلى الأرقام السابقة فى أعداد السكان ١٠ر١٠١ فئات أخرى .

وابتداء من عام ١٩٣٢ وحتى عام ١٩٣٦ أخذت تتدفق على البلاد أفواج عديدة من المهاجرين بشكل لم يسبق له مثيل مما أثار شعور الإستياء والغضب لدى عرب فلسطين ، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية التى فجرت ثورة ١٩٣٦ الشهيرة . وعلى مدى الأربع سنوات هذه (١٩٣٢ – ١٩٣٦) دخل البلاد ما لا يقل عن ١٧٤ ألف مهاجر يهودى مما رفع عدد السكان اليهود إلى ٣٧٠ ألف نسمة ، وذلك بناء على تقدير لجنة بيل التى أرسلت للتحقيق فى المأساة الفلسطينية فى عام ١٩٣٦ ، فى حين أن الوكالة اليهودية قدرت يهود فلسطين فى نهاية عام ١٩٣٦ بنحو ٣٨٤ ألف نسمة ، وبذلك أصبح اليهود يشكلون أقلية كبيرة بلغت نسبتها ٢٨٪ من سكان البلاد[2] .

ومن الملاحظ أن البلاد قد شهدت موجات من الهجرة فى هذه الفترة لم يسبق لها مثيل وذلك بسبب مجئ النازية إلى الحكم فى المانيا ، والتواطؤ السرى بين زعماء النازية وزعماء الصهيونية باشراف الاستعمار على تهجير اليهود إلى فلسطين . فقد كشفت الوثائق عن تواطؤ زعماء اليهود مع النازيين الألمان ، لذبح اليهود الذين يرفضون الهجرة إلى فلسطين من الشباب وتسليم كبار السن من الرجال والنساء إلى المذابح الهتلريه النازية ، ولقد تأكد لدى العارفين من اليهود أن زعماءهم فى الحرب العالمية الثانية كان بإمكانهم إنقاذ أعداد هائلة من يهود ألمانيا وبولندا إلا أنهم لم يقوموا بأى جهد يذكر من أجل ذلك الهدف[3] .

(١) Survey of palestine, vol.I.p.149.

(٢) جانيت أبو لغد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) رفيق شاكر النتشه : الإسلام وفلسطين ، ص ٣٢ .

ومهما يكن من أمر ، فلو أن السياسة الألمانية سارت فى طريق آخر عند مطلع الثلاثنيات ، لما كانت هناك على الأرجح « مشكلة فلسطينية » فى الأربعينات ، ولا نزاع عربى إسرائيلى اليوم . ففى أواخر العشرينات تضاءلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ليصبح صافى المتدفق منها بضعة آلاف من المهاجرين فى السنة ، ومن الممكن إنها كانت ستحافظ على تلك المستويات المتواضعة فيما لو قدر للظروف السوية أن تسود . ويبدو أن العارفين من اليهود من ذوى الأموال بالإتفاق هم الذين هاجروا إلى فلسطين ، لأن يهود ألمانيا الذين وفدوا إلى فلسطين آنذاك أثروا على اقتصاد فلسطين ، وزادوا من الدعم الاقتصادى والدخل القومى فى وقت كانت معظم الدول تشكو قلة النقود وغلاء الأسعار .

وفى عام ١٩٤٤ قدرت الحكومة البريطانية (حكومة فلسطين) مجموع السكان بحوالى ١٫١٧٩٫٠٠٠ عربى ، ٥٥٤٠٠٠ يهودى ، ٣٢٫٠٠٠ فئات أخرى[١] . وفى عام ١٩٤٦ وصل عدد سكان فلسطين إلى ١٫٨٨٧٫٢١٤ نسمة منهم نحو ٥٨٣٫٣٢٧ يهوديا ، أى أنهم أصبحوا يشكلون نحو ٣١٪ من سكان البلاد[٢] .

وأجرت حكومة الإنتداب البريطانى فى ٣١ مارس ١٩٤٧ آخر تقدير رسمى لسكان فلسطين فكان نحو ١٫٩٠٨٫٧٧٥ نسمة موزعين على النحو التالى :

عدد المسلمين	١٫١٥٧٫٤٢٣	نسمة أى أنهم شكلوا	٦٠٫٦٪	من جملة السكان
عدد اليهود	٥٨٩٫٣٤١	نسمة أى أنهم شكلوا	٣٠٫٨٪	من جملة السكان
عدد المسيحيين	١٤٦٫١٦٢	نسمة أى أنهم شكلوا	٧٫٦٪	من جملة السكان

وفى عام ١٩٤٨ قدر عدد سكان فلسطين بحوالى ٢٫٠٦٥٫٠٠٠ نسمة منهم ١٫٤١٥٫٠٠٠ عربى ٦٥٠٠٠٠ يهودى[٣] .

ويتضح من ذلك أن نسبة اليهود من مجموع السكان قد ارتفعت من ٨٪ عام

---

(١) المصدر السابق survey of palestine.

(٢) محمد الفراء . « تهويد فلسطين » بحث مقدم للمؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول ، ص ٩ .

(٣) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغـ [illegible] ، ص ٣٩ .

١٩١٨ إلى حوالى ١١٪ عام ١٩٢٢ إلى ١٧٪ عام ١٩٣١ ، إلى ٣١٪ عام ١٩٤٤ ، ومنتصف مايو (ايار) ١٩٤٨ أيضا بلغت النسبة ٣١٪ من عدد السكان [١].

هذا التقدم السريع فى زيادة حجم الطائفة اليهودية ، شىء – مروع للغاية ، ومما يزيده غرابة أن المعدل للزيادة الطبيعية بين العرب الفلسطينين كانت حوالى ٥٠٪ أعلى منها بين اليهود الفلسطينين (أى ٣ر٢٪ للعرب و٢ر٢٪ لليهود) والسبب فى هذا الإرتفاع فى نسبة تعداد اليهود من مجموع السكان هو حجم الهجرة اليهودية الواسعة التى سمحت بريطانيا بدخول موجاتها إلى فلسطين [٢].

ويوضح الجدول التالى عدد المهاجرين اليهود من بداية الإدارة المدنية فى فلسطين [٣].

السنه	عدد المهاجرين اليهود	السنة	عدد المهاجرين اليهود	السنه	عدد المهاجرين
١٩٢٠	٥٥١٤	١٩٣٠	٤٩٤٤	١٩٤٠	١٠٤٤٥
١٩٢١	٩١٤٩	١٩٣١	٤٠٧٥	١٩٤١	٥٨٨٦
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٩٣٢	٩٥٥٣	١٩٤٢	٣٠٣٨
١٩٢٣	٧٤٢١	١٩٣٣	٣٠٣٢٧	١٩٤٣	٨٥٠٧
١٩٢٤	١٢٨٥٦	١٩٣٤	٤٢٣٥٩	١٩٤٤	١٤٦١٦
١٩٢٥	٣٣٨٠١	١٩٣٥	٦١٨٥٤	١٩٤٥	١١٦١٦
١٩٢٦	١٣٠٨١	١٩٣٦	٢٩٧٢٧	١٩٤٦	٢٧٥٦٩
١٩٢٧	٢٧١٣	١٩٣٧	١٠٥٣٦	١٩٤٧	٨٣٩٨
١٩٢٨	٢١٧٨	١٩٣٨	١٢٨٦٨	١٩٤٨	٢٠٧٥٠
١٩٢٩	٥٢٤٩	١٩٣٩	١٦٤٠٥	مجموع اليهود	٦٥١٠٠٠

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فاضل حسين : تاريخ السياسى تحت الإدارة البريطانية ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٥ . وانظر كذلك وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، ص ٧١ .

وفى أعقاب قيام دولة الكيان الصهيونى فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، زاد عدد اليهود زيادة كبيرة نتيجة الهجرة المكثفة إلى فلسطين وبخاصة من الشباب المدرب على حمل السلاح من أجل المشاركة فى الحرب التى قامت نتيجة قيام هذه الدولة على أرض فلسطين العربية وما ترتب على ذلك من طرد وتشريد عرب فلسطين والذين قدر عددهم بحوالى مليون نسمة[1] .

وبعد توقف القتال قامت اسرائيل فى نوفمبر ١٩٤٨ باجراء احصاء للسكان تبين منه أن عدد العرب الذين ظلوا فى فلسطين المحتلة نحو ١٢٠ ألف نسمة ، وبذلك أصبحوا أقلية بعد أن كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة . هذا وقد أخذ عدد اليهود يتزايد عاما بعد عام حتى بلغ عددهم فى أول يناير ١٩٧١ حوالى ٥ر٢ مليون نسمة ، وتتطلع اسرائيل إلى استقدام يهود العالم ولربما وصل عددهم حاليا الثلاثة ملايين[2] .

وهكذا جرى استبدال كامل بالفعل للسكان الأصليين فى فلسطين منذ بداية القرن العشرين فى غضون فترة قصيرة لا تتجاوز جيلين من الناس بأجناس من الدخلاء ، وأصبحت أجزاء من فلسطين تحت الإحتلال الصهيونى منذ عام ١٩٤٨ ، وتحت سيطرة الكيان الصهيونى الدخيل على كل فلسطين فى عام ١٩٦٧ . وقد تحولت فلسطين بذلك من أرض مأهولة بجماعة متوطنه وناطقة بالعربية (معظم سكانها من المسلمين ، لكنها تحوى أقليات صغيرة من المسيحيين واليهود الأصليين الذين إندمجوا مع الأكثرية لغويا وثقافيا) إلى بلد تقطنه أغلبية ساحقة من اليهود الذين جئ بهم من قارات آسيا وأوربا وأفريقيا . أن هذا الإستبدال الجذرى والمستمر حتى الآن للسكان ، رغم مقاومة ومعارضة أهالى البلاد الأصليين أوجد ظلامة لا مثيل لها ، حيث تنزع الحلول المقترحة للقضية حاليا نحو أبعادها إلى المسرح الخلفى .

---

(١) النابلسى سعد : « الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة » بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٢٤ .

(٢) نشرة فلسطين العالمية ، الكويت فبراير ١٩٧٠ ، دراسات فلسطينيه ، ص ٢٨.

وهناك قضية أخرى تحتاج إلى معالجة متأنية دقيقة ، تلك هى قضية إمتلاك اليهود لأراضى فلسطين بمساعدة سلطات الإنتداب البريطانى .

تبلغ مساحة فلسطين ٢٧ مليون دونم مربع ، منها ١٢ مليون دونم مسجلة أراضى أميرية للدولة ، ١٣ر٦٧٣ر٣٢٠ دونم مسجلة أملاكا باسم عرب فلسطين ، ٦٥٠ر٠٠٠ دونم مسجلة أملاكا باسم اليهود[١] .

وبذل اليهود جهودا مكثفة من أجل تملك أقصى قدر ممكن من أراضى فلسطين بعد فشلهم فى شرائها من السلطان العثمانى وقت أن كانت البلاد تحت الحكم العثمانى . واعتبر اليهود تملك الأرض من أقوى الوسائل التى تمكنهم من تهديد فلسطين توطئة لتأسيس دولتهم .

ولا شك فى أن مسألة الإستيلاء على أراضى فلسطين كان قد خطط لها بمهارة وذكاء منذ ظهور الحركة الصهيونية . فقد كتب تيودور هرتزل فى يومياته فى عام ١٨٩٥ فى هذا الصدد ما يلى : « أنه يتوجب نزع الملكية الخاصة بلطف . . . سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الإستخدام لهم فى بلدان العبور ، على أن نسد أمامهم كل مجال للعمل فى بلادنا . . . العمليتان : عملية نزع الملكية ، وعملية ابعاد الفقراء يجب تنفيذهما بحذر واحتراس وتكتم . لا بأس أن إعتقد أصحاب العقارات والأراضى بأنهم يغشوننا فيبيعوننا الأشياء بأسعار تفوق قيمتها المستحقة ، نحن لم نبيعهم شيئا على الإطلاق متى جاءوا لإستردادە بالشراء »[٢] .

ومع حلول عام ١٩٠١ أنشأ هرتزل وزملاؤه فى زعامة الحركة الصهيونية ما يسمى بالصندوق اليهودى « كيرن كايميت » لتنفيذ مخطط شراء الأراضى » كملك لا تنتهك حرمته للشعب اليهودى » . وفى عام ١٩٢٠ تأسس الصندوق التأسيسى « كيرنا هايسود » والذى أصبح أكثر جهاز مالى للعمل الصهيونى فى فلسطين[٣] .

(١) المصدر السابق .

(٢) يوميات هرتزل ، ترجمة هلدا الصايغ ، مركز الأبحاث الفلسطينية ، بيروت [illegible] ، ص ٦ .

(٣) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطانى ، ص ٤٨١ .

وعلى الرغم مما بذله اليهود من مختلف الوسائل والإغراءات ، وبالرغم من تسخير حكومة الإنتداب لتنفيذ مخططاتهم ، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتملكوا إلا نحو مليونى دونم أى ما يعادل ٧٪ فقط من مجموع أراضى فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم وذلك منذ أن بدأوا بالهجرة إلى فلسطين ، وحتى انتهاء الإنتداب البريطانى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وقد استطاع اليهود الإستيلاء على المليونى دونم بالوسائل الآتية[١] :

٦٥٠,٠٠٠ دونم استولى عليها اليهود فى عهد الحكومة العثمانية (خلال حقبة طويلة) بحجة إنعاش الزراعة وإنشاء مدارس زراعية .

٣٠٠,٠٠٠ دونم منحتها حكومة الإنتداب البريطانى لليهود دون مقابل (وهى من أملاك الدولة)

٢٠٠,٠٠٠ دونم منحتها حكومة الإنتداب البريطانية لليهود لقاء أجرة اسمية (وهى من أملاك الدولة)

٦٣٥,٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من بعض اللبنانيين والسوريين الذين كانوا يملكون أراضى فى فلسطين منذ الحكم العثمانى مثل (أراضى مرج بن عامر ، ووادى الحوارث ، والحولة وغيرها) . فقد باعت عائلة سرسق اللبنانية ٢٤٠٠٠٠ دونم وبلغ مجموع ما باعته ٣٣ عائلة غير فلسطينية (أمثال الجزائرى ، اليوسف ، القبانى ، سلام التيان ، التوينى وغيرهم) لليهود ٤٦١,٠٠٠ دونم[٢] .

٢٥٠٠٠ دونم باع عرب فلسطين معظمها فى ظروف قاهرة ، وبعضها ذهب نتيجة نزع الملكية[٣] .

ونتيجة لذلك أصيبت الصهيونية بخيبة أمل كبيرة لأنها لم تنجح فى تحقيق شراء أراضى فلسطين ، فلم تجد أمامها غير وسيلة واحدة وهى استعمال القوة ،

---

(١) محمد أمين الحسنى : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١١ – ١٢ .

(٢) محمد عرابى نخله : تطور المجتمع فى فلسطين ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٥٩ – ٦٠ .

(٣) فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ص ٥٩ .

فأخذت تحتل الأماكن والمناطق التى تنسحب منها قوات الإنتداب البريطانى تدريجيا بتخطيط وتنسيق تام مع الحكومة المنتدبة . ولما توقفت حرب عام ١٩٤٨ ، وفشلت الدول العربية فى تحرير فلسطين وانسحبت منها ثم وقعت الهدنة العامة مع إسرائيل فى رودس عام ١٩٤٩ ، كانت إسرائيل تحتل نحو ٢٠٨٥٠ كيلو مترا مربعا من فلسطين أو نحو ٧٧٫٤٪ من مساحة البلاد الكلية[١] .

وبمجرد أن هدأت الأحوال نسبيا وصفا الجو لإسرائيل أخذت تعمل على نزع ملكية الأراضى العربية التى تحت سيطرتها ، وقد استعانت على ذلك بوضع تشريعات وقوانين اتخذتها كوسيلة لتحقيق ذلك . فبعد قيام إسرائيل مباشرة صدر قانون الطوارئ والذى منح وزير الدفاع بموجبه صلاحيات خطيرة جدا منها إخراج العرب الذين يسكنون فى مناطق من فلسطين حيث أطلق عليها مناطق الأمن ، وترحيلهم خارج هذه المناطق بصورة دائمة[٢] .

وهكذا أتينا بالتفصيل على مسألتى الهجرة والأراضى التى نشط الصهاينة من أجلها خلال فترة الإنتداب ، غير أن الصهاينة لعبوا أدوارا أخرى هامة فى تأسيس الوطن القومى اليهودى ، فرفعوا علمهم فى مستعمراتهم ، وأنشدوا نشيدهم القومى « هاتكفا » الأمل ، ثم فرضوا لغتهم ، وفتحوا مدارسهم ، وأسسوا جامعة هى الجامعة العبرية ، وبنوا مستعمرات ، وأنشأوا الوكالة اليهودية التى أنيط بها التنظيم الإدارى لليهود وهى شبه حكومية وتشمل المؤسسات المتعددة وأولها الهستدروت (إتحاد العمال) والشركات الأخرى لشراء الأراضى والتوطين ، وسمحت بريطانيا للوكالة اليهودية بتأليف هيئات ومنظمات إرهابية عسكرية كالهاجاناه والأرغون وشتيرن وغيرها ، وأمدت بريطانيا كذلك اليهود بالسلاح فى حين ضيقت على العرب الخناق وطبقت أقسى العقوبات على العرب

---

(١) جون رودى : « حركيات استلاب الأراضى . بحث فى كتاب تهديد فلسطين ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

(٢) محمد الفرا : تهديد فلسطين ، ص ١٢ .

الذين كانوا يحملون السلاح[1] . ولا شك أن صموئيل المندوب السامى البريطانى قد حقق للصهيونية الشئ الكثير خلال فترة حكمه القصير (١٩٢٠ - ١٩٢٥) فقد شجع الهجرة وتضاعف عدد اليهود من خمسة وخمسين ألف نسمة إلى مائة وثمانية آلاف نسمة ، وازداد عدد المستعمرات اليهودية من أربع وأربعين إلى مائه مستعمرة وانتهى عهده بإفتتاح الجامعة العبرية فى عام ١٩٢٥[2] . كما لعبت الوكالة اليهودية - والتى كانت حكومة فعلية ضمن الإنتداب البريطانى دورا هاما فى إنشاء الوطن القومى اليهودى بمساعدة بريطانيا[3] .

وازاء تحالف الصهيونية والإستعمار وسعيهما معا لتهويد فلسطين ، رفض عرب فلسطين ذلك وهبوا لمقاومة كل المخططات الصهيونية والإستعمارية ليس فقط منذ بداية عهد الإنتداب بل قبل ذلك بكثير إبان الحكم العثمانى على وجه الخصوص فكان جهادا مريرا لا زال قائما حتى الآن وقد مضى عليه قرابة قرن .

الحركة الوطنية الفلسطينية :

بدأ التحرك الفلسطينى مسجل نضاله الوطنى المتصل ، ضد موجات الهجرة ومشاريع الإستيطان الصهيونية قبل أن يجتمع المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بال بسويسرا ١٨٩٧[4] . وطالبت الحركة الوطنية الفلسطينية فى كل مذكرة أو احتجاج قدم للسلطنة العثمانية ، بمطلب واحد متكرر : وقف انتقال ملكية الأراضى وإستملاكها للصهاينة .

ولم يرافق الشعور القومى عند عرب فلسطين فى القرن التاسع عشر أى شكل من أشكال العداء لليهود ، قبل بداية الغزو الصهيونى والهجرة الصهيونية الواسعة

---

(١) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ وانظر كذلك .
Cohen, Ahroni Israel and the Arab world, p.169.

(٢) تقرير المندوب السامى عن إدارة فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) إلى وزير المستعمرات البريطانى القدس ١٩٢٥ ، ص ٣٢ - ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) مجاهد على شراب : «كفاح ونضال الشعب العربى الفلسطينى منذ الحرب العالمية الأولى» دراسة تاريخه جريدة الوطن الكويتية ، ١٩٧٦/٨/١٠ .

عام ١٨٨٢ . فلم يشعر عرب فلسطين تجاه اليهود بأى إحساس يضر بالمصالح القومية للشعب الفلسطينى ، فقد كانت صلة اليهود بفلسطين مجرد صلة دينية عاطفية ورغبة لدى بعض الفئات اليهودية المتدينة فى الإقامة قرب الأماكن المقدسة للتعبد وممارسة الطقوس الدينية لقضاء أيامهم الأخيرة فى المدن الأربعة المقدسة (القدس ، صفد ، طبريا ، الخليل) ناهيك عن أن اليهود المتدينين كانوا يؤمنون بفكرة بعث الدولة اليهودية فى فلسطين بحدوث معجزة إلهية ، يظهر معها المسيح المنتظر الذى سيعيد بناء ، هيكل سليمان ويقود العالم نحو الخير والسلام[1] .

وعلى العموم ، فقد تمتع اليهود فى فلسطين إبان الحكم العثمانى بقسط كاف من الحرية الدينية رغم كونهم أقليه ضئيلة بين السكان العرب (٢٪) ولا تلفت النظر ، وعاشوا مع العرب فى أمان وسلام وذلك إنطلاقا وإنسجاما مع تعاليم ديننا الإسلامى بحماية من يعيش بين المسلمين من ذوى الديانات الأخرى والمساواة بينهم وبين المسلمين فى المعاملة . ولكن الحال تغير بتغير أهداف الهجرة اليهودية ، فالهجرة القديمة كانت من الرجال المتدينين الذين يريدون البقاء فى فلسطين قرب الأماكن المقدسة ، أما الهجرة الحديثة فى القرن التاسع عشر فكان طابعها الإستيطان . ومن هنا أخذ الشك يتسرب إلى نفوس عرب فلسطين مما حدا بالحركة الوطنية الفلسطينية اتخاذ مجموعة من الإجراءات لوقف إنتقال الأرض ، إذ أنها حرمت البيع بفتاوى شرعية وشجعت عملية وقف الأرض ، واتخذت جميع الإجراءات السلبية والإيجابية لمنع انتقال الأرض إلى الأيدى الصهيونية[2] .

أثارت هجرة اليهود إلى فلسطين تخوف عرب فلسطين من الإستيطان اليهودى ، فقد وردت أول إشارة مبكرة لذلك من القدس فى رسالة نشرتها مجلة

---

(١) أمين محمدود عبد الله : « نشأة النزعة الإستيطانية فى الفكر اليهودى الغربى خلال القرن التاسع عشر » مجلة العلوم الإجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد الثانى يوليو ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب ، منشورات اتحاد الحقوقيين الفلسطينين ، الكويت ١٩٧٥ ، ص ٢٣ .

الجوائب اللبنانية فى عددها ٣٥٦(٨ عام ١٨٦٨ ، ذكر فيها الكاتب عن قدوم أحد أعضاء الجمعية الإسرائيلية فى باريس (الإليانس) إلى القدس وقال فيها . « إن مراد الجمعية أن تشترى حقولا ومزارع فى الأراضى المقدسة ليتعلم أولاد اليهود الزراعة والحراثة » ، ويلفت الكاتب نظر الدولة العلية » أن تنظر فى أمرنا وتتدارك أحوالنا ، وإلا فإن اليهود لا يلبثون أن يجلونا من هذه الأرض كما أجليناهم من جزيرة العرب »[1] . ويتضح من ذلك أن عرب فلسطين أحسوا بالخطر الحقيقى الذى يهددهم من وراء الهجرة اليهودية الإستيطانية ، ويظهر أن هناك أرضية تاريخية رسبت فى عقول عرب فلسطين احساسهم بالخطر الصهيونى المتمثل فى الهجرة وجعلتهم يعتقدون أن الصهيونية هى الخطر الذى يهددهم وأنه ينبغى تركيز جهودهم تجاه مقاومتها .

كما أبدى قنصل الولايات المتحدة الأمريكية فى القدس تخوفه من هجرة اليهود إلى فلسطين وكتب إلى حكومته (١٨٧٥) محذرا من أن تدفق اليهود على فلسطين بمعدل ألفين كل عام من روسيا سوف يقلب الحالة فى البلاد ويصبح اليهود هم سكان البلاد لا سكانها الأصليين[2] . وقدم رؤوف باشا حاكم القدس الثانى احتجاجا إلى القنصلين الألمانى والروسى لإنتشار فكرة أحلام العودة إلى فلسطين بين اليهود ، وخاصة منذ أن تأسست مستعمرة « بتاح تكفا » والتى تعنى الأمل فى عام ١٨٧٨ ، وأوضح الحاكم أن ما يفعله ضد هذه المستوطنات إنما هو لإزالة هذا الحلم[3] . ومن هنا تشجع عرب فلسطين فقاموا بإحتلال الأراضى التى استولى عليها اليهود ، وتكرر الهجوم من العرب مع زيادة الهجرة إلى فلسطين .

وقد بدأت الإضطرابات المسلحة بين الفلاحين العرب والغزاة الصهاينة والمستوطنين الجدد عام ١٨٨٦ وذلك فى أعقاب الهجرة الصهيونية الأولى ، فقد

(١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٢ .

(٢) مانويل فرانك ا .: بين امريكا وفلسطين ، ترجمة يوسف حنا ، عمان ١٩٦٧ ، ص ٢٠ .

(٣) خيرية قاسمية : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

هاجم الفلاحون العرب المطرودون من الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) التى أجلوا عنها رغما عن إرادتهم . وأجبرت الإصطدامات المسلحة الحكومة العثمانية عام ١٨٨٧ إلى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهاينة الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح . . . بحيث لم يعد يسمح لهم بالإقامة لمدة تزيد على ثلاثة أشهر فى البلاد ، وذلك بموجب جوازات سفر حمراء ، عوضا عن جوازاتهم الأصلية عند دخول البلاد ، وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى وللدوافع نفسها فى عام ١٨٩٢ (١) .

وبالرغم من ذلك فإن الهدوء قد ساد العلاقات بين العرب واليهود خلال السنوات العشر الأولى من الهجرة الكثيفة (١٨٨١ - ١٨٩١) ولكنه سرعان ما انقلب إلى شعور بالشك والإستنكار للهجرة ، وبدأ العرب يفيقون ويتنبهون للخطر الصهيونى ، وأصبح مألوفا أن تحصل إعتداءات من السكان العرب على المستعمرات اليهودية . وسقطت الصداقة القديمة أمام عداء العرب للهجرة ، فقد كان احساس العرب بابتعاد المستعمرات الصهيونية عنهم يزداد ، حيث حرص اليهود على أن تكون مستعمراتهم عبرانية خالصة ، وقاوموا كل ما يخل بالشكل العبرانى (٢) .

وهكذا اتضحت الرؤيا والقصد من الهجرة الصهيونية أمام عرب فلسطين ، وزالت الأقنعة وأزيح الستار عنها ، ووجد عرب فلسطين أن لا مناص لهم من الكفاح ومقاومة مخططات الصهيونية بعد أن تأكد لهم أن الهجرة اليهودية هدفها إستيطان فلسطين وبالتالى طرد أهلها منها على المدى البعيد . ومن هنا كان الصراع فى فلسطين صراعا بين استعمار سياسى عسكرى إستيطانى صهيونى وبين شعب يدافع عن حريته ووجوده وكيانه ضمن ظروف الصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى على السيادة والأسواق فى العالم . وقد حدد هذا كله طبيعة الصراع بين الطرفين كما بين التناقض بين الحركة الصهيونية والحركة الوطنية العربية .

---

(١) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٩ .

(٢) عبد العزيز عوض : « الحركة العربية فى متصرفية القدس » مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة العدد الأول ، يناير ١٩٧٤ ، ص ١٤٥ .

وانكفأ عرب فلسطين على التصدى للهجرة اليهودية ومخططات الصهيونية ، ففى ايار (مايو) ١٨٩٠ قام وفد من وجهاء القدس بتقديم عريضة احتجاج للصدر الأعظم (رئيس الوزراة العثمانية) ضد رشاد باشا (الذى حل محل روؤف باشا كمتصرف لسنجق القدس) الذى أبدى محاباة للصهاينة وتحيزا لهم . وعاد وجهاء القدس فى يونيو ١٨٩١ فأرسلوا إلى الصدر الأعظم فى الآستانة ، إحتجاجا طالبوا فيه بإصدار (فرمان) « يمنع هجرة اليهود وتحريم استملاكهم للأراضى الفلسطينية » بعد أن لاحظوا بداية النشاط الصهيونى لإقامة « وطن قومى لليهود فى فلسطين »[٢] .

ومما يجدر ذكره أن عريضة الإحتجاج الأولى ضد مشاريع الإستيطان الصهيونية ، تضمنت المطلبين الأساسيين للحركة الوطنية فى فلسطين وهما الشعاران اللذان ظلا مرفوعين حتى عام ١٩٤٨ : منع الهجرة وتحريم إستملاك اليهود للأراضى الفلسطينية .

وعلى العموم ، فقد استجابت الآستانة للإحتجاج إلا أن التدخل البريطانى أبطل مفعول الفرمان ، غير أن عرب فلسطين واصلوا الإتصال بالآستانة ، فأصدر السلطان قرار فى السنة التالية ١٨٩٢ بمنع اليهود من شراء الأراضى ، ويمنع أيضا الرعايا من بيع الأراضى لليهود . ولكن تدخلت بعض الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا فاستطاعت أن تقلل من فعالية القرار بالمنع ، وذلك بالرغم من تشبث الحكومة العثمانية برأيها حتى خلع السلطان عبد الحميد (أبريل ١٩٠٩)[٣] وهذا يوضح أن الصهيونية لجأت إلى أسلوب الرشوة للموظفين الأتراك ، وأساليب أخرى كمخالفة قوانين الإقامة والبقاء فى فلسطين فى ظل قانون الحماية للأجانب برعاية الدول الأجنبية .

وأخذت المقاومة العربية تشتد فى مواجهة الإستيطان الصهيونى ، فى أعقاب المؤتمر الصهيونى الأول ، فى عام ١٨٩٧ ترأس مفتى القدس محمد طاهر الحسينى

---

(٢) ناجى علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٨٢ – ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٣٩ .
(٣) عبد العزيز عوض : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق فى طلبات نقل الملكية فى متصرفية القدس ولمحاربة الهجرة اليهودية والإستيطان الصهيونى ، فحال ذلك دون حصول اليهود على أراضى زراعية جديدة لسنوات عديدة[١] .

وأشارت تقارير عام ١٨٩٨ إلى أن « أهل فلسطين وقفوا موقفا حازما ضد المشاريع الصهيونية والهجرة اليهودية ، وامكان قيام (اسرائيل) فى بلادهم ، لأنهم اعتبروا ذلك خطرا على حقوقهم وامتيازاتهم »[٢] .

وشهد عام ١٩٠٠ حملة اجتماعية واسعة من العرائض الجماعية ضد استملاك اليهود للأراضى الزراعية . وسجلت تقارير « البرت عنيتبى » المعتمد الرسمى « للجمعية الإستعمارية اليهودية » ، وكانت حينذاك مؤسسة غير صهيونية . تدل دلالة قاطعة على الوعى الفلسطينى المبكر وتثبت أن الصهيونية هى التى سممت العلاقات العربية باليهود فى فلسطين ، كما سجلت هذه التقارير امتداد المعارضة للصهيونية إلى صغار موظفى الحكومة من أهالى البلاد[٣] .

وفى عام ١٩٠١ صدر قرار آخر يمنع دخول أى يهودى إلى أرض فلسطين (إلا إذا كان سيغادرها خلال ثلاثة أشهر) ولم ينفذ هذا القرار بسبب تدخل السفير البريطانى فى العاصمة العثمانية (الأستانة) ، على دخول الصهاينة إلى أرض فلسطين بمساعدة بريطانيا – بطرق غير مشروعة[٤] .

وحذر المفكر العربى اللبنانى نجيب عازورى – الذى أقام فى فلسطين – من المخططات الصهيونية وتناقضها مع أمانى الأمة العربية ، ففى عام ١٩٠٤ أصدر نجيب عازورى بيانه التاريخى « بلاد العرب للعرب » وأصدر فى العام التالى ، فى باريس كتابه « يقظة الأمة العربية » Le vévil de la nation orabe ، نبه فيه إلى خطورة التوسع الصهيونى فى فلسطين وأثره على الأمة العربية ، وخشيت السلطات العثمانية من إنتشار أفكاره بين العرب ، فقامت بحركة إعتقالات فى يافا

---

(١) مجاهد على شراب : المصدر السابق

(٢) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٠

(٣) Mondel, Neville: Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine, London 1965, p.214.

(٤) Mondel, N: op. cit., p. 246.

وغيرها من المدن ، ولكنها اضطرت تحت الضغط العربي في عام ١٩٠٦ إلى تعيين متصرف جديد للقدس ، بدلا من سلفه رشيد بك ، الذى كان قد ساند الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وخالف القوانين العثمانية التي فرضت الخطر عليها[١] .

وقد أثار توافد يهود الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) استياء الفلاحين الفلسطينيين الذين عبروا في أكثر من مناسبة عن معارضتهم منذ اللحظة الأولى لوصول المستوطنيين الصهاينة . ورافق هذا الاستياء موجة من الغضب على الملاكين الإقطاعيين الذين كانوا يجنون الأرباح من بيع الأراضى للصهاينة .

« وفى شهر تشرين الثانى(نوفمبر)١٩٠٨ وردت تقارير تدل على أن الفلاحين فى منطقة حيفا وطبريا يضمرون شعورا من العداء نحو الملاكين العرب أصحاب الأراضى الشاسعة أمثال (مصطفى باشا ، فؤاد سعد ، آل سرسق)وكذلك الأمر بالنسبة للمستعمرين اليهود »[٢] .

بعد أن قامت الجمعيات اليهودية بشراء مساحة واسعة من الأرضى من عائلة سرسق اللبنانية بالقرب من طبريا ، مما كان له أعمق الأثر فى نفوس الفلاحين فى القرى المجاورة والتى كانت ضمن صفقة البيع ، الأمر الذى حدا بهم إلى مهاجمة الفننين الذين جاءوا لمسح الأرض تمهيدا لنقل ملكيتها ، وذلك بقصد محاولة منع إتمام الصفقة . ونجح العرب بالفعل فى استصدار أحكام من الباب العالى بإلغاء بعض الصفقات التى عقدها الصهاينة فى مطلع القرن العشرين[٣] . ويبدو أن مشاعر الفلسطينيين العرب المسلمين كانت ذات تأثير فى موقف السلطان عبد الحميد الرافض لمحاولات هرتزل لإغرائه بيع فلسطين بالرغم من حاجة الدولة العثمانية الماسة حنيذاك للدعم المالى .

ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نذكر بالفخر والإعتزاز الموقف المشرف الذى وقفه السلطان عبد الحميد من محاولات هرتزل والصهيونية ، فقد أصدر عدة

(١) أسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٤٥

(٢) Mandel,N. : op.cit., p.300

(٣) عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٠ - ٥١ .

قرارات فى غاية الأهمية فقد أصدر قرارا بعدم السماح للحجاج اليهود بالإقامة فى فلسطين أكثر من ثلاثة شهور . وعليهم تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين ، ويستلموا بدلا منها إذن إقامه (الجواز الأحمر) من موظفى الباب العالى فى الميناء الذى يدخلون منه ، وكل من لا يغادر البلاد خلال هذه المدة فسيطرد من البلاد . وأصدر أمرا ثانيا فى سنة ١٩٠١ يحرم فيه على اليهود شراء أى قطعة أرض فى فلسطين وكان القرار الأخير والهام هو رفض عروض اليهود عليه بتسديد جميع ديون الدوله العثمانية البالغ ٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية ، وبناء أسطول لحملة الإمبراطورية بمبلغ ١٢٠ مليون فرنك ذهبى ، وتقديم قروض للدولة بمبلغ ٣٥ مليون ليره ذهبية بدون فوائد لانعاش مالية الدولة وذلك مقابل دخول اليهود إلى فلسطين والسماح لهم بانشاء مستعمرة فى القدس .

أدرك السلطان عبد الحميد بثاقب نظره أن هذا المطلب البخس لا يتناسب مع الثمن الضخم الذى عرضه اليهود وأيقن أنهم إنما يريدون الحصول على موطئ قدم فى بداية الأمر ، ليتطلعوا بعد ذلك لإستعمار فلسطين كلها . ولذلك كان رده التاريخى على اليهود - بعد أن رفض مقابلتهم - مايلى :

١ - أن ديون الدولة ليست عارا عليها ، لأن غيرها من الدول مثل فرنسا مدينة أيضا وذلك لا يضيرها .

٢ - أن بيت المقدس الشريف قد افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر بن الخطاب ولست مستعدا أن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحمايتها .

٣ - ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بأموال أعداء الإسلام .

هذا هو موقف السلطان عبد الحميد المشرف من قضية فلسطين ، والذى يذكر له العرب والمسلمون بالتقدير[1] . والاعتزاز والفخر ، والذى رفع الصهيونية والإستعمار لأن يتعاونا على تحريك حزب تركيا الفتاة للتخلص منه وخير

(١) حسان حلاق : موقف الدولة العثمانيه من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ بيروت ١٩٧٨ انظر الفصل الثالث ص ١٢١ - ٢٥١

شاهد على موقف السلطان عبد الحميد هو ما ورد عن هذه الإتصالات فى مذكرات هرتزل وقد سبق الإشارة إليها .

ومنذ عام ١٩٠٨ بدأت بعض الصحف تأخذ على عاتقها كشف المطامع الصهيونية وأخطار الهجرة وبيع الأراضى لليهود وكان فى طليعة تلك الصحف جريدة « الكرمل » التى أسسها نجيب نصار والتى توقفت مرارا بسبب مقالاتها العنيفة التى كشفت الخطر الصهيونى . كما قامت مظاهرات مختلفة احتجاجا على الهجرة اليهودية[١] . وهكذا اتخذ رد الفعل العربى ضد الصهيونية منذ البداية أشكالا مختلفة من إرسال البرقيات إلى الإحتجاج والمظاهرات والحملات الإعلامية فى الصحف .

وازدادت الهجمات المسلحة حدة بعد عام ١٩٠٨ على المستعمرات اليهودية والأفراد ، بتأثير من الحملة الصحفية التى وصلت الفلاحين فى أكواخهم الطينية والبدو فى خيامهم[٢] .

وبعد أن جرت انتخابات مجلس المبعوثان فى السلطنة العثمانية ، انتقل الصراع ضد الصهيونية إلى داخل المجلس أيضا ، ومنذ سنة ١٩٠٩ خاصة ، فقد أجبر النواب العرب فى مجلس المبعوثان رئيس الوزراء على أن يعلن « أنه لن يسمح لليهود باستيطان فلسطين »[٣] .

وفى هذه الفترة ظهرت أول وثيقة هامة عن موقف الفلسطينيين من اليهود والحركة الصهيونية ، وهى دراسة نشرها المثقف الفلسطينى يوسف الخالدى بين فيها أن هدف الحركة الصهيونية هو إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين ، وقد حذر من قيام تلك الدولة لأن قيامها « لا يمكن أن يتم دون إصطدامات وصراع دموى بسبب المعارضة العربية لقيام مثل هذه الدولة » . ويطرح الخالدى فى دراسته قضيتين هامتين :

---

(١) ناجى علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ .

(٣) ناجى علوش : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

أولاهما : أنه يلمس « مشكلة يهودية » فى أوربا ، ولذلك فقد اقترح » إقامة وطن قومى لليهود خارج فلسطين » .

وثانيهما : أنه يفرق « بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود »[1] .

وواصلت الصحف العربية حملاتها على الذين يبيعون أراضيهم للمهاجرين الصهاينة ، وفى شهر أيار (مايو) ١٩١٠ ، هاجمت الصحف العربية آل سرسق لاعتزامهم بيع أراضى قريتى فولة وعفولة لليهود . وبحلول صيف عام ١٩١٠ كانت عدة صحف عربية نافذة قد بدأت تتبنى الحملة المناوئة لبيع الأراضى العربية للمستوطنين الصهاينة ، بينها صحيفة « المقتبس » الدمشقية وصحف « المفيد » و « الحقيقه » « والرأى العام » البيروتية . كما كونت جميع الصحف العربية جبهة واحدة ضد الصهيونية ، فكتبت مقالات كثيرة ضد الصهيونية ، كما كشفت أيضا أساليب ووسائل اليهود ، كرشوة الحكام العثمانيين وكبار موظفى الباب العالى بقصد تسهيل نقل ملكية الأراضى العربية فى فلسطين إلى اليهود[2] .

وتجلى رفض العرب فى معارضة المصريين لمشروع توطين اليهود فى شبه جزيرة سيناء ، كما تجلى كذلك فى معارضة النواب العرب فى البرلمان العثمانى (مجلس المبعوثان) عام ١٩١٤ للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وإقامة المستعمرات الزراعية فيها[3] .

وتصاعدت موجة المقاومة والتصدى فظهرت جمعيات لمكافحة الصهيونية ودرء الخطر الصهيونى عن البلاد ، منها جمعية مكافحة الصهيونية « أنشئت عام ١٩١٣ فى نابلس » ، وفى عام ١٩١٤ تأسست الجمعيات التالية فى القدس « الجمعية الخيرية الإسلامية » و « جمعية الاخاء والعفاف » و « شركة الاقتصاد الفلسطينى العربى » و « شركة التجارة الوطنية الاقتصادية » . وكان هدف هذه

---

(١) جريدة الاهرام ، ١٩٠٩/١٠/٧ نقلا عو الأرض الفلسطينية بين الشرعية والإغتصاب ص ٢٨

(٢) جريدة المقتبس الدمشقيه ١٩١٢/١٢/٢٥ نقلا عن عبد الوهاب الكيالى : المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٧١

(٣) Taylor,A: Prelude to Israel (New york 1959) p.31.

المؤسسات ومثيلاتها هو الوقوف فى وجه الأخطار الوشيكة التى تهدد أرض الوطن وإنقاذ البلاد من الدمار[1]..

وشهدت البلاد طيلة صيف عام ١٩١٣ حملة من الإحتجاجات ضد محاولات بيع أراضى الدولة الحكومية (الميرى)فى بيان لليهود ،واشتدت النقمة الجماهيرية حتى أن مظاهرات قامت فى نابلس سنة ١٩١٣ ضد إعتزام السلطة بيع أراضى بيسان للمنظمات الصهيونية ، ونشرت الكرمل فى ٤(٧(١٩١٣ صورة من مضبطة احتجاج من غزة والقدس ويافا حول منح الحكومة الأرض لليهود ، ونشرت كذلك برقيات احتجاج أخرى من أهالى فلسطين ، كما نشرت كذلك نداء إلى الفلسطينين دعتهم فيه إلى الضغط على الحكومة لمنعها من بيع الأراضى الأميرية إلى اليهود فتضايقت الحكومة التركية . والتى جاءت فى أعقاب الإطاحه بالسلطان عبد الحميد بتعضيد من اليهود وحزب تركيا الفتاة — من الحملة وأغلقت الصحف (فلسطين والكرمل والمقتبس) التى عالجت الموضوع بتهمة تعكير الأمن[2] .

كما شهد عام ١٩١٣ مظاهرات قامت فى نابلس إحتجاجا على إعتزام السلطة بيع أراضى بيسان للمنظمات الصهيونية ، وحرق الشعب الفلسطينى حرشا من الأشجار التذكارية التى غرسها بعض رجالات الصهيونية عند زيارتهم لفلسطين فى ذلك العام . كما قام الفلاحون بمهاجمة المستعمرات اليهودية فى منطقة طبريا والخليل ويافا وقد ربط الصهيونيون ذلك بحسدالفلاحين لهم إلا أنها كانت إعترافا بأن حياة المستوطنات لم تكن آمنة . وتعددت شكاوى اليهود لدى الباب العالى لحماية سكان المستوطنات ، وكان أشهر هذه الحوادث هى حادثة الإشتباكات بين أهالى قرية زرنوفا ومستعمرة ديران (رحبوت) فى أواخر تموز (يوليو) ١٩١٣ ، والتى بدأت بحادث صغير بين بعض أهالى القرية وحراس المستوطنة

(١) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٧١ — ٧٢

(٢) جريدة الكرمل ، ٧/٤ ، ٧/٧ ، ١٩١٣/٨/٨ نقلا عن ناجى علوش · المصدر السابق ، ص ١٠٤

اليهودية حول قطف بعض العنب من كروم المستوطنة ، واتسع الإشتباك ليشمل أهالى القريتين ، واستخدم السلاح ووقع بعض القتلى والجرحى من الطرفين وبدأت القطيعة تأخذ دورا مهما فاستغل الصهيونيون الحادث لتصوير أهالى البلاد بمظهر المتوحشين المتعصبين(١) .

ولعبت الصحافة العربية المعادية للصهيونية فى الأشهر السبعة الأولى من عام ١٩١٤ دورا بارزا وهاما فى توعية الرأى العام والتمهيد للقيام بأعمال منظمة منسقة ضد الصهاينة . وقد ثابرت الصحافة دون كلل أو ملل على التنديد بمواقف « أولئك الأثرياء المتنفذين الذين تعميهم مصالحهم الشخصية ، فلا يرون الخطر الصهيونى المحدق بهم ويؤثرون حاضرا ذهبيا على حساب مستقبل مظلم لأبنائهم »(٢) .

وكشف هذا النداء النقاب عن أن الفلسطينيين قد فقدوا الأمل أن تتخذ الحكومة أى أجراء ضد العدوان الصهيونى ومن ثم تحركوا نحو تنظيم أنفسهم والإعتماد عليها وحدها . وعشية الحرب العالمية الأولى كان الفلسطينيون يفكرون بالإنقضاض على الحكم التركى فانضم الكثيرون منهم إلى جمعيتين « العهد » و « الفتاة » اللتين كانت تناضلان فى سبيل استقلال العرب ووحدتهم وذلك إيمانا من الفلسطينيين بأن الصهيونيين حلفاء الأتراك فى وجه النهضة العربية . ولم يكن مما يثير الدهشة بالطبع أن يكون شباب فلسطين قد بدأوا بالتفكير باللجوء إلى العنف أخر الدواء ضد الصهيونية ، وذلك فى وقت كانوا فيه يعملون أيضا على القيام بثورة ضد الأتراك لتحقيق استقلال العرب(٣) .

وتأسيسا على ما تقدم ، فإن عرب فلسطين قد وضعوا خطة سرية ضد اليهود فى فلسطين إبان الحرب العالمية الأولى ، فقد كشف بيرلمان أن الأوراق والمستندات التى وضع الأتراك أيديهم عليها عام ١٩١٥ تكشف عن وجود خطه

(١) خيريه قاسميه : النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ، ص ١٩٧ – ١٩٨

(٢) ناجى علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٠٣ – ١٠٤

(٣) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٧٦ – ٧٧

للتخلص من الصهيونية تقضى بإضرام النار فى المستعمرات اليهودية وطرد السكان اليهود منها . ومما جاء فى تلك الأوراق أن الصهيونيين هم ألد أعداء العرب وهذا هو السبب الذى من أجله كان الأتراك على استعداد تام لمساعدتهم[1] .

وبنشوب الحرب العالمية الأولى ، توقف النشاط ضد الحركة الصهيونية لإنتقال مركز نشاطها إلى مجالات عالمية أوسع من جهة ، ولأن الشرق العربى نفسه قد شغلته أحداث الحرب بعد أن صار أحد ميادينها العسكرية من جهة أخرى ، ولتغير موقف تركيا نفسه من اليهود إبان الحرب أيضا . فقد ألغت تركيا امتيازات نظام الحماية التى كان المواطنون الأجانب ومن ضمنهم المهاجرون اليهود يتمتعون بها . واعتبرت تركيا يهود روسيا مواطنى دولة معادية كانت فى حالة حرب مع تركيا ، فاضطر حوالى ٣٠ ألف يهودى إلى النزوح من فلسطين وبذلك وصل عدد السكان اليهود فيها فى نهاية الحرب إلى نحو ٥٦ ألف نسمه بدلا من ٨٥ ألف عند بدايتها[2] . ونال اليهود أيضا فى فلسطين نصيبهم من سياسة الإضطهاد[3] ، والتى انتهجها جمال باشا فى سوريا الكبرى ، فقامت السلطات العثمانية بحظر النشاط الصهيونى فى البلد ، وأمرت بحل كل المنظمات الصهيونية العاملة فيه ، وقام جمال باشا بنفى عدد من الزعماء الصهيونيين البارزين من فلسطين وكان من بينهم دافيد بن غوريون واسحق بن زفى وغيرهم . كما اشتدت الإجراءات القمعية ضد اليهود فى أواخر عام ١٩١٧ عندما كشفت السلطات العثمانية شبكة تجسس (نيلى) وتعمل بين يهود فلسطين لصالح بريطانيا ، ونتيجة لذلك فرض الأتراك حصارا حول بعض المستوطنات اليهودية ، ونكلت بسكانها

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢) صبرى جريس : تاريخ الصهيونية جـ ١ بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٩٠ – ٢٩٢

(٣) فى عام ١٩١٥ اقتحم الرائد حسن الجابى اجتماعا سريا لفرع الجمعية الصهيونية فى مدينة يافا وضبط اوراقا سرية هامة وخطيرة ، ونفى بعض رجالات الصهيونية خارج المدينة وابرق أهل يافا إلى السلطان العثمانى فى ذلك الوقت محذرين من خطر الصهيونية . انظر عادل غنيم : « موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية ومن الحرب العالمية الأولى فى اضطرابات البراق ١٩٢٩ » مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢١٥

واعتقلت أعدادا كبيرة منهم ، وأعدمت بعض قادة شبكة التجسس (نيلى) . وزاد من حدة الإجراءات التى اتخذت ضد سكان المستوطنات اليهود الإضطراب الذى ساد فى صفوف القوات التركية مع بدء الهجوم البريطانى من سيناء على جنوب فلسطين [1] .

أدى إلغاء تلك الإمتيازات إلى خروج تظاهرات تأييد عربية فى يافا والقدس وقام المتظاهرون فى احداها بوضع قبعة من ذلك النوع الذى يستعمله المستوطنون الصهيونيون على رأس كلب ورجموه بالحجارة وهم ينشدون « الحماية مثل الصرماية »[2] . (الحذاء) . كما أبدى عرب فلسطين تأييدهم وترحيبهم بالإجراءات القمعية ضد اليهود ، ولكنهم مع ذلك كانوا غير راضين عن موقف السلطات لمنعهم من تنفيذ مخططاتهم السرية ضد اليهود . وربما كانت السلطات العثمانية آنذاك معذورة لأنها مشغولة فى مبادين الحرب وتخشى قيام حرب أهلية فى منطقة الحرب قد تؤثر عليها ، ولربما كان بعض الساسة العثمانيين متعاطفين معهم وهذا هو الأرجح . ومن المؤسف أن العرب وقعوا ضحية الاستعمار وتحالفوا معه ضد الدولة العثمانية فى حين تحالف جماعة الإتحاد والترقى مع اليهود وسار كلا الجانبان العربى والتركى فى طريق قومى مما كان له أكبر الأثر فى إنهيار الدولة بسبب خضوعها للصهيونية والإستعمار .

وهكذا كانت نظرة عرب فلسطين للحركة الصهيونية نظرة واقعية . فقد أحسوا بخطر الغزو الصهيونى الذى يتهددهم وكانوا يخشون من قيام دولة صهيونية فى فلسطين من خلال تحركات الصهيونية فأدركوا أن المعركة مع الصهيونية هى معركة بقاء أو فناء وأن نجاح الحركة الصهيونية يعنى أن الصهيونيين يمتلكون البلاد ونصبح نحن فيها غرباء . وكان التخوف الشعبى يذهب أبعد من ذلك وكأنه يتنبأ بالمستقبل ، ويخشى من المصير الأسود الذى سيلاقيه الفلسطينيون إذا لم ينهض المخلصون ويخفوا لإنقاذهم .

---

(١) صبرى جريس : تاريخ الصهيونية ، ح ١ ص ٢٩٤ – ٢٩٥

(٢) صبرى جريس : تاريخ الصهيونية حـ ١ ، ص ٢٩١

ولا شك أن عرب فلسطين كانوا على وعي وادراك عظميين لأبعاد الخطر الصهيوني، إذ بدأ الصراع العربي الصهيوني منذ بلورت الصهيونية السياسية عام ١٨٩٧، ولكنه ظل ضعيفا ومحدودا حتى اعلان وعد بلفور، ثم زاد تأججا بعد وضع سياسة الوطن القومي موضع التطبيق خلال الإنتداب البريطاني على فلسطين، وقد حدد كل هذا طبيعة الصراع بين الطرفين، وأوضح التناقص بين الحركة الوطنية العربية والحركة الصهيونية. وتعود خلفية الصراع وجذوره إلى عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية، فمن الناحية السياسية تسعى الحركة الصهيونية إلى السيطرة والإستعمار والإحتلال شأنها فى ذلك شأن الدول الإستعمارية الكبرى لما بينهما من ترابط فى المصير والوجود والمصالح المشتركة ومن الناحية الإجتماعية فإن المجتمع الفلسطيني يعد مجتمعا زراعيا فى الدرجة الأولى ومجتمع كهذا لابد أن يكون محافظا، وأن يكون أهله ملتصقين بالأرض كما أن مثل هذا المجتمع ينظر بريبة إلى الغريب دائما لما بينهما من تفاوت وإختلاف فى العادات والتقاليد. أما من الناحيه الاقتصادية فقد شعرت فئة الفلاحين والعمال والحرفيين بأن الصهيونية قد قدمت تحديا لكل هؤلاء بما فى صفوفها من حرفيين وخريجى جامعات وعمال وعمال مهنيين ورؤوس أموال وخبرة يهودية عالمية فى كل المجالات وأنه بالتالى ستسيطر الصناعة اليهودية على الصناعة العربية وتعمل على عرقلتها، ولذا كانت المعارضة العربية للصهيونية معارضة عنيفة وشرسة، وتطورت إلى معركة بقاء أو فناء استمرت حتى بعد قيام الحرب العالمية الأولى خلال فترة الإنتداب البريطاني على فلسطين.

ومنذ صدور وعد بلفور واحتلال الإنجليز لفلسطين ١٩١٧، عمل عرب فلسطين على خلق تنظيم سياسى يستطيعون بواسطته مواجهة النشاط الصهيوني، فتأسست الجمعيات الإسلامية المسيحية التى قادت الحركة الوطنية الفلسطينية إبان الحكم العسكرى، وكانت تلك الجمعيات تنسق فى نشاطها مع الحركة العربية العامة التى كانت تتخذ من دمشق مقرا لها[1]. وكانت زيارة وايزمن

---

(١) عادل غنيم: الحركة الوطنية الفلسطينية، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٤ - ١٧

لفلسطين فى عام ١٩١٨ من أهم العوامل التى ساعدت على تكوين تلك الجمعيات [١] . وفى ٣ فبراير ١٩١٩ أرسل المؤتمر الفلسطينى الأول المنعقد فى القدس احتجاجا إلى مؤتمر الصلح فى باريس ، ورفض فيه تصريح بلفور والهجرة اليهودية إلى فلسطين ، كما قدمت الجمعية الإسلامية المسيحية عريضة مماثلة [٢] .

وسجل تقرير لجنة كنج كرين King-Crane التى قدمت إلى فلسطين عام ١٩١٩ رفض سكانها العرب للصهيونية ، وقررت اللجنة فى تقريرها أن البرنامج الصهيونى لا يتفق مع الحقائق ولا مع المبادئ التى أعلنها الحلفاء ، كما أوصى التقرير بأنه « يجب الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين والعدول عن كل خطة ترمى إلى جعل فلسطين دولة يهودية » [٣] .

وبعد توقيع معاهدة فرساى (٢٨ يونيو ١٩١٩) وإقرار ميثاق عصبة الأمم ، طالب الشعب العربى الفلسطينى بالإتحاد مع سوريا فى دولة عربية مستقلة ، وعارض بشدة أى تقسيم فى بلاد الشام . كما طالب بحق تقرير المصير وفق المبادئ التى أعلنتها الدول الحليفة على أثر انتهاء الحرب فى نوفمبر عام ١٩١٨ [٤] .

وفى فبراير ١٩٢٠ ، دعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطينى الأول إلى عقد مؤتمر فلسطينى فى يافا ولكن السلطات البريطانية منعت العرب من عقد ذلك المؤتمر وحظرت على الفلسطينيين الإجتماعات العامة والمظاهرات ، وفرضت الرقابة على الصحف العربية واعتبر العرب ذلك المؤتمر المقترح بمثابة المؤتمر الفلسطينى الثانى [٥] .

---

(١) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصهيونية ، القدس ٢١٩٣٧ ص ٣٧

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، اعداد مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، وثيقة ٢ ، ص ٣ – ٤ وثيقة ٦ ، ص ٨ – ١١

(٣) Documents on British Foreign policy: General clyton to Earl curzon June 1919, vol. iv,p.285.

(٤) Ibid; p.273

(٥) محمد عزة دروزة : القضيه الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، ط بيروت ١٩٥٥ ، ص ٣٨

وكانت جماهير الشعب العربى تغلى نقمة على السلطات البريطانية والمنظمة الصهيونية ، فانفجرت يوم ٤ أبريل ١٩٢٠ فى انتفاضة عارمة وحدثت إشتباكات بين العرب واليهود فى مدينة القدس ، سقط فيها عدد من القتلى والجرحى من كلا الطرفيين ، وإن كانت خسائر اليهود أكثر من خسائر العرب ، وامتدت الإشتباكات إلى شمال فلسطين ، ولكن قوات الإحتلال البريطانى قمعت تلك الإنتفاضة بالقوة . وكان من نتائج هذه الانتفاضة ظهور موسى كاظم الحسينى كأول زعيم للحركة الوطنية الفلسطينية من جهة ، وظهور وحدات يهودية مسلحة على يد جابوتنسكى تسمى بوحدات الدفاع الذاتى « الهاجاناه » من جهة أخرى[1] .

وفى الفترة بين ١٣ إلى ١٩ ديسمبر عام ١٩٢٠ عقد المؤتمر الفلسطينى الثالث فى حيفا ، فأقر ميثاقه الوطنى بالمطالبة بحكومة فلسطينية مستقلة على عكس المؤتمر الأول الذى نادى بوحدة فلسطين مع سوريا وكان سقوط الحكم العربى فى دمشق فى أواخر يوليو من عام ١٩٢٠ صدمة للحركة الوطنية الفلسطينية ، وجاءت الصدمة الثانية بعد شهرين حينما ضربت ثورة العراق عام ١٩٢٠ . مما فرض على القيادة الفلسطينية أن تعيد النظر فى إستراتيجيتها وأسلوب عملها السياسى فى هذه المرحلة[2] . وقد حاول العرب ممارسة سياستهم الجديدة لأول مرة حينما عرضوا مطالبهم على وزير المستعمرات (تشرشل) يوم ٢٨ مارس ١٩٢١ أثناء وجوده فى القدس ، إلا أنه رفض تلك المطالب وتمسك بسياسة بلاده تجاه الحملة الصهيونية كما أسلفنا . وعندما قامت مظاهرة فى مدينة حيفا فى نفس اليوم (٢٨ مارس) فى محاولة للضغط على بريطانيا لإعادة تقييم سياستها تجاه فلسطين ، تصدت قوات الإحتلال البريطانى وأطلقت النار على جموع المتظاهرين ، قتلت اثنين من العرب ، وأصابت عشرة آخرين ، وفرضت حظرا على التظاهر والتجمع فى سائر انحاء فلسطين[3] .

---

(١) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١٤٩ .

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ١٦ – ١٩

(٣) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطانى ، ص ١٦١

وفى أول مايو ١٩٢١ عمت مدن وقرى فلسطين انتفاضة عارمة ، بدأت بمدينة يافا على أثر إحتكاكات بين العرب والمتظاهرين من اليهود بمناسبة عيد العمال ، وتفاقمت الأمور فهاجم العرب عددا من المستعمرات اليهودية وألحقوا بها خسائر كبيرة ، إلا أن القوات البريطانية انبرت للدفاع عن اليهود وحماية مستعمراتهم ، وأنزلت فى صفوف العرب خسائر جسيمة قدرت بـ ٤٨ شهيدا و ٧٥ جريحا . فى حين بلغت خسائر اليهود ٤٧ قتيلا و ١٤٦ جريحا[١] . وقد تمخضت تلك الإنتفاضة عن نتيجة هامة جدا هى الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين الذين شاركوا فى الأحداث جنبا إلى جنب[٢] .

وعلى أثر انتفاضة مايو ، عنيت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق فى أسباب الحوادث برئاسة السيرتوماس هايكرفت قاضى قضاة فلسطين آنذاك فكانت نتائج التحقيق عادلة ، إذ أوضحت بأن السبب فى تلك الأحداث راجع إلى شعور العرب بضرورة مقاومة السياسة الرامية إلى إقامة وطن يهودى فى بلادهم . فقد جاء فى توصيات اللجنة : « . . . ونحن متفقون بأن ليس هناك دافع لوقوع الإضطرابات غير الشعور السائد فى البلاد ضد اليهود ، وهو ناشئ عن خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومى اليهودى »[٣] .

وكانت انتفاضة مايو دافعا لعقد المؤتمر الفلسطينى الرابع الذى عقد فى القدس فى الفترة ما بين ٢٩ مايو و ٥ يونيو من عام ١٩٢١ ، وكان من مقرراته : إرسال وفد فلسطينى إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسينى لشرح القضية الفلسطينية وتقديم مطالب عرب فلسطين إلى الحكومة البريطانية . وسافر الوفد يوم ١٩ يوليو ومكث فى لندن قرابة عام ، لم يستطع فيها تغيير سياسة بريطانيا تجاه فلسطين . وقد أرصدت بريطانيا على أثر انتهاء محادثاتها مع ذلك الوفد ، الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ ، والذى تمسكت بموجبه بسياستها تجاه الصهيونية العالمية

---

(١) Parlimentary Debates, House of Londs, 5th series, vol. 45. 15 Tune 1921, colc 566-572

(٢) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ . القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٢٤ .

(٣) parlimentary Debats, House of commons, vol.151, 16 Th Mar.1922 col.2356

وضرورة تنفيذ تصريح بلفور ، ووعد بإنشاء مجلس تشريعي ، وحددت الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث لا تزيد على مقدرة البلاد الاقتصاديه على الإستيعاب[1] .

وقد سارع عرب فلسطين إلى رفض الكتاب الأبيض ، ورفض الإنتداب البريطاني على فلسطين ، وطالبوا إنشاء حكومة وطنية مستقلة ، وقد أصدرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الرابع بيانا بذلك في ٨ يوليو عام ١٩٢٢ ، وتلا ذلك سيل من البرقيات من الهيئات والجمعيات العربية في فلسطين موجهه إلى مجلس عصبة الأمم ، تؤيد بيان اللجنة التنفيذية ، إلا أن ذلك المجلس صادق على انتداب بريطانيا على فلسطين يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ دون النظر إلى أماني الشعب الفلسطيني[2] .

وفي ٢١ أغسطس عاد الوفد العربي من لندن واتجه على الفور إلى مدينة نابلس بين هتاف جموع الشعب التي جاءت لاستقباله ، والتي كانت تنادي برفض الانتداب وسياسة الكتاب الأبيض . وفي اليوم التالي بدأ المؤتمر العربي الخامس عقد جلساته في مدينة نابلس واستمرت تلك الجلسات حتى ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٢ ، وكان المؤتمر قد استمع إلى تقرير من الوفد العائد من لندن ، ثم أصدر في ختام جلساته ١٧ قرارا من أهمها : رفض دستور فلسطين الجديد ، ورفض الإنتداب ، ومشروع روتنبرج ومقاطعه البضائع اليهودية ، وتأسيس مكتب فلسطين في لندن ، وتطبيق نظام مالي لجمع التبرعات ، وفي أول سبتمبر عام ١٩٢٢ أصدرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر بيانا طالبت فيه المواطنين مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي المقترح[3] . وهكذا فشلت جهود بريطانيا في إضفاء الصبغة الشرعية على حكمها في فلسطين بعد ما فشل مشروع المجلس التشريعي وكذلك المجلس الإستشاري ، مما دعا عددا من أعضاء مجلس العموم إلى اتهام حكومة الإنتداب بسوء الإدارة إلى فلسطين[4] .

(١) جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين جـ١ ، ص ١٥٦ - ١٥٩ .

(٢) Esco - Foundation: Astudy of Jewish, Arab and British policies, vol.I.pp.281-287.

(٣) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٥٥ – ٥٨

(٤) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٣٦

وفى ٢٧ اكتوبر عام ١٩٢٢ تقرر عقد مؤتمر لوزان بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، فتشكل وفد فلسطين برئاسة موسى كاظم الحسينى وسافر إلى لوزان لعرض قضية بلاده ، إلا أن الحلفاء حالوا دون اشراكه فى جلسات المؤتمر ، فغادر الوفد لوزان واتجه إلى لندن واجتمع بوزير المستعمرات فى محاولة منه لتغيير موقف بريطانيا إلا أن الوفد عاد خائبا إلى فلسطين[١] .

وبعد عودة الوفد من لندن بوقت قصير ، عقد فى مدينة يافا المؤتمر الفلسطينى السادس فى الفترة من ١٠ إلى ٢٠ يونيو عام ١٩٢٣ ، وقرر المؤتمر رفض مشروع المعاهدة العربية البريطانية المقترحة ، وطالب بإنشاء حكومة نيابية مستقلة ، وبالغاء السياسة الصهيونية التى ترمى إلى إنشاء الوطن القومى اليهودى[٢] . وقرر المؤتمركذلك إرسال وفد ثالث إلى لندن ، ولكن بريطانيا تمسكت بسياسة الوطن القومى فعاد الوفد الفلسطينى إلى بلاده يجر أذيال الخيبة والفشل[٣] . ومع ذلك عرضت بريطانيا على عرب فلسطين إنشاء وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية ولكنهم رفضوا العرض ، كما رفضوا من قبله مشروع المجلس التشريعى[٤] .

وخلال هذه الفترة (١٩٢٣ – ١٩٢٨) دب الخلاف واشتد الصراع العائلى بين آل الحسينى الذين كانوا على رأس الحركة الوطنية الفلسطينية ، وآل النشاشيبى الأكثر إعتدالا والذين يقودون المعارضة ضد المجلس الإسلامى الأعلى الذى أخذ يبرز كقوة سياسية فى البلاد برئاسة الحاج محمد أمين الحسينى ، ولذا سمى أنصار المجلس (بالمجلسية) فى حين سمى معارضوه (بالمعارضة)[٥] . واستشرى النزاع بين هاتين الكتلتين ، فأحدث شرخا فى بنية الحركة الوطنية . ونتيجة لذلك تشرذمت تلك الحركة ،وظهر عدد من الأحزاب السياسية مهمتها معارضة اللجنة التنفيذية العربية ، وهذه الأحزاب هى :.

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٦ – ١٣٩

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٧٣ – ٧٥

(٣) عادل غنيم : المصدر السابق . ص ١٤٢ – ١٤٣

(٤) محمد امين الحسينى : حقائق قضية فلسطين ، ص ٣١ .

(٥) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ، ط ٢ ص ٥١ – ٥٣

١ – الحزب الوطنى : تأسس فى نوفمبر عام ١٩٢٣ برئاسة سليمان التاجى الفاروقى ، وكان من أبرز رجاله راغب النشاشيبى . وكان هذا الحزب ميالا للتعاون مع حكومة الإنتداب .

٢ – حزب الزراع وهو عبارة عن مجموعة من الأحزاب الزراعية التى نشأت فى المدن والقرى . وكان بعض الوجهاء وراء ظهور هذه الأحزاب التى كان همها معارضة اللجنة التنفيذية العربية .

٣ – حزب الأهالى : تأسس فى نابلس عام ١٩٢٦ ، وكان من أبرز رجاله عبد اللطيف صلاح ، وعادل زعيتر وكان ظهور هذا الحزب يعتبر خروجا جديدا على ارادة الأمة ،وصفقة موجهة إلى نضالها الوطنى[١]بعد أن جرت محاولات لتوحيد الحركة الوطنية وجذب الحزب الوطنى إليها .

وإبان هذه الفترة ، عملت بريطانيا على تطوير الوطن القومى اليهودى وترقيته ، وذلك بتخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التى كان يتعرض لها اليهود نتيجة لسقوط العملة البولونية ، التى أثرت على سير حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وفى نفس الوقت ازدادت السلطات البريطانية إمعانا فى تجاهل العرب[٢] .

وقد أدت تلك السياسة إلى الإسراع بعقد المؤتمر الفلسطينى السابع برئاسة موسى كاظم الحسينى يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ ، وحضره ٢٥٠ مندوبا من جميع مناطق فلسطين يمثلون جميع الإتجاهات فيها . وكان هذا المؤتمر أضعف المؤتمرات الفلسطينية ، وقد أيد مقررات المؤتمرات السابقة[٣] .

وإزاء محاولات الصهيونيين الرامية إلى إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ومطالبتهم بضرورة الإستيلاء على حائط المبكى ، فقد زادت نقمة

---

(١) عادل غنيم : المصدر السابق ، ص ١٤٦ – ١٥٥

(٢) كامل خلة : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٣) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، ط ١ ، ص ٥٩

العرب على الصهاينة وعجلت بإندلاع انتفاضة عام ١٩٢٩ التى دعيت بهبة البراق[١] .

وقد كان السبب المباشر لتلك الإنتفاضة هو الإحتكاك بين الفلسطينيين واليهود على حائط المبكى ، وذلك على أثر قيام اليهود بمظاهرات فى يومى ١٤ و ١٥ أغسطس عام ١٩٢٩ فى كل من يافا والقدس على التوالى . وكان اليهود يهتفون « الحائط حائطنا » مما أثار نقمة العرب ، فانطلقت مظاهرة مضادة من المسجد الأقصى يوم الجمعة ١٦ أغسطس أزال فيها المتظاهرون كل ما وضعه اليهود من أدوات للعبادة أمام ذلك الحائط[٢] . وقد تطورت الأحداث لتعبر عن نقمة الفلسطنيين على الوجود الصهيونى فى البلاد ، فعمت أحداث تلك الإنتفاضة فى الفترة ما بين ٢٣ و ٢٩ أب (أغسطس) من عام ١٩٢٩ معظم مدن فلسطين وبخاصة فى القدس والخليل وصفد . وكانت نتائج تلك الإنتفاضة سقوط العديد من القتلى بين الطرفين إذ بلغ عدد قتلى اليهود ١٣٣ ، وعدد الجرحى منهم ٣٩٩ شخصا ، بينما بلغت خسارة الفلسطينيين ١١٦ شهيدا و ٢٣٢ جريحا ، معظمهم سقط برصاص قوات البوليس والقوات العسكرية البريطانية[٣].

وقد زادت أحداث عام ١٩٢٩ من روح العداء لدى عرب فلسطين تجاه الصهاينة ، فقد اعتبروا تلك الأحداث نذيراً لهم ولجميع العرب فى البلاد المجاورة يحذرهم من خطر الصهيونية المتزايد فى بلادهم[٤] . وقد أدت الأحداث إلى قيام المظاهرات فى معظم البلدان العربية والإسلامية تأييداً لنضال الفلسطينيين من أجل تقريرُ المصير[٥] .

وعلى أثر تلك الأحداث ، تشكلت لجنة لدراسة أسباب الإضطرابات

---

(١) محمد عرابى نخله : تطور المجتمع فى فلسطين ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٦٠ .

(٢) ناجى علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ١٦٢ .

(٣) تقرير اللجنة الملكية الفلسطين (بيل ١٩٣٧) ، ص ٩١ .

(٤) Fo.371 / 13753, E4754 /4198 /65, Colonial office to war affice 17thsep. 1929

(٥) محمد عرابى نخله ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

برئاسة السير ولترشو ، وقد وصلت تلك اللجنة إلى فلسطين يوم ٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٩ ، ثم عادت إلى انجلترا يوم ٤ يناير عام ١٩٣٠ ، بعد أن وضعت تقريرا مفصلا عن أسباب إنتفاضة أغسطس عام ١٩٢٩ ، وقد أوضح تقرير اللجنة أن من أهم أسباب تلك الإنتفاضة ، معارضة عرب فلسطين لإنشاء الوطن اليهودى فى بلادهم[١] .

ونتج عن هبة البراق مقاطعة العرب للصهاينة اقتصاديا ، وزيادة حدة الصراع بين العرب واليهود ، وإصدار السلطات البريطانية للكتاب الأبيض رقم ٣٦٩٢ لعام ١٩٣٠ ، والذى لقى قبولا حسنا عند العرب ، لأنهم توقعوا أن تحدد الهجرة اليهودية ، وكذلك منع تسرب الأراضى لليهود بموجب ذلك الكتاب[٢] .

وقد اعتبر الصهاينة ذلك الكتاب بمثابة انقلاب فى السياسة البريطانية تجاه عدها بتسهيل مهمة إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، وقاموا بمظاهرات معادية للحكومة البريطانية فى جميع أنحاء العالم[٣] ، كما قام الصهاينة بنشاط واسع للضغط على الحكومة البريطانية بهدف إلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ ، ونجحوا فى مسعاهم لأن الحكومة البريطانية أصدرت كتابا آخر يلغى الأول ويرضى اليهود . فزاد ذلك من نقمة العرب على كل من بريطانيا والصهيونية وكان ذلك الكتاب صفعة قوية لعرب فلسطين ، فأطلقوا عليه اسم الكتاب « الأسود »[٤] .

أدرك الساسة الفلسطينيون أنه لابد من مقاومة السياسة الصهيونية والبريطانية على السواء ، ولذلك عقدوا مؤتمرات عديدة إبان هذه المرحلة ، وتدارسوا

---

(١) Esco-Foundation, vol.,op. cit.,p.624.

(٢) ناجى علوش : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) Fo.371 /14493, E6053 / 400 /65, lindsay (washinqton) to Arther Hendenson, oct. 31, 1930.

(٤) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٨٦ – ١٨٧

خلالها أنسب السبل لمقاومة الحركة الصهيونية والسياسة الإستعمارية البريطانية التى تساعدها على تنفيذ مخططاتها فى فلسطين[1] .

وشهدت هذه الفترة عقد المؤتمرات وقيام المظاهرات والإضرابات ، وإصدار البيانات والإحتجاجات ، وكذلك الإنتفاضات . وقد ركزت المؤتمرات على أهداف الحركة الوطنية التى تنص على إلغاء وعد بلفور ، ومنع الهجرة اليهودية ، ومنع تسرب الأراضى إلى اليهود وإقامة حكومة وطنية فى البلاد . ومن أبرز هذه المؤتمرات : مؤتمر العمال العرب الأول وقد عقد فى حيفا فى ١١ يناير ١٩٣٠ ، ومؤتمر الصحافيين العرب فى يافا وقد عقد فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ ، ومؤتمر المناضلين العرب فى نابلس فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ [2] . والمؤتمر الإسلامى الذى عقد فى مدينة القدس فى الفترة ما بين ٧ - ١٧ ديسمبر ١٩٣١ ، وضم حوالى ١٥٠ مندوبا من اثنين وعشرين قطرا اسلاميا ، واتخذ عدة قرارات من أهمها الدعوة إلى ترقية الصناعات فى الدول الإسلامية ، والتوصية بإنشاء جامعة المسجد الأقصى فى القدس ، وبإقامة شركة لإنقاذ الأراضى العربية فى فلسطين ، وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من خمسة وعشرين عضوا ، تكون مهمتها الإشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر . واختارت تلك اللجنة مكتبا دائما لها من سبعة أعضاء برئاسة الحاج محمد أمين الحسينى[3] .

وتلا ذلك انعقاد مؤتمر الشباب العربى الفلسطينى الأولى فى القدس فى ٤ يناير ١٩٣٢ ، والمؤتمر النسائى العربى (القدس ٢٨ يناير ١٩٣٢) ، ومؤتمر اللجنة التنفيذية (القدس ٢٤ فبراير ١٩٣٣) والمؤتمر الوطنى الكبير (يافا فى ٢٦ مارس ١٩٣٣)[4] والذى نادى بعدم التعاون مع الحكومة ومقاطعة البضائع الإنجليزية واليهودية ومنع بيع الأراضى لليهود .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٦٦ .

(٣) محمد عزة دوزة : القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، ط ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٣٠٥ - ٣١٧ .

وقد رافق هذه المؤتمرات طوال سني هذه المرحلة احتجاجات كثيرة على السياسة البريطانية ، منها تغاضيها عن تهريب السلاح لليهود ، ومحاباتها للمصالح اليهودية ، وعدم منعها لبيع الأراضي والحد من الهجرة اليهودية ، وإنتهاجها سياسة التجهيل فى صفوف عرب فلسطين وتشجيعها للمشاريع والصناعات اليهودية وبطش قواتها بالمتظاهرين العرب فى كل المناسبات[1] .

وبرزت كذلك الأحزاب الفلسطينية فى فترة الثلاثينات وكان من أبرزها :

١ – حزب الإستقلال العربى (مركزه القدس وتأسس عام ١٩٣٢) وأهم مبادئه استقلال البلاد العربية ووحدتها ، وإلغاء وعد بلفور ، وإقامة حكم نيابى ، وتطوير البلاد سياسيا واقتصاديا وإجتماعيا . ومن أبرز رجالاته عزة دروزة ، وعونى عبد الهادى وأكرم زعيتر وعجاج نويهض . وامتد نشاط الحزب حوالى ستة عشر شهرا وانتهى عام ١٩٣٣[2] .

٢ – حزب الدفاع الوطنى[3] (مركزه القدس تأسس فى ٢ ديسمبر عام ١٩٣٤) برئاسة راغب النشاشيبى وضم إلى عضويته كبار التجار والوجهاء وسمى أتباعه بالمعارضة ، لأنهم كانوا يعارضون اللجنة التنفيذية والمجلس الإسلامى الأعلى . وقد عرف أيضا باسم حزب المعتدلين لمواقفه المعتدلة خاصة من السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية[4] .

٣ – الحزب العربى الفلسطينى (مركزه القدس ، تأسس فى ٢٥ مارس ١٩٣٥) انتخب جمال الحسينى رئيسا للحزب . وكان الحزب يعتبر امتدادا

---

(١) Fo. 341 /17875 /06216 /, Tawfis Hamal and other Notabler from Nablus, 30th sep. 1933.

(٢) محمد عزة دورزة : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٣٠٩ .

(٣) بعد أن أوقف حزب الإستقلال نشاطه بفترة وجيزة ، توفى موسى كاظم الحسنين رئيس اللجنة التنفيذية يوم ٢٦ مارس ١٩٣٤ ، متأثرا بجراحه على اثر اعتداء البوليس عليه اثناء قيادته لأحدى المظاهرات المناوئة لبريطانيا . وكان يعتبر زعيم الحركة الوطنية بلا منازع ، وكانت وفاته صدمة لعرب فلسطين ، وظل منصبه شاغرا بعد وفاته . وفى ١٧ أغسطس من العام نفسه اجتمعت اللجنة التنفيذية واتخذت قرارا بضرورة تشكيل اضراب سياسية لتقود الحركة الوطنية .

(٤) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطنيه ، ص ٢٧٩ .

لتجمع المجلسيين ، وهم القاعدة الجماهيرية العريضة فى فلسطين . وكان الحاج أمين الحسينى يعتبر الأب الروحى للحزب حتى عرف بين الجماهير باسم حزب المفتى . وكانت أهدافه تتلخص فى المطالبة بالإستقلال التام والوحدة مع البلاد العربية ، والغاء تصريح بلفور ، ومقاومة إنشاء الوطن القومى اليهودى ، والعمل على تحسين أحوال المواطنين اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا(1) .

٤ – حزب الشباب العربى الفلسطينى وتأسس فى حيفا فى ١٠ مايو ١٩٣٥ ، وانتخب يعقوب الغصين رئيسا له ، وكانت أهدافه أقرب ما تكون إلى أهداف الحزب العربى الفلسطينى(2) .

٥ – حزب الإصلاح : تأسس فى مدينة رام الله فى يونيو ١٩٣٥ ، ولكنه اتخذ القدس مركزا رئيسيا له ، وكان أبرز زعمائه الدكتور حسين فخرى ألخالدى . وكانت أهدافه قريبة من أهداف الحزب العربى ولكنه يخالفه فى السياسة الخارجية ، فقد كان حزب الإصلاح يسعى إلى عقد معاهدة مع بريطانيا ، على غرار المعاهدة التى كانت قد عقدتها مع العراق . وقد اتبع هذا الحزب سياسة أكثر إعتدالا فى القضايا التى كانت تفرضها السياسة البريطانية(3) .

٦– حزب الكتلة الوطنية : تأسس فى مدينة نابلس فى ٤ اكتوبر عام ١٩٣٥ برئاسة عبد اللطيف صلاح . وكان هذا الحزب يسعى إلى الإستقلال السياسى التام ، والمحافظة على عروبة فلسطين ، وتطوير البلاد اقتصاديا(4) .

وهناك حزب شيوعى سرى يضم أقلية عربية وينادى بمقاومة بريطانيا والصهيونية . ولكنه فشل فى التعاون مع الأحزاب الأخرى ولفظته الجماهير لأن إرتباطها بالعقيدة الدينية كان أقوى بكثير مما نادى به ذلك الحزب .

تلك هى معظم الأحزاب العربية إن لم يكن كلها التى ظهرت فى الثلاثينيات ، وكان أهم أهدافها السعى للسيطرة على الحركة الوطنية وكان

---

(١) عادل غنيم : المصدر السابق ، ص ٢٨١ – ٢٨٣ .

(٢) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٨٩ .

(٣) عادل غنيم : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

إعتدال الحزب أو تطرفه يقاس بدرجة تعاونه مع حكومة الإنتداب أو تطرفها . وكان أبرز قادة الأحزاب من ابناء العائلات المتنفذة فى البلاد فى أغلب الأحيان . وكانت ظاهرة تعدد الأحزاب تعتبر دليل ضعف فى حركة النضال الفلسطينى[1] ، غير أن بعض ، الساسة يعتبرونها دليل صحة .

وإذا كانت الإحتجاجات والمظاهرات والبيانات وظهور الأحزاب ، هى أحد مظاهر رد الفعل العربى ، فقد كانت الانتفاضات المسلحة تشكل لونا آخر وأهم تلك الإنتفاضات هى :

١ – انتفاضة عام ١٩٣٣ :

وقد بدأت أثر صدور بيان من اللجنة التنفيذية فى ٢٢ مارس ١٩٣٣ ، حذرت فيه من خطر الهجرة اليهودية واستمرار إستيلائهم على الأراضى العربية ، وطالبت بالإستقلال . كما دعا البيان إلى عقد إجتماعى قومى فى مدينة يافا فى ٢٦ مارس ١٩٣٣ ، وعقد بالفعل فى ذلك اليوم المؤتمر الوطنى الكبير الذى أقر فيه مبدأ عدم التعاون مع الحكومة ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية معا[2] . ومما زاد فى سخط الفلسطينيين النشاط الصهيونى فى فلسطين الرامى إلى الإسراع فى بناء الوطن القومى اليهودى وتسانده بريطانيا .

وإزاء ذلك ، انفجر الوضع فى البلاد فعمت المظاهرات جميع أرجاء فلسطين فى الفترة (من ١٣ أكتوبر حتى ٣ نوفمبر) وكانت البداية فى مدينتى يافا والقدس يوم ١٣ أكتوبر ثم تلتها مظاهرات صاخبة فى حيفا ويافا والقدس ومعظم المدن والقرى الفلسطينية يوم ٢٧ أكتوبر والأيام التالية . ولقد تصدت قوات الاحتلال للمتظاهرين وأطلقت عليهم نيرانها ، فسقط منهم ٢٦ شهيد و ١٨٧ جريحا ، بالإضافة إلى مقتل وجرح ٥٦ من رجال البوليس[3] ، وتذكر المصادر البريطانية أن سبب الانتفاضة ، هو دعوة اللجنة التنفيذية العربية لأبناء

(١) عادل غنيم : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ص ٣١٨ – ٣٢٠ .

(٣) Fo.371 /17876, E 1281 /70 /31 Report of the high comminoine for pale time to F.o. No 15612 16th Nov.1933.

فلسطين للاحتجاج على السياسة البريطانية المتعلقة بالهجرة اليهودية وانتقال الأراضى العربية لليهود[1] . وخاصة بعد أن أجلّت السلطات البريطانية فلاحى عرب الحوارث بالقوة عن أراضيهم نتيجة بيع الإقطاعيين اللبنانيين من آل التيان هذه الأراضى للمنظمات الصهيونية .

وقد أوضحت لجنة التحقيق التى تشكلت فى أعقاب هذه الانتفاضة برئاسة وليم موريسون ، أن هذه الاضطرابات تختلف عن سابقاتها ، لأن العرب ولأول مرة بدأوا يهاجمون الحكومة ويتهمونها بالإنحياز الكلى للصهانية[2] .

وفى يناير عام ١٩٣٤ تجددت المظاهرات وأخذ القرويون يتجمعون كل يوم فى المدن المحيطة بها ، مما أثار مخاوف المندوب السامى ، فسارع إلى ارسال برقية إلى وزير المستعمرات يوم ٥ ، وأخرى يوم ١٧ يناير عام ١٩٣٤ يستشيره فيها عن كيفية معالجة الموقف[3] . وقد جاء الرد سريعا بعد أن عقد مجلس الوزارء البريطانى جلسة لمناقشة الموضوع ، وقرر استخدام القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين . ولم تثن تلك الإجراءات عرب فلسطين عن التعبير عن مشاعرهم ، واستمرت البلاد - وخاصة المدن - تشهد مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية حتى نشبت حركة الشيخ عز الدين القسام فى العام التالى[4] .

٢ - حركة الشيخ عز الدين القسام :

الشيخ عز الدين القسام سورى الأصل ولد فى بلدة جبلة التابعة لقضاء اللاذقية عام ١٨٧١ ، ونشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب ، وبعد أن درس العلوم الابتدائية ، أرسله والده إلى الأزهر الشريف حيث تلقى عن الإمام الشيخ محمد عبده ، ثم عاد إلى بلده بعد عدة سنوات عديدة ، وعكف على التدريس

---

(١) Ibid.

(٢) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ١٩٤ .

(٣) Fo.371 /17876, E422 /70131 High com. for palestine to the sec. of state for colonies, 17thJune 1934.

(٤) Fo.371 /17876, E443 /70 /31 sec.of state for the colonies to High com. for palestime, 16th June 1934.

فى جامع السلطان ابراهيم بن أدهم ، ولم يكتف بنشر العلم بل شارك فى حركة الجهاد ، فانضم إلى عصبة عمر البيطار فى جبل صهيون ، ثم اشترك مع صالح العلى فى ثورته ضد الفرنسيين فى شمال سوريا (١٩٢٠ - ١٩٢١) ، وحكم عليه الديوان العرفى فى اللاذقية بالاعدام ، فالتجأ إلى حيفا فى الخامس من فبراير ١٩٢٢ واستوطن فيها ، وتولى التدريس فى جامع النصر (وتذكر بعض المراجع إنه كان خطيبا لجامع الاستقلال فى حيفا) كما أسس مدرسة ليلية لتعليم الأميين من العرب[١] .

اتخذ الشيخ عز الدين القسام حيفا مرفأ فلسطين الأول وأقرب مدنها إلى لبنان ودمشق ، وهى قاعدة من قواعد التهديد فهى بلدة متعددة الأقوام والجنسيات ، مما أسبغ عليها حساسية خاصة . وانضم الشيخ عز الدين القاسم إلى جمعية الشبان وتولى رئاستها عام ١٩٢٦ ، ووجد القسام فى هذه الجمعية فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس ، وإذا بالقسام بعد عدة سنوات يكون عصبة سرية شرطاها الأساسيان أن يقتنى العضو السلاح على حسابه ، الخاص ، وأن يتبرع بما يستطيعه لهذه العصبة ، وكان بعض أعضاء هذه العصبة من جمعية الشبان المسلمين وبعضهم الاخر من خارج الجمعية[٢]

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعشر ، محدثا لبقا وخطيبا بارعا ، وابتدأ يخرج إلى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذونا شرعيا من قبل المحكمة الشرعية ، فكان بمقتضى هذه الوظيفة يحضر حفلات الأعراس ، مما أعطاه فرصة لدراسة نفسيات الجماهير ، وكان القسام يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره ، وكان يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان . فكان لا يبوح بالسر الكبير الذى يحمله وهو الدعوة إلى الثورة لمنع إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين إلا لأشخاص قلائل بعد أن يدرس نفسيتهم دراسة كافية

---

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٩٤ .

(٢) صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين (١٩٣٦ - ١٣٩) ، ص ٣١ - ٣٢ .

قد تطول عدة سنوات ، واستمر القسام يعمل بكل الوسائل لتأسيس نواة صالحة من عرب فلسطين يهيئهم للإنطلاق فى الوقت المناسب نحو الثورة[1] .

وكان القسام يحس بخطر الاستعمار والصهيونية فكان يدعو إلى اتحاد الكلمة ، وكان يبث روح الوطنية فى النفوس ، داعيا إلى الوحدة ، مناديا بالعودة إلى تعاليم السلف الصالح ، ومنددا بالفرقة ، منذرا قومه بعواقب الشقاق والتمزق . وكان القسام ينتقى أصحابه من أهل الدين والعقيدة الصحيحة ، ويقوم بتدريبهم فى رحلات ليلية ، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية فى أثنائها على إصابة الهدف . وكان يهتم بنشر مبادئه بين العمال والفلاحين والباعة الذين يحضرون دروسه . وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد المقدس ووجوبه ، وكان بارعا فى الوعظ نافذا به إلى أعماق النفوس ، وتكونت حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة[2] . ونظم أتباعه بتقسيمهم إلى خمس لجان هى : لجنة الدعوة (الإعلام) ولجنة التدريب العسكرى ولجنة التوعية ولجنة الرصد ولجنة الشؤون الخارجية[3] .

وكان القسام يؤمن بأن عرب فلسطين إذا شاءوا أن يحيوا فى بلادهم ويدرءوا عنها الخطر الاستعمارى والصهيونى ، فعليهم أن يبادروا إلى ذلك معتمدين على أنفسهم فقط ، غير منتظرين أن تهبط عليهم النجدات من السماء أو تأتى إليهم من وراء الحدود ، لأنه كان يدرك أن كل بلد عربى لديه ما يشغله من مشاغله الخاصة ، أو يمنعه من تقديم المساعدة والعون لعرب فلسطين[2] .

ولما كان نشاط القسام مقتصرا على شمال فلسطين فقط ، فقد أرسل أحد أتباعه إلى الحاج أمين الحسينى ليخبره عن عزمه على إعلان الثورة فى الشمال ، وطلب إليه إعلان الثورة فى جنوب فلسطين . وقد كان رد المفتى كما أورده صبحى ياسين .« ... إن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل ، وإن الجهود السياسية التى تبذل تكفى لحصول عرب فلسطين على حقوقهم »[3] . وهذا يشير

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢) عادل غنيم : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٣) صبحي ياسين : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

بأن الزعامة الفلسطينية لم تكن تؤمن حتى هذا الوقت بالعمل العسكرى المسلح ضد الاستعمار والصهيونية . وبذلك يعتبر القسام أسبق الزعامات الفلسطينية بفكرة الجهاد المقدس . ويؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل فى جيبه نسخة من القرآن الكريم الذى اتخذوه قدوة لهم . وكانوا يعرفون مصيرهم ويرون إن السعادة هى فى بلوغ مرتبة الشهادة فى سبيل الله ، والانتقال إلى الحياة الأخرى للتمتع بما أعده الله للمجاهدين الشهداء من نعيم .

ولكن الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكرى السافر ، ومهاجمة المتطرفين من أتباع جابوتنسكى للقرى العربية ، وازدياد حركات الهجرة اليهودية ، واكتشاف شحنات الأسلحة السرية إلى الصهانية . كل هذه العوامل أسرعت بانفجار الثورة العربية المسلحة[1] .

وقد كانت حركة القسام هى الشرارة الأولى لنشوء الثورة ، ففى ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ اشتبكت دورية حكومية بريطانية مع عدد من اتباع القسام فى أحراش بلدة « يعبد » ، وسقط فى ذلك الاشتباك أحد الجنود البريطانيين قتيلا ، مما دعا سلطات الاحتلال إلى ارسال قوات كبيرة إلى تلك المنطقة للقضاء على الثوار . وحدثت المعركة الفاصلة قرب قرية الشيخ زيد ، حيث استشهد القائد العظيم الشيخ عز الدين القسام مع نفر من أتباعه دفاعا عن فلسطين فى ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ، ضارباً أروع الأمثلة فى البطولة والفداء رغم قلة عدد رجاله[2] ورغم المفاجأة وعدم التكافؤ فى القوة ، ورافضا الاستسلام عندما حوصر قائلا : « إننا لن نستسلم . إن هذا جهاد فى سبيل الله والوطن » ، والتفت إلى زملائه قائلاً « موتوا شهداء »[3] .

---

(١) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٩٤ .

(٢) يذكر محمد عزة دروزه بان عدد الذين خرجوا مع القسام كانوا عشرة ، وكانوا فى النهار يأوون إلى كهوفهم يصلون ويقرءون القرآن ، وفى الليل يخرجون إلى القتال انظر محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية ص ١١٦ .

(٣) عبد الوهاب الكيالى : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

وفى اليوم التالى خرجت جماهير الشعب العربى الفلسطينى تشيع جنازة الشهيد الشيخ عز الدين القسام ورفاقه من مدينة حيفا إلى قرية الباجور المجاورة وفى أثناء سير الجنازة ، هاجم بعض المشيعيين عددا من المصالح البريطانية فى حيفا ، وانقلبت الجنازة إلى مظاهرة وطنية ، وأصيب عدد من رجال الشرطة الإنجليز ، ولولا أن لزمت السلطة الصمت وسحبت جنودها لتطور الأمر إلى درجة كبيرة . وأبت الجماهير إلا أن تشيع الشيخ إلى مقره الأخير فى تلك القرية التى تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات ، سارتها على الأقدام حاملة نعش الشهيد ، فكان مشهدا رائعا من مشاهد الوطنية الحق ،[1] وقد اعتبر استشهاد القسام القبس الذى أشعل نيران الثورة الفلسطينية الكبرى فى السنة التالية ، والتى شارك عدد من رفاق القسام فى قيادتها .

ولا شك أن حركة القسام كان لها أثر كبير فى نفوس عرب فلسطين ، فأيقظتهم من غفلتهم . وأفهمتهم أن لسان القوة هو اللسان الوحيد الذى يجب أن تخاطب به السلطة المنتدبة ، وإن لغة الرصاص هى اللغة الوحيدة التى تفهمها . وبرهن القسام على أن الإيمان الوطنى الصحيح منبعه القلب والعقيدة لا البرامج الحزبية والمشادات العقائدية ، فاستيقظت فلسطين على استشهاده . ورغم أن المعركة لم تأخذ وقتا طويلا ، لكن أثرها كان من حيث الروح لا المقدار ، ومن حيث الكيف لا الكم ، فقد دل الجماهير على الطريق ، ورغم ادراكه لقوة بريطانيا ، فقد قاتل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحيى فى النفوس روح الجهاد . وخرج بنفسه فى أول معركة ليضرب المثل للجماهير ، وليعلم المجاهدين كيف تكون القدوة الحسنة والنموذج الصالح ، وكان ما فعله القسام أبلغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ، فلقد ثقف ونظم وقاتل حتى مات شهيدا ، غير آبه لجاه أو زعامة ، وكانت سيرته مثلا للكفاح والفداء . وكان النهج الذى نهجه يخيف الزعامات .

---

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٩٨ .

وأياما كان الأمر فإن ثورة القسام كانت تقوم على فكرة الجهاد المسلح ضد الاحتلال ، وإن القوة وحدها هي التي تستطيع أن تمنع بريطانيا من إقامة وطن لليهود في فلسطين ، كما أن حركته كان تقوم على الدين والعقيدة وكانت منبثقة من احساس ديني عميق من رجال القسام وكلهم من الفلاحين والعمال -- بالخطر الذي يهدد حياتهم من جراء الهجرة اليهودية . وكانت رمزا للحركة الثورية التي ستسود فلسطين بعد عشرة أشهر .

٣ – الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩)

وعلى أثر حركة القسام ، شعر قادة الأحزاب العربية أن الأحداث بدأت تتخطاهم ، فأسرعوا إلى عقد اجتماع يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٩٣٥ ، وقدموا على أثره مطالب الشعب إلى المندوب السامي ، والتي تمثل بإنشاء حكومة ديمقراطية وطنية ومنع بيع الأراضي العربية لليهود ووقف الهجرة اليهودية وقفا تاما[١] . وقد رفضت بريطانيا مطالبهم على لسان المندوب السامي واكهوب في ٢٩ يناير عام ١٩٣٦ ، مع أن الأخير كان قد أعلن في ديسمبر من العام السابق عن عزم بلاده على إنشاء المجلس التشريعي الذي قبله بعض الزعماء العرب مثل حزب الكتلة الوطنية[٢] .

ولم يلبث أن بدأ المجاهدون العرب من أتباع القسام ينشطون في ابريل عام ١٩٣٦ ، مما دعا زعيم المنظمة الصهيونية الجديدة جابوتنسكي إلى ارسال برقيات إلى وزير الخارجية البريطانية وإلى المندوب السامي يحذر فيها من تعاظم الشعور العربي المعادي للصهيونية ، وطالب بضرورة زيادة القوات البريطانية في البلاد لمجابهة الموقف المتردي هناك[٣] .

ولكن الأحداث كانت تتطور بسرعة لم تمكن بريطانيا من معالجة الأمور

---

(١) Surrey of Int. Affairs, 1936, p.722.

(٢) Fo. 371 /20020 /06214, The National League Nabuns to High Com: for Palestine, 2th April 1936.

(٣) Fo. 371 /20020 /06214 PresideNCY OF THE New zionist sganization to the Right Hon.Eden, 6thApr. 1936

هناك ، خاصة بعد مقتل اثنين من اليهود على يد المجاهدين العرب يوم ١٥ أبريل ، مما ألجأ الصهانية إلى الانتقام فى اليوم التالى ، وذلك بقتلهم لعاملين من العرب قرب مستعمرة تباح تكفا[١] .

وقد كانت تلك الحادثة بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ، فقد تأزم الوضع على أثرها ، ففى يوم الأحد ١٩ أبريل ١٩٣٦ قامت مظاهرة عربية فى مدينة يافا ، اشتبكت خلالها مجموعات من المتظاهرين العرب مع اليهود ، فسقط من اليهود سبعة قتلى و ٢٩ جريحا ، فى حين استشهد اثنان من العرب وجرح خمسة عشر آخرين ، وعلى الفور أعلنت سلطات الانتداب منع التجول ، وبدأت تطبيق قانون الطوارئ ، مما جعل العرب يعلنون الاضراب العام[٢] .

وقد استمر الاضراب العام وتعاظم أمره ، فلجأت الزعامات الفلسطينية إلى الاجتماع يوم ٢٠ أبريل لتدارس الموقف . وانتخب المجتمعون لجنة عربية عليا برئاسة المفتى الحاج محمد أمين الحسينى وعضوية كل من عونى عبد الهادى وراغب النشاشيبى وحسين الخالدى ويعقوب العضين ويعقوب فراج والفردروك . واتخذت اللجنة فورا قرارا باستمرار الاضراب حتى تحقق مطالب العرب الثلاثة التى قدموها فى نوفمبر الماضى للمندوب السامى[٣] .

وفى ١٥ مايو ، وبعد أن فشلت كل الجهود لإنهاء الاضراب ، أعلن العرب العصيان المدنى ، وانتقل زمام المبادرة إلى رجال من الفلاحين والعمال أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة . وبدأت جماعات العصابات المسلحة بالظهور فى الشوارع ، مما اضطر بريطانيا إلى الاسراع بتعزيز قواتها فى فلسطين ، فنقلت أفواجا من قواتها فى مصر إلى هناك لمواجهة الموقف .[٤]

وقد حاولت بريطانيا بكل الوسائل القضاء على الثورة ، فاستخدمت ما

---

(١) إبراهيم ابو لغد : تهويد فلسطين ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٢) كامل خله : فلسطين والإنتداب البريطانى ، ص ٣٩٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٤) محمد عرابى نخله : تطور المجتمع فى فلسطين ، ص ١١٨ .

يزيد على عشرين ألف جندى لتلك المهمة ، بالإضافة إلى تعديلها لقانون الطورئ حيث حددت فيه الأعمال التى يعاقب عليها بالإعدام أو الحبس المؤبد . هذا علاوة على نسف العديد من منازل يافا وإزالة الحى القديم فيها ، ونسف ٩٣ منزلا فى المدن والقرى الأخرى ، وذلك تأديبا لأصحابها الذين اشتركوا فى الثورة على حد زعم وزير المستعمرات البريطانية أورمسبى غور(١) .

وقد أثبت عرب فلسطين خلال الاضراب الكبير الذى استمر حوالى ستة شهور ، أنهم وحدة مترابطة وضربوا مثلا رائعا فى تحدى العدو المحتل من أجل نيل الاستقلال وتحقيق الأهداف القدمية(٢) .

وبعد مساع قام بها نورى السعيد ، وبعد توجيه نداء الملوك والزعماء العرب إلى ثوار فلسطين ، أوقف الفلسطنيون اضرابهم الكبير يوم الاثنين ٢ أكتوبر . وأفقد ذلك التدخل الحركة الوطنية فى فلسطين جانبا كبيرا من قوتها واندفاعها ، فجاء وقف الثورة فى صالح الأطماع الاستعمارية . وهكذا أجهضت أكبر ثورة عرفتها فلسطين حتى ذلك التاريخ .

ولم تلبث أن أرسلت الحكومة البريطانية اللجنة الملكية للتحقيق برئاسة بيل Peel ، فأوصت هذه اللجة فى نهاية المطاف بتقسيم فلسطين إلى دولتين . فرفض الفلسطينيون ذلك وأيدهم على الفور البلدان العربية باستثناء إمارة شرق الأردن ، كما رفض الشعب العربى بأسره ذلك ، ودعت البلدان العربية إلى عقد مؤتمر شعبى فى بلودان فى عام ١٩٣٧ ، ورفض المؤتمر هذا المشروع بالإجماع(٣) . فاضطرت بريطانيا إلى التراجع عنه ودعت إلى عقد مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن عام ١٩٣٩ فى محاولة منها لحل المشكلة ولكن دون جدوى .

وسرعان ما استؤنفت الثورة ، فتوافد المتطوعون والمجاهدون المسلمون لنصرة اخوانهم فى فلسطين ، وشاركوهم شرف الاستشهاد فى ثورتهم المسلحة ، وسيطر

(١) Parlimentory Debates: House of commans, vol.317, 18thNov., 1936. cols 1771-1776.

(٢) كامل خلة : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ – ٤٠٧ .

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢١٦ .

الثوار على معظم أنحاء البلاد ، وانحصرت المقاومة البريطانية المسلحة فى داخل مدن فلسطين الكبيرة تقريبا ، وأجليت معظم الأسر البريطانية إلى خارج فلسطين . وقام الثوار الفلسطينيون بمهاجمة المعسكرات البريطانية والمطارات والمخافر وقوافل السيارات العسكرية ، ونسف طرق المواصلات وخطوط السكك الحديدية ومحطاتها[1] .

وشرعت السلطات البريطانية فى اتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء على الثورة ، فأمرت بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية الفلسطينية ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة النطاق فى البلاد ، ولاحقت الحاج أمين الحسينى الذى فر إلى لبنان ومنه إلى العراق ، وألقت بعدد من قادة الثورة فى السجون ، وضيقت الخناق على الثوار حين تعاونت معها فرنسا ، فمنعت بذلك وصول السلاح والعتاد إلى فلسطين من سوريا[2] .

كما اتخذت السلطات البريطانية كل وسائل البطش والإرهاب لقمع الثورة ، وحشدت فى فلسطين على التوالى أربع فرق عسكرية أى ما يعادل خمسين ألف جندى بريطانى ، وعززتهم بقوات الطيران والمدفعية . ووقف اليهود بكل قوتهم إلى جانب السلطات البريطانية فى محاولة القضاء على الثورة . واحتلت تلك السلطات عددا من القرى فى منطقة الجليل والناصرة لمحاولة الحد من اتساع الثورة . ورافق العمليات العسكرية البريطانية عمليات أخرى ضد المدنيين من سكان المدن والقرى ، فنسفت أحياء برمتها فى بعض المدن (يافا ، جنين) وفى كثير من القرى ، وأتلفت مواد التموين ، ونهبت الأموال والأمتعة ، ولم يتورع الجنود البريطانيون عن أن يدوسوا القرآن الكريم بأرجلهم . وعانى كثير من المعتقلين أشد أنواع التعذيب الوحشى كالكى بأسياخ الحديد المحماة بالنار ، وقلع الأظافر ، والحبس فى الثلاجات والجلد بالسياط . وقد نتج عن ذلك كله أن

---

(١) السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، ص ٧٢ .

(٢) محمد أمين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٩ .

استشهد حوالى ستة آلاف شهيد ، وأعدم شنقا حوالى مائة وخمسون شهيدا ، وبلغ عدد الجرحى عشرات الألوف ، كما بلغ عدد المعتقلين نحو خمسين ألفا[١] .

وقد كان لهذه الثورة أصداء عربية اسلامية ودولية ، فعلى المستوى العربى والإسلامى ، شارك المتطوعون من أبناء البلاد العربية والإسلامية إخوانهم فى فلسطين الجهاد وشرف الاستشهاد وأقام المفكرون والأدباء الندوات والدراسات . كما قام الطلاب بالمظاهرات تأييداً لعرب فلسطين واستنكاراً لسياسة بريطانيا الاستعمارية والصهيونية ، فضلا عن اللجان التى تشكلت فى البلدان العربية لجمع التبرعات اضافة إلى العمل السياسى الذى كان يقوم به رجال الصحافة والسياسة فى العالم العرب والإسلامى . وعقدت كذلك مؤتمرات شعبية وحكومية تعبيرا عن السخط العام والتضامن العربى ، ومنها مؤتمر بلودان الشعبى ١٩٣٧ ، والمؤتمر البرلمانى العربى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٣٨ ، والمؤتمر النسائى العربى الذى عقد فى القاهرة أيضا عام ١٩٣٨[٢] .

أما زعماء المسلمين فى الهند وأفغانستان وإيران وغيرها فقد أيدوا مطالب الفلسطينين واستنكروا قرار التقسيم لعام ١٩٣٧ وبعثوا ببرقيات تأييد إلى الحاج أمين الحسينى رئيس اللجنة العربية العليا[٣] .

وعلى الصعيد العالمى ، أخذت صحف العالم وإذاعاته وخاصة ألمانيا وزعيمها هتلر تردد صدى هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزه بشكل لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام . خاصة وأن عرب فلسطين كانوا يقارعون فى ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية والصهيونية معا ، بكل ما تملك هاتان القوتان من جنود وحشود وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية يدفعهم فى ذلك إيمانهم بالله وعزيمتهم الصادقة على الاستماته فى سبيل غايتهم المثلى وهدفهم الأسمى .[٤] واستمرت هذه الثورة قرابة ثلاث سنوات وخمسة أشهر .

(١) مذكرات مفتى فلسطين : جريدة أخبار اليوم المصرية ١٩٥٧/١٠/١٢ .

(٢) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) مذكرات مفتى فلسطين ، جريدة أخبار اليوم ، ١٩٥٧/١٠/٥ .

(٤) مذكرات مفتى فلسطين ، جريدة أخبار اليوم ، ١٩٥٧/١٠/١٢ .

ويرى غسان كنفانى أن عام ١٩٣٦ كان عام بداية النكبة والكارثة فى فلسطين على صعيد وجودها الشعبى ، ويقول فى هذا الصدد : « فى اعتقادى بأن هزيمة عام ١٩٤٨ لم تكن الحلقة الأولى فى الكارثة الفلسطينية وأريد أن أشدد على القول إن الكارثة الفلسطينية بدأت عمليا فى الهزيمة التى منيت بها انتفاضة عام ١٩٣٦ فى فلسطين ، وما حدث عام ١٩٤٨ كان نتيجة لتلك الهزيمة ، وبالتالى حلقة ثانية ، وهذا يعنى أن دراسة ثورة ١٩٣٦ أمر أساسى »[1] .

وهكذا كادت تكون الاضطرابات والثورات الفلسطينية متصلة ، منذ بداية عهد الانتداب البريطانى حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، فلم تتوقف إلا خلال فترات قصيرة وذلك لأسباب سياسية ناجمة فى جوهرها عن محاولات الحكومة البريطانية من تسوية المشكلة الفلسطينية . وعلى ذلك يمكن اعتبار فترة الحرب العالمية الثانية فترة ركود وترقب فى الحركة الوطنية الفلسطينية .

سياسة الانتداب البريطانى وأهدافها :

نتج عن الاضطرابات المسلحة والاضرابات والعصيان المدنى والثورات التى قام بها عرب فلسطين تعيين خمس بعثات (لجان) لتقصى الحقائق . وهذه اللجان هى : لجنة توماس هايكرفت (١٩٢١) ، ولجنة ولترشو (١٩٢٩) ، ولجنة هوب سمبسون (١٩٣٠) ولجنة بيل (١٩٣٧) ولجنة وودهيد (١٩٣٨) . وبالإضافة إلى ذلك قامت بعثة نيابة عن عصبة الأمم بزيارة فلسطين سنة ١٩٣٠ لدراسة الأحوال الخاصة بحائط المبكى (البراق) واثبات ملكيته لأى من الطرفين[2] .

وكان يطلب من اللجان بحث المظالم التى يشكو منها العرب وكتابة تقرير عنها ، فجاءت نتائج تحقيق تلك اللجان من حيث الروح متطابقة ومتماثلة وهى :

(١) غسان كنفانى فى « الملتقى الفكرى العربى فى الخرطوم ، مارس ١٩٧٠ » مجلة المعرفة السورية ، العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٧٠ ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٢) سامي هداوي : « فلسطين تحت الأنتداب » ندوة فلسطين العالمية الثانية ، الكويت ١٩٧١ ، ص ٣٩ .

١ – خيبة أمل العرب فى عدم الوفاء بالوعود المعطاة لهم فى نيل الاستقلال إبان الحرب العالمية الأولى .

٢ – إيمان العرب بأن وعد بلفور جاء لدحض حق العرب فى تقرير مصيرهم وتخوفهم من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين سيؤدى حتما إلى تجريدهم من بيوتهم وممتلكاتهم فى الأرض .

أما الصهاينة فلم تكن أهدافهم وغاياتهم مكتومة ، ففى عام ١٩٢١ أبلغ الدكتور ديفيد ادر وهو عضو فى البعثة الصهيونية ، أبلغ محكمة تقصى الحقائق إنه « لا يجوز أن يقوم فى فلسطين أكثر من وطن قومى واحد وذلك لليهود ، كما لا يجوز المساواة فى المشاركة بين اليهود والعرب ، ولكن رحجان كفة اليهود يجب أن تتم بسرعة حال زيادة عدد هذا الشعب » . وقد أكد هذا الاتجاه بعثة كنج كرين فى عام ١٩١٩ عندما قررت أن « الصهاينة يسعون فعلا إلى تجريد السكان الحاليين غير اليهود من فلسطين نهائيا بوسائل الشراء المختلفة »[١] .

ومعلوم أن كل لجنة كان عليها أن تصدر بيانا أثر انتهاء أعمالها ، يتناول فيه سياسة بريطانيا فى فلسطين وبالذات تفسيرها لمفهوم الوطن القومى ووضع السياسة التى تنتهج فيما بعد . وعلى العموم ، فقد صدرت ثلاثة بيانات رئيسية : وجاء البيان الأول نتيجة لاضطرابات عامى ١٩٢٠ ، ١٩٢١ وعرف باسم مذكرة تشرشل ، ونص هذا البيان على « أن نصوص وعد بلفور ... لا تعنى بأن كل فلسطين يجب أن تحول إلى « وطن قومى يهودى » ، وتضمن البيان دستور فلسطين والذى يقضى بإنشاء مجلس تشريعى من اثنين وعشرين عضوا ، منهم عشرة من الموظفين الإنجليز ، وثمانية من المسلمين واثنين من المسيحيين واثنين من اليهود . وليس من صلاحيات المجلس المذكور التعرض لمبدأ الانتداب أو الوطن القومى اليهودى » . [٢]

أما البيان الثانى فقد صدر أثر اضطرابات هبة البراق عام ١٩٢٩ وعرف

(١) المصدر السابق .

(٢) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٢٩ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

بكتاب باسفيلد الأبيض (الكتاب الأبيض الثانى) وقد اعترف هذا البيان بحقوق « المجتمعات غير اليهودية » واعتبرها على نفس المستوى من الأهمية لحقوق اليهود[1] .

ويشير البيان الثالث (الكتاب الأبيض الثالث ١٩٣٩) والمعروف بكتاب ماكدونالد الأبيض إلى أن « البعثة الملكية برئاسة اللورد بيل » وبعثات تقصى الحقائق التى سبقتها قد لفتت النظر إلى غموض بعض العبارات فى صك الإنتداب مثل عبارة « الوطن القومى للشعب اليهودى » ، ووجدت فى هذا الغموض وما نشأ عنه من الإرتياب فى أهداف السياسة البريطانية سببا أساسيا للقلق والشحناء بين العرب واليهود . وقد اقتنعت الحكومة بأنه لابد من توضيح السياسة والأهداف إزاء عرب فلسطين حتى يسود السلام والطمأنينة لدى الشعب الفلسطينى . وعلى أثر ذلك أعلنت الحكومة البريطانية « أنه لا تعهداتها ولا الصالح القومى البريطانى يجيزان الإستمرار فى تنمية الوطن القومى اليهودى إلى أبعد من الحد الذى وصل إليه ، ولذلك فقد اقترحت الحكومة البريطانية ، إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين خلال عشر سنوات تربطها معاهدة مع بريطانيا تؤمن مطالب الطرفين الاقتصادية والإستراتيجية فى المستقبل . ثم من الناحية الدستورية ، توسيع قاعدة اشراك الفلسطنيين فى حكومة بلادهم (الحكم الذاتى) .

وفيما يتعلق بمشكلة الهجرة ، أعلن الكتاب الأبيض الثالث السماح بإدخال ٧٥٫٠٠٠ يهودى خلال السنوات الخمس التالية ، بشرط أن تسمح قدرة البلاد الاقتصادية على إستيعابهم ، فلا يسمح بعد انقضاء هذه السنوات الخمس بأية هجرة يهودية إلا إذا وافق عرب فلسطين على قبولها[2] .

اما ما يتعلق بالأراضى فقد قسمها الكتاب الأبيض إلى مناطق متنوعة ، فقد

---

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٣١ ، ص ١٦٧ — ١٨٧ .

(٢) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، الوثيقة رقم ٣٨ ، ص ٣١٥ — ٣٧٢

حظر بيع الأرض فى مناطق وحدد البيع فى مناطق أخرى وذلك بموافقة الحكومة .

وفى فبراير ١٩٤٠ سنت بريطانيا قوانين نقل ملكية الأرض التى حظرت بيع الأرض فى المنطقة أ ، إلى اليهود وحددت البيع فى المنطقة « ب » ولم تفرض أى حظر على ذلك فى المنطقة أ ؟ .[١]

وقدكانت ردود الفعل عند العرب لهذه السياسة البريطانية مختلفة : فقدكان جزء يسير من الشعب العربى على استعداد لقبولها غير أن الشك كان يخالجهم بالنسبة لإخلاص الحكومة البريطانية ، بينما قرر الجزء الأكبر من الشعب الفلسطينى رفض هذه السياسة لأنها لا تفى كليا بمطامح عرب فلسطين الرامية إلى الغاء وعد بلفور والإنتداب وإلى منحهم الإستقلال . وعلى ذلك يمكن القول بأن العرب رفضوا الكتاب الأبيض[٢] .

ومن ناحية أخرى ، فقدكانت ردود الفعل عند الصهاينة الدعوة بالإجماع إلى سحب ورفض هذه السياسة التى رأوا فيها تحطيم آمالهم سواء فى إنشاء دولة يهودية أو فى قوانين الهجرة والأراضى . ولذلك منذ رفض اليهود الكتاب الأبيض ودعوا إلى عقد إضراب عام ، واعتدى اليهود على المخازن العربية فى القدس وسلبوها ، كما قتلوا خمسة من عرب القدس وجرحوا خمسة عشر والقوا القنابل والمتفجرات على العرب فى الأسواق ، وقتل كذلك شرطى بريطانى بعيار نارى[٣] .

ولكن هذا الرفض من جانب العرب واليهود لم يثن بريطانيا عن عزمها ، فأكدت الحكومة البريطانية عزمها على تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض أمام مجلس العموم البريطانى فى ٢٢ مايو ١٩٣٩ ثم أمام لجنة الإنتدابات الدائمة فى ١٥

(١) سامي هداوي : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) أميل الغورى : المؤامرة الكبرى . أغتيال فلسطين ومحق العرب ، ص ٩٧ .

(٣) Monroe. E: Britain's Moment in the middle East 1914-1956, p.122

يونيو . ١٩٣٩ . ولم تستطع بريطانيا اتخاذ أية إجراءات بشأن **تنفيذ سياستها فى الكتاب الأبيض** الثالث بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية[١] .

القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية :

تطورت القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية نتيجة لإنتصار هتلر بادئ الأمر واحتلاله فرنسا وتقدمه نحو بريطانيا ، وكانت حركة هتلر العنصرية التى هدفت إلى تنقية العنصر الألمانى وتصفيته من الدم اليهودى قد ساعدت فى تطور الحركة إذ أن اضطهاده لليهود أدى إلى هجرتهم على نطاق واسع إلى فلسطين ، ومن جهة أخرى استغل اليهود هذا الإضهاد للدعاية لقضيتهم شرقا وغربا ، ودخل يهود أمريكا فى الصورة وأصبحوا عنصرا من أقوى العناصر المؤثره فى القضية الفلسطينية ، بل إن قيادة الحركة الصهيونية قد انتقلت إلى أمريكا واتخذت منها مركزا فعالا لنشاطها بفضل نفوذ اليهود الدعائى والمالى والسياسى[٢] .

كما أن فلسطين شهدت فترة هدنه بين العرب والصهاينة خلال الحرب العالمية الثانية ، لأن وجود جيوش الحلفاء فى الشرق الأوسط جعل من المتعذر على عرب فلسطين الإستمرار فى حرب العصابات[٣] . علاوة على أن العرب كانوا ينظرون إلى إنتصارات هتلر الكاسحة بعين الرضا حيث إنها ستعمل على القضاء على اليهود . وبالفعل فإن اليهود كانوا يفكرون بالهجرة من الشرق إلى أمريكا بعد أن رأوا انتصارات هتلر الكاسحة على الحلفاء وبعد أن تعرضوا لحركات إبادة جماعية ، ولم يتبدد رعب اليهود وخوفهم الا بعد إنتصار الحلفاء على المحور فى معركة العلمين[٤] .

---

(١) محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٥٥٦ – ٥٥٧ .

(٢) stevens, Richard p.: American zioinism and u.s. Foreign Policy, 1942-1947 (New york 1962) p.206.

(٣) Len zowski, G.: The Middle East in world Affairs, pp.272-3

(٤) Stevens, Richard p.: op.cit., p.20 6.

غير أن الوثائق الألمانية قد كشفت مؤخرا عن إتفاق بين النازية والصهيونية إبان الحرب العالمية الثانية ، يدعو إلى ذبح اليهود الذين يرفضون الهجرة إلى فلسطين من الشباب وتسليم كبار السن من الرجال والنساء إلى المذابح الهتلرية النازية ، ولقد تأكد لدى العارفين من اليهود أن زعماءهم فى الحرب العالمية الثانية كان بإمكانهم إنقاذ أعداد هائلة من يهود ألمانيا وبولندا ، إلا أنهم لم يقوموا بأى جهد يذكر من أجل ذلك الهدف[1] . فقد كان هدف الحركة الصهيونية فقط يرمى إلى إقامة دولة يهودية ، وليس إلى مكافحة النازية أو مساعدة اليهود المضطهدين على مقاومتها . كما كانت الحركة الصهيونية خارج الأراضى التى يحتلها النازيون تعلم بما كان يجرى لليهود من إبادة جماعية دون أن تقوم بأى عمل لمقاومة تلك الأعمال ، أو حتى بالسعى لدى دول الحلفاء بقصف وتدمير مراكز إبادة اليهود الجماعية . بل كان هدفها استغلال تلك المذابح لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين[2] .

وهكذا تبين لنا أن المعلومة التى كان يدركها الجميع من أن إنتصار هتلر قد يقضى على اليهود فى البلاد العربية وفى فلسطين بالذات ، أصبحت غير ذات بال ، فقد أراد هتلر تصفية ألمانيا ودول أوربا من اليهود ، لكنهم (الصهاينة) كانوا (يتحالفون مع النازية من أجل تهجير اليهود إلى فلسطين مقابل أن تكون فلسطين قاعدة استعمارية ألمانية وبذلك تكون الصهيونية فى خدمة النازية فى منطقة الشرق الأوسط . هكذا تكون هذه الإتفاقات بين النازيه والصهيونية قد قلبت المفاهيم السائدة رأسا على عقب .

وعلى أثر انتصار الحلفاء فى معركة العلمين ، تغير ميزان القوى وتبدلت السياسة العالمية ، فانعكست أثار ذلك على القضية الفلسطينية ، وانتقل مركز الثقل الصهيونى إلى أمريكا . فقد دعا الصهاينة إلى عقد مؤتمر فى فندق بلتيمور

---

(١) رفيق شاكر النتشه : الأسلام وفلسطين ، ص ٣٢ .

(٢) فارس غلوب : الصهيونية والنازية ، ص ١٢٠ - ١٣٠ . وانظر كذلك محمود عباس (أبو مازن) : العلاقة بين الصهيونية والنازية بيروت ١٩٨١

فى أمريكا فى الفترة ما بين ٩ – ١١ مايو عام ١٩٤٢ لتدارس الموقف ، وقد اتخذ هذا المؤتمر عدة قرارات هامة كان أولها شجب السياسة البريطانية تجاه فلسطين والتى نص عليها الكتاب الأبيض الثالث عام ١٩٣٩ ، وطالب المؤتمرون بضرورة إدخال مئات الألوف من المهاجرين اليهود الذين وقعوا تحت الإضطهاد النازى واضطرتهم ظروف الحرب إلى ترك منازلهم فى ألمانيا[١] .

وقد اتخذ المؤتمر قراراً بنقل مركز الثقل فى النشاط الصهيونى من بريطانيا إلى أمريكا لكى يستطيعوا ممارسة ضغطهم على الحكومة الأمريكية ، لتقوم بدورها بالضغط على بريطانيا لإلغاء ما جاء فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩[٢] . والواقع أن الصهيونية العالمية لم تنقل نشاطها إلى أمريكا إبان الحرب بسبب الكتاب الأبيض فحسب ، بل لأن الصهيونية شعرت أن بريطانيا قد انتهى دورها فى العالم خلال الحرب وحل محله الولايات المتحدة الأمريكية . ولذا فإن الصهاينة يبحثون دائما عن الحصان الفائز ويركبون الأمواج التى توصلهم إلى بر الأمان .

وفى أثناء المناقشات التى دارت فى هذا المؤتمر ، أوضح بن غوريون أن إنشاء حكومة ثنائية فى فلسطين ، أو إقامة أى حكم يضم العرب واليهود أمر غير ممكن ، وأن ليس هناك إلا حل واحد هو إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين . واقترح أن تعمل الوكالة اليهودية على تطوير المجتمع اليهودى فى فلسطين ، وأن تعتبر نفسها حكومة مؤقته غير معلنة ترعى وتنظم مسألة الهجرة والإستيطان وتشرف على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد[٣] .

وقد اتخذا المؤتمر ثمان قرارات هامة عرفت ببرنامج بلتيمور ، تنظم العمل فى هذه المرحلة وتسعى لتحقيق أهداف الصهيونية ، وتعمل على تشجيع الهجرة وترفض سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩[٤] . وأصبح برنامج بلتيمور بذلك البرنامج الرسمى للحركة الصهيونية .

---

(١) Esco-Foundation: op. cit vd.2., p.1034

(٢) Hurewitz, J,C.: The struggle for palestine, p.144.

(٣) Esco-Foundation: op. cit., vol 21 pp.1082-1084.

(٤) Ibid: pp.1084-1085.

وقد صاحب ظهور برنامج بلتيمور تعديل فى استراتيجية الحركة الصهيونية . وكانت هذه الحركة تعتمد من قبل فى تهويد فلسطين على بريطانيا وعلى صك الإنتداب الذى تضمن تصريح بلفور أو « ماجنا كارتا » الشعب اليهودى[1] كما يزعمون . ولكن الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٤٢ ، أخذت تعتبر تصريح بلفور وصك الإنتداب غير كافيين لتحقيق أطماع اليهود فى فلسطين . كما أخذت الحركة الصهيونية تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى ، هذا فضلا عن أن الصهيونية اتخذت موقفا عدائيا من بريطانيا ودخلت فى معركة ضدها فى سبيل تحقيق أطماعها فى فلسطين .

ومع ظهور برنامج بلتيمور ، أخذ الصهيونيون يبذلون نشاطا كبيرا لكسب رجال السياسة الأمريكيين إلى جانبهم . وتجلى هذا التأييد المطلق فى المذكرة التى قدمها عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ (٦٢) ومجلس الكونجرس (النواب) الأمريكى (١٨١) بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتصريح بلفور ، مؤيدة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وممهدة لإقامة كومنولث يهودى . كما أصدر عدد كبير من الهيئات التشريعية بالولايات الأمريكية قرارات فى صالح الصهيونية . وتسابق المرشحون للرئاسة إلى نشر الوعود والقاء الخطب والتصريحات وكلها فى صالح اليهود . فقد أعلن روزفلت خلال الدورة الانتخابية لعام ١٩٤٤ بالمساعدة على إقامة دولة يهودية وإلغاء الكتاب الأبيض ، كما وعد بزيادة العون إذا ما نجح فى انتخابات الرئاسة . كما عرض على الكونجرس الأمريكى مشروع قرار يطالب بفتح فلسطين للهجرة غير المقيدة لليهود ، وتأسيس جمهورية يهودية حرة فى فلسطين ، إلا أن المشروع لم ينفذ خشية الحاق الأذى بمجهود الحلفاء فى الشرق الأوسط[2] .

وجدد الرئيس روزفلت بعد انتخابه رئيسا للجمهورية فى مطلع عام ١٩٤٥ تعهده لليهود بمساعدتهم على إنشاء دولة يهودية فى فلسطين . غير أن معارضة مصر والسعودية وبخاصة بعد المقابلة التى تمت بين الملك عبد العزيز آل سعود

---

(١) eliahu Ben Horin, The Middle East. crossroads of History p.109.

(٢) stevens, R.p.: op.cit., pp. 66-177.

والمستر روزفلت حيث عرض الملك عبد العزيز على الرئيس الأمريكي تطورات القضية الفلسطينية ، فأعطى روزفلت الملك عبد العزيز وعدا بأن لا يتخذ قرارا ضد مصلحة العرب[1] .

كما لاقى الصهاينة تأييدا كبيرا من مختلف الأوساط الأمريكية ، فقد وقع خمسة آلاف قسيس بروتستنتي أمريكي عريضة رفعوها إلى الحكومة الأمريكية والكونجرس ، يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصاريعها للهجرة اليهودية ، هذا فضلا عن أن شركات الأنباء ومحطات الإذاعة والصحافة الأمريكية بدعاية واسعة النطاق للدعوة لمشروع انشاء الدولة اليهودية[2] .

وهكذا قرر الصهانية بعد النجاح الذى أحرزوه فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعد أن ضمنوا تأييد حكومة وشنطن لهم ، أن يخوضوا مع سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين ، معركة مواجهة ضد قوانين تحديد الهجرة اليهودية . فبدأوا يباشرون نشاطا إجراميا إرهابيا ، قامت به منظمات إرهابية منها الهاجانا ، وشتيرن وأرجون زفاى ليومى . فقاموا بنسف الجسور وخطف الجنود البريطانيين وإعدامهم[3] .

وبلغ الإرهاب الصهيونى ذروته فى فلسطين عام ١٩٤٤ ، ولم ينج المندوب السامى فى فلسطين سيرهارولدماك مايكل Harold Mac Michaël من الموت إلا بأعجوبة هو وزوجته ، وامتدت أيدى الإرهاب الصهيونى إلى كبار رجال الحكومة البريطانية فى خارج فلسطين ، حيث حاول الارهابيون اغتيال عدد منهم فى لندن وباريس وغيرها . ونجحوا فى اغتيال اللوردموين Moyne فى القاهرة فى نوفمبر ١٩٤٤ ، بالإضافة إلى نسف فندق الملك داود بالقدس فى ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ ، وكان ذلك الفندق مقرا لقيادة القوات البريطانية فى فلسطين . وقد أسفر ذلك الحادث عن مقتل ٩٣ شخصا وجرح ٥٣ آخرين[4] .

---

(١) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٢١ .

(٢) أنيس وحراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٥٦٢ .

(٣) Parlimentory Debatis. House of Londs, vol. 142, 13 July 1946 col. 1151.

(٤) Ibid .pp.801 - 802

معظمهم من البريطانيين . ومع ذلك لم تقابل بريطانيا هذه الأعمال بالعنف ، بل كانت تحظر على جنودها وشرطتها مقابلة العدوان بالمثل ، والدفاع عن النفس فقط ، مما ضج منه الجنود والضباط أنفسهم وحملهم على الشكوى العنيفة .

ولكن هذه الأعمال الإرهابية نجحت أخيرا فى تحويل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للبحث عن حل للقضية الفلسطينية خاصة وإن الحرب العالمية الثانية قد انتهت ، كما أن المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قد تبنى وجهة النظر الصهيونية ، وطالب بريطانيا بالغاء فكرة تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين والسماح فورا لمئة ألف لاجئ يهودى بدخول فلسطين . فرفضت بريطانيا ذلك بحجة أن فلسطين لا يمكنها أن تستوعب هذا العدد وإن مشكلة اللاجئين اليهود فى العالم يجب أن تتحملها جميع دول العالم . واقترحت بريطانيا تشكيل لجنة تحقيق مشتركة انجليزية امريكية تتحرى المشكلة اليهودية الأوربية وتعيد النظر فى القضية الفلسطينية . وقبلت الحكومة الأمريكية الاقتراح البريطانى وأعلنت الحكومتان عن أسماء أعضاء لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية[1] .

واستمعت اللجنة إلى آراء المهتمين بالمشكلة فى وشنطن ولندن ، وقامت بزيارة معسكرات اللاجئين اليهود فى ألمانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان ، كما قامت بجولة فى فلسطين ، وزارت كذلك عواصم سوريا ولبنان والعراق والعربية السعودية وشرق الأردن ، وأصدرت أخيرا تقريرها فى ٢٠ أبريل ١٩٤٦ متضمنا ثلاث توصيات رئيسية :

أولا : ضرورة بقاء الانتداب البريطانى فى فلسطين إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها.

ثانيا : السماح فورا بإدخال مئة ألف لاجئ يهودى من ضحايا اضطهاد النازية وعسف الفاشية .

---

(١) فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسى تحت الأدارة البريطانية (بغداد ١٩٦٧) ، ص ٥٨ — ٥٩ .

ثالثا : الغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضى واستبدالها بقوانين تستند إلى سياسة حرة فى بيع الأراضى وإيجارها والانتفاع منها ، بصرف النظر عن الجنس أو الملة أو العقيدة ، مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين[1] .

غير أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية لم ترفضا توصيات اللجنة ولم تقبلاها كذلك ، ولو أن الرئيس الأمريكى ترومان قد أبدى ارتياحه لأن اللجنة أوصت فى الواقع بالغاء الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ إلغاء عمليا ، بينما وجد كليمنت اتلى Clement Atlee رئيس الوزارة البريطانية أن هناك صعوبات عملية تحول دون إمكان قبول فلسطين لهذا العدد الكبير من المهاجرين واستيعابها له .

أما العرب فقد رفضوا توصيات اللجنة ، وصرح الأمين العام للجامعة العربية فى خطاب ألقاه بعمان فى ٢٦ ما يو ١٩٤٦ بأن الأمة العربية قد وطدت العزم على حماية عروبة فلسطين . كما عقد ملوك ورؤساء الدولة العربية مؤتمرا فى أنشاص بمصر فى ٢٧ ، ٢٨ ، مايو ١٩٤٦ ، بحثوا خلاله قضية فلسطين وحقوق العرب الشرعية ، وقرروا التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها . وعقد مجلس الجامعة العربية دورة إستثنائية فى بلودان بسوريا فى يونيو ١٩٤٦ ، واتخذ قرارات برفض توصيات اللجنة الانجلو أمريكية ، وطالب بوقف الهجرة اليهودية وقفا تاما على الفور ، والغاء الانتداب البريطانى وتأسيس دولة عربية مستقلة فى فلسطين[2] .

وأسرعت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تشكيل لجنة تحقيق انجليزية أمريكية جديدة ، لكى تتحرى الأوضاع بالنسبة لمشكلة الهجرة اليهودية والوضع اليهودى فى أوربا ، وتضع تقريرا فى مدى مائة وعشرين يوما ، وكانت اللجنة

---

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، الوثيقة رقم ٤٦ ، ص ٣٦٢ - ٣٧٧ .

(٢) أميل الغورى : المؤامرة الكبرى . أغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

المشتركة الجديدة تتألف من موظفين رسميين بعكس اللجنة الأولى . وتضمنت توصياتها مشروعا عرف : بمشروع جرادى – موريسون « Grady Morrison-Seheme .

وكان المشروع يدعو لقيام دولة اتحادية فى فلسطين من العرب واليهود معا ، على أن تضم هذه الدولة مناطق أربعة : مقاطعة عربية وأخرى يهودية ومنطقة القدس ومنطقة النقب . وأن تكون الحدود بينها مجرد حدود إدارية ، تحدد المنطقة التى يسمح فيها بإيجاد هيئة تشريعية محلية وإن تنشأ بها هيئة تنفيذية تتولى تنفيذ القوانين ، على أن لا يكون لها أى مساس بمسائل الدفاع والجمارك والمواصلات والعلاقات الخارجية التى يحتفظ بها للحكومة المركزية . وينشأ فى كل مقاطعة مجلس تشريعى منتخب ، وتتكون هيئة تنفيذيه من رئيس وزراء ومجلس وزراء يعينهم المندوب السامى فى كل منطقة من بين أعضاء المجلس التشريعى ، على أن تخضع القوانين التى يقرها المجلس التشريعى لموافقة المندوب السامى . وفى مقاطعة القدس ، ينشأ مجلس يزود بسلطات المجلس البلدى الذى ينتخب أكثر أعضائه ، بينما يقوم المندوب السامى بتعيين الاعضاء الآخرين . أما مقاطعة النقب فتديرها حكومة مركزية مؤقتا[1].

وبالنسبة لمشكلة الهجرة . اقترح مشروع جرادى . موريسون ان تجرى الهجرة اليهودية إلى فلسطين بموافقة حكومة المقاطعات اى بموافقة العرب واليهود معا ، بحيث لا تزيد الهجرة على طاقة الإستيعاب الاقتصادى ولا يكون للحكومة المركزية أية سلطة فى الترخيص بالهجرة بما يزيد على الحدود التى تقترحها حكومات المقاطعات .[2]

ولم تلبث بريطانيا أن دعت الدول العربية والوكالة اليهودية واللجنة العربية العليا لعقد مؤتمر فى لندن . ثم دعى بعض زعماء فلسطين العرب والسكرتير العام للجامعة العربية وممثلون عن يهود بريطانيا وفلسطين ، وافتتح المؤتمر يوم ٩ سبتمبر

(١) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٤٨ ، ص ٤٠٠ – ٤٥٧ .

(٢) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، ص ٤٠٠ – ٤٥٧ .

١٩٤٦ ، واستمرت جلساته فى ذورته الأول حتى نهاية ديسمبر ١٩٤٦ ، وحضره ممثلو الدول العربية المستقلة والسكرتير العام للجامعة العربية ، ولم تقبل الدعوة اليهود ولا عرب فلسطين ، وعرضت بريطانيا مشروع الحكم الذاتى (مشروع موريسون) الأنف الذكر . إلا أن الوفود العربية عارضت هذا المشروع من حيث المبدأ ولم تقبله كقاعدة المناقشة وتقدمت بمشروع عربى يقوم على استقلال فلسطين وتشكيل دولة عربية فيها ، ولكن بريطانيا رفضت المشروع العربى وتمسكت بمشروع موريسون . وفى الفترة الثانية من المؤتمر (يناير وفبراير ١٩٤٧) عرضت بريطانيا مقترحات جديدة وتنص على وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية لمدة خمس سنوات لتهيئة البلاد للاستقلال . ولكن الوفود العربية والوكالة اليهودية رفضت آخر المقترحات البريطانية[1] . ولذلك قررت الدولة المنتدبة إحالة المشكلة إلى الأمم المتحدة بهدف إلقاء مسئولية الموقف المعقد فى فلسطين على المنظمة الدولية .

قضيه فلسطين امام الأمم المتحدة :

فى الثانى من ابريل ١٩٤٧ ، طلبت بريطانيا عقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة وادراج قضية فلسطين فى جدول أعمالها . وفى ٢١ ، ٢٢ أبريل ١٩٤٧ طلبت الدول العربية إلى السكرتير العام أن يضمن المادة التالية فى جدول الأعمال « إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان استقلالها »[2] .

وقد عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة خاصة لبحث مشكلة فلسطين ، وعهد إليها بزيارة فلسطين واجراء تحقيق شامل . وقدمت اللجنة تقريرها إلى الأمم المتحدة فى ٣١ أغسطس ١٩٤٧ اثر انتهائها من بحث المشكلة ، وقد اشتمل التقرير على مشروعين : مشروع الأكثرية ويوصى بتقسيم فلسطين إلى

---

(١) فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسى تحت الأدارة البريطانية ، ص ٦٢ – ٦٨ .

(٢) سامي هداوي : « فلسطين تحت الأنتداب » ، ندوة فلسطين العالمية ، الثانية ، الكويت فبراير ١٩٧١ ، ص ٤٦ .

دولتين : عربية ويهودية مع وحدة اقتصادية بين الدولتين ، ومشروع الأقلية ويوصى بقيام دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس[١] .

تبنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى جلستها المنعقدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مشروع الغالبية وأوصت بتقسيم فلسطين حيث صوت لجانب المشروع ٣٣ وعارضه ١٣ مع امتناع ١٠ دول عن التصويت . وقد تم ذلك نتيجة تدخل الرئيس الأمريكى ترومان وضغطه على بعض الدول المحتاجة للعون الأمريكى ، ولم تنجح محاولات الوفود العربية لرفض واحباط مشروع التقسيم[٢] .

أوصى قرار التقسيم بإنهاء الانتداب على فلسطين ، وبإعلان استقلال البلاد مع تقسيمها سياسيا إلى دولتين منفصلتين تمام الإنفصال على أن تبلغ مساحة الدولة اليهودية ٥٦٪ من مساحة فلسطين وتضم الجليل والنقب ومعظم السهل الساحلى » ولم يكن اليهود يملكون خمس هذه المنطقة ، وما تبقى من فلسطين (٤٣ ٪) تقوم فيه دولة عربية ، أما القدس وما حولها (١٪) فقد أبقيت لتكون منطقة دولية تتولى إدارتها الأمم المتحدة . وهذا التقسيم شبيه بما طلبه الصهيونيون فى مذكرة الوكالة اليهودية إلى مؤتمر لندن ١٩٤٦ .[٣]

ولقد كان قرار التقسيم طعنة نجلاء ليس للشعب العربى فحسب ، بل للشعوب الأفريقيه والأسيوية أيضا ، التى رأت تصميما من جانب الغرب على فرض إرادته وسلطانه على الشعوب الشرقية ، واعتبرته عملا منافيا لمبدأ القومية وحق تقرير المصير . كذلك كان من شأن هذا القرار خيبة أمل فى الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، لانها استخدمت نفوذها – كما ذكرنا – فى الضغط على دول أمريكا اللاتينيه ودول البحر الكاريبى للموافقة على مشروع التقسيم حتى تضمن له النجاح ، بل لقد رأى العرب فى موقف الولايات المتحدة خيانة

---

(١) صالح صائب الجبوري : محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٢) أميل الغوري : أغتيال فلسطين ومحق العرب ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٣) Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the near and the Middle East, vol.2.pp.261 - 263.

للعهود التى قطعتها على نفسها على لسان رؤسائها كالعهد الذى قطعه روفلت على نفسه لدى اجتماعه بالملك عبد العزيز آل سعود فى فبراير ١٩٤٥ ، فى البحيرات المرة فى مصر ، والعهد الذى قطعه ترومان على نفسه فى ٢٨ اكتوبر من العام نفسه فى خطاب له إلى الملك عبد العزيز آل سعود بأن أى حل للمسائلة الفلسطينية لن يتم إلا بموافقة العرب واليهود معا[١] .

وعلى العموم ، فقد قوبل قرار التقسيم بإستنكار واسع فى أرجاء الوطن العربى والإسلامى ، ورفض العرب والمسلمون قرار التقسيم لأنه مبنى على أساس أنه كان يناقض أحكام ميثاق الأمم المتحدة التى تعطى الشعوب الحق فى تقرير مصيرها . وكذلك ارتكز العرب على الحقيقة بأن سكان الدولة اليهودية يتألفون من ٥٠ بالمئة من العرب ومثلهم من اليهود ، ورغم أن اليهود يمتلكون أقل من ١٠٪ من مجموع مساحة الأرض إلا أنهم كانوا ليصبحوا السلطة الحاكمة[٢] .

كانت الأمم المتحدة تنقض ميثاقها الخاص عندما تنكرت لعرب فلسطين ورفضت إعطاءهم حقهم فى تقرير مصيرهم بالرغم من أنهم كانوا يمثلون ثلثى الغالبية ، كما وأن مشروع التقسيم كان يتعارض مع المبادئ التى أعلنها ميثاق الأطلسى فى ١٢ أغسطس ١٩٤١ والتى بينت بالتحديد أن بريطانيا والولايات المتحدة « ترغبان فى أن تريا أن أية تغييرات إقليمية يجب أن لا تأت بغير اختيار شعوبها والرغبة الصريحة بذلك » . وهاتان القوتان الكبيرتان تحترمان حق جميع الشعوب فى أن تختار نوع الحكومة التى تريد أن تعيش تحت كنفها »[٣] .

وأياما كان الأمر ، فإن قرار التقسيم كان خارج نطاق صلاحيات الأمم المتحدة وسلطاتها المنصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة ، كما أن الجمعية العمومية رفضت جميع الإقتراحات المعتدلة التى تدعو إلى إجراء استفتاء شعبى فى

---

(١) أميل الغوري : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) سامي هداوي : فلسطين تحت الأنتداب البريطانى ، ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

فلسطين ورفع المسائل القانونية إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى لإبداء رأى إستشارى بشأنها[1] .

وكان الفلسطينيون قد بدأوا هجماتهم ضد القوات الصهيونية بعد صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مباشرة ، وشملت الإصطدامات شتى مناطق فلسطين . وكان اليهود قد استعدوا لهذه الحرب منذ فترة طويلة وتساندهم بريطانيا . فقد وضعت الخطة بإتفاق تام بين بريطانيا والصهيونية ونفذت هذه الخطة بإحكام تام خلال الفترة (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ — ١٥ مايو ١٩٤٨) وكانت هذه الخطة تتلخص : بأن تنسحب بريطانية بالتدريخ من المناطق اليهودية لتسهل لليهود استقدام السلاح والرجال وحرية الحركة ، بينما تبقى القوات البريطانية فى المناطق العربية حتى تشل حركة العرب بحيث يستولى اليهود ، تحت حراسة القوات البريطانية ، على أكبر قدر من أراضى فلسطين قبل أن تنسحب بريطانيا منها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وسارت الخطة فى طريق التنفيذ ، وكانت وسيلتها الرئيسية الإرهاب المسلح الذى فاقت الصهيونية به وسائل الاضطهاد النازى ضد اليهود . وهكذا شهدت فلسطين سلسلة من المذابح الإجرامية الشهيرة (ديرياسين) بقصد دفع عرب فلسطين إلى النزوح عنها البلاد العربية المجاورة[2] .

وبعد أن تفاقمت الأعمال العسكرية فى فلسطين ، وزادت الحالة سوءا ، قررت الدول العربية دخول جيوشها إلى فلسطين بعد إنسحاب بريطانية منها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، للمحافظة على حقوق عرب فلسطين من القوات الصهيونية . واستطاعت الجيوش العربية برغم قلة وفساد أسلحتها أن تحرز تقدما ملموسا وانتصارات محدودة . ولكن الدول الاستعمارية أرغمت العرب على وقف القتال لمدة أربعة أسابيع من (١ يونيو إلى ٩ يوليو ١٩٤٨) حتى يتمكن اليهود من إعادة تنظيم صفوفهم وتعزيز تحصيناتهم واستكمال ما يحتاجون إليه من رجال

(١) فايز صايغ : عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢ .
(٢) الحكم دروزة : موجز القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٣٠ .

وسلاح[1] . وعندما استؤنفت الأعمال الحربية فى ٩ يوليو ١٩٤٨ ، كانت القوات اليهودية أقوى بكثير عن ذى قبل ، هذا بالإضافة إلى فقدان الثقة بين الجيوش العربية وعدم توحيد قيادتها عمليا ، مع أنه من الناحية الرسمية ، دخلت الجيوش العربية تحت قيادة واحدة برئاسة الملك عبد الله والذى لم يثق أحد من الزعماء العرب فى قيادته ، بل إنه فرض عليهم من قبل بريطانيا ، للوصول بفلسطين إلى نهايتها المرجوة بالنسبة لبريطانية والصهيونية وللملك عبد الله الذى حصل على الضفة الغربية وضمها لحكمه ، وكانت بريطانيا قد وعدته فى ذلك قبل صدور قرار التقسيم بعامين وذلك أثناء توقيعه المعاهدة الأردنية البريطانية ١٩٤٦ . وكان لموقف الملك عبد الله من قضية فلسطين واشتراكه فى الحرب بصورة تخدم مصالحه ومصالح بريطانيا والصهيونية ، أثر كبير مما أدى إلى هزيمة الجيوش العربية ، ونتيجة لذلك قبلت الدول العربية بقرار مجلس الأمن الداعى إلى وقف القتال يوم ١٨ يوليو ١٩٤٨ .

وعلى العموم ، فإنه يمكن القول بأن الملك عبد الله كان يرمى إلى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى شرق الأردن منذ عام ١٩٣٧ ، إذ أنه هو الوحيد من الزعماء العرب أنذاك الذى وافق على مشروع التقسيم الذى قرته لجنة بيل أثر ثورة ١٩٣٦ ، وظل يتطلع لتحقيق هذا الهدف إلى أن ظهر مشروع التقسيم ، وأصر على دخول الجيوش العربية تحت قيادته ، ليصل إلى هذه الغاية .

ويؤكد المؤرخون البريطانيون كذلك أن اتجاه عبد الله الذى سبقت الإشارة إليه ، كان موافقا لمصلحة بريطانيا نفسها ، فقد أقام الدليل من قبل على أنه صديقها الوفى المخلص ، وكان ساستها يعتبرونه رجلا متزن التفكير واقعى الإتجاه ، إذ أنه الزعيم العربى الوحيد الذى ينظر إلى الصهيونية نظرة واقعية ، وكان يدرك استحالة إزالة الوطن القومى اليهودى . ولذلك فإنه قد أجرى محادثات سرية مع زعماء الصهيونية (جولدا مائير وعزرادانين وموسى شاريت)

---

(١) محمد أنيس ورجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٥٧٠ .

خلال شهرى أبريل ومايو فى قصره بالشونه . وعرض عليهم إقامة ملكية دستورية فى الأردن وفلسطين يتمتع اليهود فى ظلها بالحكم الذاتى ويكون لهم نصف مقاعد البرلمان ، وهذا الإقتراح يتعارض مع الهدف الذى قرر اليهود عدم التنازل عنه قيد أنملة ألا وهو قيام دولة تعبر عن وجودهم .

ومن جهة أخرى عرضت جولدامائير على عبد الله فكرة الصلح وذلك فى مقابل الإعتراف بضم الضفة الغربية . ولم يكن عبد الله يستطيع أن يواجه العرب بمثل هذه الفكرة حتى وأن مال إليها ، ولذلك قدم تعهدا إلى جولدامائير مندوبة الوكالة اليهودية بالا تتعدى جيوشه العمل فى المنطقة المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم فى مقابل الإعتراف مستقبلا بهذا الضم ، كما تعهد أيضا بأن لا يحارب الجيش العراقى كذلك إلا فى المناطق المخصصة للعرب . وقد أخذت بريطانيا منه تعهدا كذلك بنفس المضمون وكان ذلك قبل دخول الجيوش العربية فلسطين بأربعة أيام أى فى ١١ مايو ١٩٤٨ . وفى آخر لحظة رجا الملك جولدامائير تأجيل إعلان الدولة حتى تهدأ العواطف فلما لم يجب هذا الرجاء اقتنع عبد الله بأنه لا مناص من القتال حتى لا يظهر أمام الأمة العربية بمظهر الخارج على الإجماع(١) .

ولا غرو فى ذلك فموقف الملك عبد الله يتسق مع موقف بريطانيا الذى أعلنته منذ بداية انتدابها على فلسطين وتأسيسها إمارة شرقى الأردن وتسليمها للأمير (الملك) عبد الله حتى تكون هذه الإمارة مجالا حيويا لإستيعاب الفلسطينين المطرودين من بلادهم إبان الإنتداب تمشيا مع سياسة قيام الوطن القومى اليهودى ولتصبح شرقى الأردن الدولة البديله للفلسطينيين بعد طردهم من بلادهم وبعد ضم الجزء الغربى المتبقى من فلسطين (الضفة الغربية) إلى تلك الإمارة .

وحقيقة الأمر أن بريطانيا إتخذت كافة الوسائل المباشرة وغير المباشرة لإبعاد الفلسطنيين عن ميادين القتال ، ونجح الإنجليز فى ذلك ، وعملوا على تعديل

---

(١) عبد الله التل : كارثة فلسطين ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦٧ وأنظر كذلك خيري جماد .: دور الأسر العربية المالكة فى ضياع فلسطين .

خطة الدول العربية وحملوا بعضها على إدخال جيوشها إلى فلسطين لإبعاد المجاهدين الفلسطينين عن ميدان معركتهم[1] .

وقد نجحت بريطانيا فى خطتها هذه ، إذ أنها منعت بعض الدول العربية من مساعدة عرب فلسطين بالسلاح وأصرت على دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بحجة إنقاذها من براثن الصهيونية ، لأنها (أى بريطانيا) تستطيع السيطرة من خلال الأمم المتحدة ومن خلال المعاهدات على الدول العربية وإجبارها على توقيف القتال من ناحية ، كما تستطيع من خلال اتصالاتها السرية مع بعض الدول العربية (الأردن والعراق) على عدم الإشتراك فى الحرب بصورة جدية وعدم إجتياز القسم الغربى من فلسطين من ناحية أخرى ، وهذا ما حدث بالفعل . ومن ناحية ثالثة فقد نجحت بريطانيا بإسناد القيادة العليا للجيوش العربية إلى الملك عبد الله الذى كان طوع بنانها ورهن إشارتها . وحقيقة الأمر أن القيادة كانت بأيدى ضباط بريطانيين والذين تكفلوا بهزيمة الجيوش العربية ، كما تكفلت بريطانيا والدول الكبرى بالضغط السياسى عبر مجلس الأمن لتنفيذ الجريمة وإقرار مشروع التقسيم .

ومن المفارقات العجيبة أن الجيوش العربية زحفت إلى فلسطين فى ظل ميزانيات السلم التى لا تسليح فيها ولا تمرين ولا احتياطى ، وكانت القيادات السياسية تقبع وراء القصور فى معظم العواصم العربية بعيدة عن جدية المعركة وأخطار المستقبل وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذى تآمرت عليه الدول الكبرى بالسرو العلنى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلم تكن الدول العربية جادة فى موقفها ولم تستخدم كافة إمكاناتها ولم تضع إستراتيجية موحدة إزاء هذه الحرب . ومرد ذلك فى نظرى يرجع إلى إرتباط هذه الدولة بمعاهدات جائرة مع بريطانيا ، كما أن الشعوب العربية كانت جاهلة بتطورات القضية وخطر الصهيونية . ولو أدركت الشعوب العربية يومئذ أن تسليح الفلسطينين يعنى درء الخطر لا عن فلسطين وحدها وإنما عن كل شبر من الأرض العربية ، لتسابق

(١) على المحافظة : العلاقات الأردنية البريطانية ، عمان ١٩٧٥ ، ص ٢٢ .

الجميع فى دعم الشعب الفلسطينى بقصد منع قيام الكيان الصهيونى الغاشم . ولكن ذلك لم يحدث فتمكنت الصهيونية من إنشاء دولة الكيان الصهيونى المسماة باسرائيل .

قيام دولة الكيان الصهيونى وبدء الصراع العربى الاسرائيلى :

فى يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين وتم بالفعل جلاء القوات البريطانية عنها ، فأعلنت الصهيونية قيام دولة اسرائيل فى مساء ذلك اليوم ، واعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم اعترف بها فيما بعد الاتحاد السوفيتى ، وتوالت الاعترافات بعد ذلك . وتوقفت فجأة المباحثات فى الجمعية العمومية للامم المتحدة اثر الاعلان عن قيام دولة اسرائيل[1] . وكانت الأمم المتحدة تجتمع لبحث موضوع الشكل المقبل لحكومة فلسطين ، وذلك على اثر الاضطرابات التى قامت فى فلسطين فى اعقاب صدور قرار التقسيم ١٩٤٧ ورفض العرب جميعا لذلك القرار المشئوم ، مما أدى إلى تراجع الولايات المتحدة وبعض الدول عن قرار التقسيم والبحث مجددا فى اجتماعات الجمعية العمومية لوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية لفترة مؤقتة تمتد إلى سنتين حتى تصل الدول الكبرى إلى قرار يرضى جميع الأطراف . ولكن اسراع الساسة الصهاينة بإعلان قيام دولة اسرائيل فوت الفرصة على الأمم المتحدة لاتخاذ قرار ما . ومع ذلك فإن الاستقطاب الدولى هو الذى مكن الصهاينة من تنفيذ مخططاتهم .

وهكذا كانت النهاية للجانب المأساوى الأول لعهد من الظلم وسفك الدماء : ففى عام ١٩١٧ باعت الحكومة البريطانية فلسطين إلى اليهود مقابل استخدامهم فى المساعدة على حمل الولايات المتحدة على دخول الحرب ضد المانيا وفى عام ١٩٤٨ باعت الحكومة البريطانية عرب فلسطين بالطرد والتشريد والحرمان لتتمكن بالمقابل من الحصول على قرض من الولايات المتحدة

---

(١) سامى هداوي : « فلسطين تحت الأنتداب » دراسات فلسطينية ص ٥٤ .

الامريكية لدعم اقتصاد المملكة المتحدة (بريطانيا) فى حين قايض السياسيون الأمريكيون على سكان فلسطين وسكانها العرب فى مقابل اصوات اليهود فى الانتخابات الأمريكية .

وعلى العموم ، فقد انتهت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كما اشرنا بتوقيع اربع اتفاقيات هدنه ، واحده مع مصرفى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، وواحدة مع لبنان فى ٢٣ مارس ١٩٤٩ ، وواحدة مع الأردن بتاريخ ٣ أبريل ١٩٤٩ ، وواحدة مع سوريا بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٤٩ [١] .

وأياما كان الأمر ، فإن الحرب مع اسرائيل كانت قصيرة وتميزت بتدخل من الخارج وبتفرق كلمة العرب وبمساعدات غير محدودة تلقتها اسرائيل من الغرب ، فضلا عن شحنات كبيرة منتظمة من السلاح وردت من وراء الستار الحديدى ، وخاصة من تشيكو سلوفاكيا . وهذه المساعدة التى وصلت على الرغم من أوامر الأمم المتحدة ، كانت كافية لتغيير مجرى المعركة وتمكين اسرائيل من تحقيق مكاسب اقليمية واسعة . هذا فضلا عن إن هذه الحرب لم تحل أيامن المشكلات الأساسية بين كل من العرب واليهود ، كما أن الدول الكبرى فى الغرب والشرق ، وقد غفلت عن القيمة الحقيقية لصداقة العالم العربى فى خضم الضباب الكثيف الذى نشرته الدعاية الصهيونية ، داست على حقوق السكان العرب الأصليين فى فلسطين . وكل خطوة تمت لإنشاء دولة اسرائيل إنما كانت تحديا للعدالة . [٢] .

ونتج عن هذه الحرب نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطنيين ، فقد تشرد اكثر من مليون عربى فلسطينى من بلادهم نتيجة قيام دولة اسرائيل واغتصاب فلسطين ، وهم يعيشون منذ عام ١٩٤٨ فى الخيام والمعسكرات حياة الفقر والمرض ... انهم محرومون من فرص الحياة الكريمة . ولم تكتف اسرائيل باقتلاع هؤلاء اللاجئين من أرضهم بل استولت أيضا على جميع ممتلكاتهم وأموالهم ،

---

(١) هنرى كتن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، ص ٣٨ .

(٢) E.H.Hutchison: Viloent Truce, New york 1956, p.95.

وضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة التى تدعو إلى عودة اللاجئين الفلسطنيين إلى ديارهم[1] .

أما من تبقى من الغرب فى فلسطين فيعيشون فى ظل الاحتلال الصهيونى حياة اضطهاد وعنصرية دائمة ، والتفرقة العنصرية هى القانون الاساسى الذى يحكمهم . إن الأقلية العربية فى فلسطين تعيش منذ عام ١٩٤٨ فى مناطق تحكم عسكريا بموجب قانون الطوارئ ولا يسمح لهم بالتنقل إلا بإذن عسكرى خاص ، ولا تتاح لهم فرص التعلم الكافية ، واجورهم اقل من اجور اليهود ، وفرص العمل امامهم محدودة جدا ... كل هذا بينما تنتصب اسرائيل فى أرضهم وأمام اعينهم تزيد فى عمق المأساة وفداحة الجريمة[2] .

وبقى فى يد العرب منطقتان – احتلتا فى عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فقط من فلسطين :

الأولى : الضفة الغربية للاردن وكان ملك الاردن يطمح إليها ، فأعلن بالاتفاق مع بريطانيا ودون رغبة البلاد العربية ضمها إلى المملكة الاردنية الهاشمية وذلك بقرار من مؤتمر أريحا الذى جمع وجهاء تلك الضفة فى عام ١٩٤٩ .

الثانية : قطاع غزة وقد بقى تحت الإدارة المصرية :

وقد تحولت قضية فلسطين منذ عام ١٩٤٨ إلى صراع عربى صهيونى واسع ، مالبثت الصهيونية أن حولتها إلى مشكلة دوليه عالمية تثير باستمرار قلق العالم ومخاوفه والسبب هو أن الصهيونيين ظلوا حتى ما بعد قيام الدوله بعد سنوات يستغلون ضعف وتفكك البلاد العربية من جهة ، كما يستغلون تأييد وعطف كافة القوى الأجنبية عليها من جهة اخرى لتوطيد الغزو الصهيونى والتوسع فى وقت واحد . فبعد أن اعانتهم انجلترا حتى الحرب العالمية الثانية ثم تبنت الولايات

(١) الحكم دروزة : عرض موجز للقضية الفلسطينية ، ص ٣١ .
(٢) لمصدر السابق ، ص ٣٢ .

المتحدة معونتهم بعد ذلك ، انضمت الدولة الاشتراكية أيضا إلى الدول الاستعمارية الغربية فى دعم قيام الدولة فى سنة ١٩٤٨ وما بعدها على الصعيد الدولى وعلى صعيد المساعدات المادية العسكرية . ولكن الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ما لبثت أن تبنيت منذ سنة ١٩٥٥ أن هذه الدولة ليست إلا امتداداً للقوى الاستعمارية فى المنطقة ، وأنها تستعمل أداة بيد الدول الغربية (امريكا وبريطانيا وفرنسا) التى اعلنت رسميا فى البيان الثلاثى (الصادر فى مايو ١٩٥٠ عن دعمها لاسرائيل ومنع أى محاولة للقضاء عليها أو تهديدها . فتوقفت الدول الاشتراكية عن تأييدها وفضلت تأييد العرب بيما اندفعت امريكا فى ذلك التأييد على نطاق واسع .

وهكذا دخل التطاحن الدولى واقتسام النفوذ فى المشرق العربى من جديد ، فبعد أن خرج الفرنسيون والانجليز منه فى أعقاب الحرب العالية الثانية دخل النفوذ ان الأمريكى والسوفيتى بدلا عنهما .

ومنذ قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، أخذت دولة الكيان الصهيونى تعمل على تهويد فلسطين ، فأصدرت قوانين مختلفة تحقق منها استقدام المهاجرين اليهود بحيث غدا اليهود أغلبية فى فلسطين ، كما صادرت الأراضى العربية ، وأصدرت قوانين تخول سلطات الاحتلال الاستيلاء على أراضى العرب فى فلسطين : منها قانون املاك الغائبين لعام ١٩٥٠ ، وقانون الدفاع (حالة الطوارئ) ، وقانون مناطق الأمن العام لعام ١٩٤٩ ، وقانون ساعة الطوارئ لاستغلال الأراضى غير المفلوحة ، وقانون الاستيلاء على أرض فى ساعة الطوارئ لعام ١٩٤٩ ، وقانون استملاك الأراضى لعام ١٩٥٣ ، وقانون تقادم الزمن لعام ١٩٥٨ ، وقانون الإحراش وقانون استملاك الأراضى للصالح العام[١] .

ومن مظاهر تهويد فلسطين طرد السكان العرب نتيجة الارهاب والعنف

---

(١) محمد على الفرا : « تهويد فلسطين » بحث مقدم إلى المؤتمر الجغرافى الأسلامى الأول ، ص ١٠ - ١٦ .

والقسوة ، وكذلك هدم القرى والمعالم العربية والإسلامية ، وإقامة المستعمرات اليهودية كما يحدث الآن فى الضفة وغزة والجولان وتشويه التعليم العربى بحيث يكون وسيلة لتهويد فلسطين ، واخرها أطماع اسرائيل التوسعية[1] .

ولا غرو وفى ذلك ، فإن اسرائيل هى دولة الصهيونية العالمية وامتداد طبيعى لها . إنها بالتالى نموذج مجسم حىّ لكل ذلك التراث من العنصرية والاستغلال والعدوان ولذلك الارتباط التاريخى الكامل بالاستعمار . ولهذا كله تشكل اسرائيل خطرا ناميا متحركا يتجاوز فلسطين إلى الوجود العربى والاسلامى باكمله ، هذا فضلا عن أن اسرائيل قاعدة استعمارية ضخمة زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى مركز التقاء قارتى آسيا وأفريقيا . إن ذلك التاريخ الطويل من الارتباط بالاستعمار البريطانى أولا ثم الانجلو امريكى بعد ذلك ، بالإضافة إلى طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والجغرافية التى تحيط باسرائيل ، يجعل اسرائيل جزءا لا يتجزأ من مصالح هذا الاستعمار وحركته العامة إن هذه الظروف مجتمعة قد طورت الالتقاء المصلحى بين الصهيونية والاستعمار إلى نوع من الامتزاج المصيرى . وقد وجد الاستعمار فى اسرائيل أداة مثالية لتكون رأس الحربة فى مخططاته الجديدة وأحد الجسور الرئيسية للعبور مجدداً إلى افريقيا وآسيا[2] وخاصة فى مناطق العالم الإسلامى .

ومنذ أن قامت اسرائيل ، فقد بقيت غريبة فى العالم الآسيوى والأفريقى الجديد ، ولم تقبل فى أى مؤتمر دولى لحكومات الدول الاسيوية والأفريقية أو أى مؤتمر لحكومات الدول غير المنحازة . وذلك لأن اسرائيل أو آسيا وافريقيا ، ماعدا اتحاد جنوب أفريقيا الذى تحكمه أقلمه غربية[3] .

وغدت القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن جوهر الصراع العربى الإسرائيلى فى منطقة الشرق الأسط لإن اسرائيل تشكل خطرا سياسيا واقتصاديا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦ – ٣٢ .

(٢) الحكم دروزة : المصدر السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٣) فايز صايغ : عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية ، ص ٤ – ٥ .

واجتماعيا وعسكريا على العالم العربى . فمن الناحية الساسية ، فقد حدثت عدة انقلابات عسكرية فى الوطن العربى اثر هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨، كما حدثت اغتيالات سياسية كمقتل الملك عبد الله ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان عام ١٩٥١ . واصبحت انظمة الحكم فى البلاد العربية غير مستقره بفضل جهود اسرائيل المستمرة باثارة المشكلات بالتعاون مع القوى الاستعماريه والقوى المؤيدة لها فى الوطن العربى – وذلك للحيلولة دون استقرارها واتحادها ضدها . وتحولت بعض الأنظمة العربية إلى الكتلة الشرقية لشراء السلاح ، وانقسمت النظم السياسية فى العالم العربى إلى مجموعات متباينة يمين ويسار ووسط (معتدل) . وهذه الانقسام أوحده الاستعمار والصهيونية ليحول دون توحيد هذه الانظمة لان التوحيد يشكل خطرا داهما على الصهيونية والاستعمار . ولكن مهما اختلفت هذه الانظمة فى اتجاهاتها ومساراتها فإنها سرعان ما تلتقى إذا دق ناقوس الخطر . لإنها مهما اختلفت فى افكارها وايديولوجياتها الإجتماعية ، فإن الفكر الإسلامى كفيل بصهر هذه التناقضات جميعها فى بوتقة واحدة ، ولذلك فإن على الدول العربية إن تتمسك درما بكتاب الله وسنه ورسوله وتطبق فى نظام حياتها الشريعه الاسلامية حتى يكتب لها النصر كما وعدنا الخالق سبحانه وتعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

أما من الناحية الاقتصادية فإن اسرائيل تهدد باستمرار منذ نشوئها الدول العربية باعتداءات يومية متواصلة على خطوط الهدنة وحروب كبيرة بلغت اربع حروب خلال فترة الثلاثين سنة ونيف من عمرها ، وهذه الاعتداءات المتواصلة تهدد خطة التنمية فى العالم العربى لأن اسرائيل كثيرا ما كانت تشن اعتداءاتها على المنشآت الصناعية الإنتاجية الضخمة ، الأمر الذى يهدد التطور الاقتصادى فى العالم العربى ، وهذا فضلا عن أن جزءا كبيرا من ميزانيات الدولة العربية قد رصدت وخصصت للدفاع وشراء الاسلحة المتطورة وتحديث الجيوش وذلك على حساب التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الوطن العربى .

وفيما يتعلق بالناحية الاجتماعية ، فإن اسرائيل منذ نشأتها وهى تعمل بكل ما

اوتيت من قوة ومن جهد بالدبلوماسية وبالدهاء وبالحيلة والمكر بالتعاون مع الإستعمار وعملائه فى الوطن العربى – على تفتيت الوطن العربى وإثارة المشكلات المتنوعة فى داخله ، وذلك عن طريق اثارة النعرات الطائفة والعنصرية بين الاقليات والطوائف وتزويدها بالسلاح كما هو حاصل الأن فى لبنان وذلك للحيلولة دون قيام وحدة وطنية بين ابناء الشعب الواحد فى كل قطر عربى وبالتالى عدم قيام وحدة عامة بين ابناء الشعب العربى فى الوطن العربى الكبير ، كما تعمدت اسرائيل والدول الاستعمارية إلى اثارة المشكلات بين الدول العربية بعضها البعض حول الحدود وغيرها وحول قضايا سياسية ومواقف مصيريه ، حتى تحول دون اتحادها واتفاقها لان اتفاقها يعنى زوال دوله اسرائيل وزوال النفوذ الاستعمارى الاجنبى فى المنطقة العربية ، ولذلك فإن اسرائيل تعمل على ترسيخ العداء بين طبقات الشعب وفئاته ، بحيث يصبح العداء بينها اكثر من العداء ضد العدو المشترك . ومع ذلك وبرغم حدوث هذه الاشياء ، فإن الدول العربية مجتمعة تتجاوز احيانا هذه الأمور لترقى إلى مستوى الاحداث وتقف صفا واحدا امام التحديات ، وإن كان مع الاسف إن هذه الوقفات العربية لا تأتى إلا حين اشتدادِ الازمات ونشوب الحرب وهى وقتيه تنتهى بانتهاء الازمة والحرب وهى نابعة من العواطف والمشاعر العربية التى تتأثر بالأحداث والمؤثرات الخارجية . وكان المفروض أن يكون هناك تنسيق ثابت ومحدد واستراتيجية واضحة بين القادة العرب لتوحيد كلمتهم حتى يستطيعوا مواجهة العدوان فى كل وقت وفى كل مكان .

أما من الناحية العسكرية ، فمنذ توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ بين اسرائيل والدولة العربية المجاورة (مصر ، سوريا ، لبنان ، الاردن) ، واصلت اسرائيل ممارسة سياستها العدوانية بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة وبغزو أراضى الدول العربية المجاورة بصورة متكررة وربما كانت يوميه . وقد بلغ عدد الاعتداءات التى قامت بها اسرائيل على الدول العربية المجاورة (٦١ ر ٦٣١) اعتداء من ١٩٤٩ – ١٩٦٤ . وأدينت اسرائيل من قبل لجان الهدنة العادية

باستمرار كما ادينت اكثر من عشر مرات من قبل مجلس الأمن وكذلك من قبل الجمعية العمومية للامم المتحدة ، بينما لم يدن اى بلد عربى بالمقابل . وهذا الخطر العدوانى يتجلى كأوضح ما يكون فى النزعة التوسعية الصهيونية المتمثلة بشعار « من الفرات إلى النيل أرضك يا اسرائيل » .

ولم تكتف اسرائيل بذلك ، بل اشتركت فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وثنت عليه بعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ واحتلت سيناء والجولان وبقية فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) وكان أخطر عدوان يقع على الأمة العربية ، ومن المؤسف إنها احتلت جميع هذه المناطق دون قتال يذكر . وقد أشارت اصابع الاتهام إلى بعض القادة سياسيين وعسكريين فى تلك الدول . وحقيقة الأمر أن اسرائيل منذ نشأتها لم تنتصر على العرب بقوة السلاح ، ولكنها انتصرت بمؤازرة الدول الاستعمارية ، وبتواطؤ بعض الجهات العربية معها . وإن هذا العدوان كان جزءا من خطتها التوسعية الهادفة إلى تحقيق اسرائيل الكبرى . غير أن مجلس الأمن أصدر قرارا رقم ٢٤٢ بضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة . غير أن اسرائيل ضربت بالقرار عرض الحائط ، وشجعتها الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك . وجرت محاولات دون جدوى لحل المشكلة وذلك لان الولايات المتحدة الامريكية تؤيد اسرائيل بكل قوة . فاضطر العرب إلى القيام لاول مرة بحرب رمضان ١٣٩٣هـ(اكتوبر ١٩٧٣) وأحرز العرب فى هذه الحرب انتصارا محدودا بعبورهم خط بارليف فى سيناء ، إلا أن هذه الحرب مهدت الطريق امام التسوية السلمية بدءا باتفاق فك الارتباط الأول والخيمة فى الكيلو ١٠١ ومرورا باتفاق فك الارتباط الثانى ورحلات كيسنجر المكوكية وزيارة السادات لفلسطين المحتلة ١٩٧٧ وانتهاء باتفاقيات كامب ديفيد وتوقيع اتفاقية الصلح المنفرد مع مصر فى مارس ١٩٧٩ والتى قوبلت بالرفض والاستنكار من الشعب العربى والإسلامى وحتى من الدول الأوربية ودول عدم الانحياز والدول الصديقة . ومع ذلك فإن اسرائيل لا زالت تمارس اعتداءاتها الشبه يومية على لبنان والعرب وكان اخر عدوان لها على العراق

حينما ضربت المفاعل الذرى العراقى فى ٧/ ٦/ ١٩٨١ ودمرته تدميراً تاماً .
وآخرها الحرب الاسرائيلية الفلسطينية فى لبنان وبيروت ١٩٨٢ .

وازاء هذا الواقع المؤلم المربركان على الدول العربية أن ترصد جزءا كبيرا من ميزانياتها للتسليح والدفاع ، حتى بلغت ميزانيات الدفاع فى بعض الدول العربية أكثر من ٤٠٪ من الميزانيات العامه لهذه الدول ، وهذا بالطبع يكون على حساب خطه التنمية الاقتصادية والإجتماعية فى الوطن العربى . ولا شك أن الاسلحة التى تشتريها الدول العربية سرعان ما تستهلك لدى قيام حرب بين الطرفين ، يقوم العرب بعد ذلك بالاستعداد لشراء اسلحة اخرى » ، وما أن تمر فتره زمنية تصل إلى سبع سنوات، حتى تقوم حرب تستنزف فيها الطاقات العربية وهكذا دواليك .

ولاشك أن الدول الاستعمارية تفيد من هذا الوضع لإنها تبيع اسلحتها على العرب وتستنزف بذلك طاقات العرب أولا باول وهذا ما اشار إليه تشرشل عند اعلان وعد بلفور ١٩٧١ ، وهذه احدى الفوائد التى تحققت من قيام اسرائيل بالنسبه للدول الغربية ، وذلك لأن هذه الدول تحصل على ثروات الوطن العربى وخاصة البترول مقابل بيعه السلاح باسعار غاليه فى الوقت الذى تحصل فيه اسرائيل على أنواع متطورة من السلاح بدون مقابل .

ومن جهة اخرى ، حاولت اسرائيل والدول الإستعمارية بالاستعانة مع بعض الدول العربية الحليفه للغرب على طمس وتذويب الشخصية الفلسطينية فى المجتمعات الجديدة التى عاش الفلسطنيون بين ظهرانيها وقد فشلت كل محاولاتها فى ذلك ، كما فشلت محاولات امريكا وذلك لان جون فوستر دالس وزير خارجية أمريكا صرح ذات يوم فى عام ١٩٥١ بأن الكبار سيموتون وينسى الصغار : وهو يعنى أن القضية الفلسطينيه ستنهى بموت جيل عام ١٩٤٨ ، إلا أن هذا القول قد باء بالفشل ، وخاب ظن دالس . فقد نقل جيل عام ١٩٤٨ ، جيل النكبه الأولى ، المسئولية بإمانة إلى الجيل الذى يليه وحمل جيل الخيام وجيل المهجر السلاح فى الثورة الفلسطينيه التى انطلقت فى مطلع عام ١٩٦٥ .

ولاشك أن شعب فلسطين قد صمد اكثر من ثمانيه عشر عام أمام الظروف التى أحاطت به سواء فى مرحلة التشرد والتوزيع على الاقطار العربيه المجاورة والبعيدة ، أو الهجرات المنظمة المدفوعة من قبل جهات ارادت لشعب فلسطين أن يتشرد فى العالم ويتوزع ويرتبط بشكل أو بآخر بالمجتمعات الجديدة التى تستضيفه . وتحولت قضيته خلال تلك الفترة إلى مشكلة لاجئين فى حاجة إلى احسان وصدقات .

ولكن الشعب الفلسطينى العربى بدا يبحث عن مستقبله الغامض فكان تعلقه بالنشاط العلمى وأصبح لدى الفلسطينين اعلى نسبة من الجامعيين فى العالم . اضف إلى ذلك التفوق الذى ظهر بشكل واضح على معظم اللاجئين الفلسطينين فى شتى مجالات الحياة . وهكذا فإن المحنة التى تعرض لها شعب فلسطين كانت من القسوة بحيث أنها لم تفت فى عضد الشعب أو تحرفه عن ممارسة حقه ودوره فى الحياة فكانت بداية ثورته التى تفجرت فى مطلع عام ١٩٦٥ بعد مرور ثمانية عشر عام ، وقد نمت هذه الثورة بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وازدادت اهمية بعد معركة الكرامة فى عام ١٩٦٨ وبدأت هذه المجموعات المقاتلة الفدائية المنظم للثوره الفلسطينية (فتح ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الصاعقه) وغيرها تستقطب اهتمام الإنسان العربى ، ويومها شعر العرب بأول انتصار جديد بعد هزيمة ١٩٦٧ وشعر الاسرائيليون بالخطر القادم إليهم مع هذا الفلسطينى الذى قرر أن يحمل بندقيته . فبدأت المؤامرات الصهيونية والاستعمارية والعربية على حركة المقاومة فوقعت احداث الاردن والصدام بين المقاومة والسلطه عام ١٩٧٠ وانتهت بخروج المقاومة من الأردن وانتقلت إلى لبنان ، وحدث للمقاومه فى عامى ٧٥ ، ١٩٧٦ ما حدث لها فى الأردن ولا زالت المقاومة تتعرض للاعتداءات فى لبنان ، وكان اخرها اعتداء عام ١٩٧٨ الذى قامت به اسرائيل إلا إنها لأول مرة طلبت اسرائيل وقف اطلاق النار . ولازالت المقاومة ثابتة صامدة . وكان انقسام فصائل الثورة قد اضعفها وشتتها ، ولكن انضواءها تحت لواء منظمة التحرير اسمع كلمتها للعالم ، فقبلت المنظمة فى هيئة الأمم

المتحدة عام ١٩٧٣ ، واقر مؤتمر القمه العربى السابع فى الرباط فى عام ١٩٧٤ أن منظمة التحرير الفلسطينيه هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى واعتراف الدول العربية بها ونقل هذا الاعتراف للمجتمع الدولى .

ويمكن القول أن منظمة التحرير الفلسطينية قد اجتازت اهم العوائق التى مرت على الثورة الفلسطينية وهى محاولة الانظمة العربية فرض الوصاية عليها وهذا ما ادى إلى حرب ايلول ١٩٧٠ ، والحرب الاهلية اللبنانية ومذابح تل الزعتر ١٩٧٦ . وقد افادت المنظمة من هذه التجربة غير أن اعداء هذه الثورة كثيرون والمؤامرات لازالت مستمرة . ولكن إذا تكاتفت الدول العربية مع المنظمه ووضعت استراتيجية عامة لمواجهة اسرائيل فى حرب طويلة الأمد ، ولتعلنها حربا مقدسة ، وإلا فإن المستقبل مظلم واخطار الصراع العربى الاسرائيلى كبيرة وابعاده واسعة .

ابعاد الصراع العربى الإسرائيلى :

لابد لنا أولا وقبل كل شئ من التعرف على طبيعة الصراع بيننا وبين العدو الصهيونى وسبر أغواره وتفهم أبعاده وغاياته . ولعل أول ما يلفت النظر فى هذا الموضوع هو أنه فريد فى نوعه لا يكاد يشبهه أى نوع من أنواع الصراعات التى عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل . ولكى نوضح طبيعه هذا الصراع فإنه يمتاز عن غيره من الوان الصراع بعدة أبعاد نجملها فيما يلى :

أولا : البعد التاريخى : من المعروف إن صراعنا مع اليهود قديم قدم التاريخ نفسه على الرغم من إنه يحلو لبعض المؤرخين من أن يجعل من مؤتمر بازل ١٨٩٧ بداية لهذا الصراع .

وحقيقة الامر أن صراعنا مع اليهود إنما يرجع فى بدايته إلى ذلك الزمن الذى اراد الله سبحانه وتعالى منه أن يمنح اليهود فرصة يتخلصون فيها من ظلم فرعون مصر ليعيشوا فى بلاد اخرى بإمان ووئام مع شعب تلك البلاد . غير أن طبيعتهم العدوانية أبت عليهم إلا أن يضيعوا هذه الفرصة الثمينة التى هيأتها لهم العناية

الالهية ، فبدلاً من أن يلجأوا إلى فلسطين كأى شعب مضطهديعانى الاستبداد ، وبدلا من أن يسعوا وراء الاستقرار ومسالمة غيرهم من خلق الله والتعايش معهم ، جعلوا من خروجهم من مصر بداية لغزوتهم الهمجية لأرض فلسطين التى كان يسكنها الكنعانيون الذين استوطنوا فلسطين قبل ظهور المسيح بأكثر من ثلاثه الاف سنة .

وقد سجل التاريخ على اليهود من صفات الهمجية والوحشية ما لم يسجله على غيرهم من الشعوب . ويؤكد ذلك ما سجلته ثوراتهم بصدق عن طبيعة الشعب اليهودى وأبرزت بوضوح حقيقة عقيدتهم المبنية على الغدر والخسة والوحشية والحقد والفساد والتعصب الجشع والغرور والصلف والتعجرف والانحلال وغير ذلك مما تتضمنه انماط السلوك البشرى من مخازى ودنايا . وقد ورد فى الاصحاح السادس عشر : « وحرموا (اهلكوا) كل ما فى المدينة (اريحا) من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار .

بهذه الروح الهمجية دخل اليهود فلسطين بقيادة يشوع بعد وفاة موسى واضعين نصب أعينهم ابادة السكان وتفريغ الأرض من أصحابها الاصليين . ولا تزال ممارسات اليهود اليومية فى هذه الأيام داخل فلسطين وخارجها تشهد على أنهم لم يتغيروا ولم تتبدل طباعهم التى لم تهذبها القرون ولم تؤثر فيها الحضارات .

ومن تفهمنا العميق لهذا البعد يتضح أن صراعنا مع الصهيونية ليس مجرد صراع مسلح محدود خاض العرب من أجله فى تاريخهم المعاصر اربعة حروب فاشلة فى مدة لا تزيد عن ربع قرن .

إنه صراع أبدى طويل لن ينتهى إلا بانتصار حاسم يحققه احد طرفى الصراع ..

ثانياً : البعد العقائدى : والعجيب فى أمر هذا البعد من ابعاد الصراع أنه لقى

من الحفاوة والتقدير والعناية والاهتمام لدى اليهود بقدر مالقى من الاهمال والتجاهل وربما الرفض من العرب المسلمين .

انطلق اليهود فى صراعهم معنا من منطلق عقائدى لإنهم عرفوا منذ البداية — وهذا هو الصحيح — إن العقيدة هى حجر الزاوية فى أى صراع . أما العرب المسلمون فكأنى بهم قد خشوا أن يصفهم العالم بالتعصب فعزفوا حتى عن مجرد الاشارة إلى ذلك العداء المستحكم بين العقيدتين الاسلامية واليهودية مع أنها أمر واقع لا يمكن تجاهله .

المسلمون ومنهم العرب — وهم لحمة الإسلام وسداه — يعتقدون بوجود اله واحد ليس كمثله شيئ وهم يؤمنون بالمساواة بين الأمم والشعوب وبإن التقوى هى ميزان التفاضل بين الناس . أما الصورة التى يرسمها اليهود للخالق — عز وجل — فاقل ما يمكن أن يقال فيها بإنها لا يمكن أن تكون صورة لاله . فهو فى نظرهم اله محاب خصهم دون غيرهم من الشعوب بالحب واختارهم شعباً خالصا له لا يزاحمهم فى ملكوته مزاحم ولا ينازعهم فى رضوانه منازع .

« وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه »[1] .

وقد انكر الله عليهم دعواهم هذه فى الآية نفسها فقال : « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق » . وفى التثنية ٧ من الاصحاح الأول . « اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض »[2] .

والله فى نظر اليهود فقير وهم الأغنياء . « قد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن الأغنياء »[3] ويد الله فى نظرهم مغلولة عاجزة وأيديهم هى المبسوطة

(١) سورة المائدة : الآية ١٨ .

(٢) سفر التثنية : الأصحاح الأول : ٧ .

(٣) سورة ال عمران : الآية ١٨

القادرة على التصرف . « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا »[1] وهم أشد الناس عداوة للمسلمين « ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا »[2] . وهم يدعون أن الله – تعالى عما يصفون – ولد « وقال اليهود عزيز بن الله »[3] .

وقد بين جلت قدرته أنهم لن يرضوا عن أى مؤمن إلا اذا اتبع ملتهم ، وأنقص فى حق الله مثلما ينقصون . « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »[4] .

أن أعجب ما يثيره هذا البعد من ابعاد الصراع فى النفس هو الدهشة والاستغراب من شدة تمسك اليهود بباطلهم البين البطلان ، وفرط تهاوننا – نحن المسلمين – فى حقنا الواضح الظهور . وفى تمسكنا بعقيدتنا وعملنا بها .

وعلى الرغم من ايماننا بإن الالتقاء عند الحدود الدنيا فى المسائل العقائدية لايمكن أن يصلح ، وإن الحدود الدنيا فى حد ذاتها لا يمكن أن تكون كافية لتحقيق طموحات الأمة ، على الرغم من ذلك كله فإننا نرى إنه قد آن للعرب المسلمين أن يلتقوا على حد أدنى من العقيدة لينطلقوا فى صراعهم مع العدو الصهيونى من منطلقه واضعين نصب اعينهم أن ذلك لا يمكن أن يتعارض مع الايديولوجيات القومية التى تقف عندها بعض الأنظمة . وإذا ما تمسكنا بحبل الله واتحدنا تحت راية الإسلام ، فإن الله سينصرنا كما وعدنا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

أن أكثر ما يخشاه الإستعمار والصهيونية وأنصارهما هو عودة المسلمين إلى التمسك بكتاب الله ، وتطبيق الشريعه الإسلامية . فمنذ أن طبقت باكستان الشريعة الإسلامية ، وبدا التيار الإسلامى يتنامى فى بلدان العالم الإسلامى

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٠ .

وكثرت الدعوات القائله بتطبيق الشريعه فى بلاد الإسلام ، وكان نجاح الثورة الإسلامية فى إيران قد هز الأوساط الإستعماريه والصهيونية . فقد قوبلت بهلع وسط الأوساط الصهيونية والأمبرياليه لنجاح هذه الثورة فقال إيبان « أن التيار الإسلامى فى المنطقه يقلب الموازين الإسرائيلية رأسا على عقب ، وعلينا أن نفكر بسرعة وجدية فى الروح الثورية التى يتصف بها الإسلام ، فإذا كان الدين فى الغرب لا يشكل قوة مؤثرة فى الحياة السياسية ، فعلى الغرب أن يدرك مدى قوة الإسلام إذا تمسك المسلمون بدينهم ، وأتيحت لهم القيادة الملهمة . أن خطر الإنبعاث الإسلامى هو الخطر الذى كنا نحذر منه على الدوام » . ويقول مناحيم بيغن : « أن ثورة إيران تهديد مباشر لمقومات الحضارة الغربية ويجب أن تكون مهمتنا سحق الحضارة الإسلامية وإقامة الحضارة اليهودية محلها » . وتقول جريدة « جويش كرونيكل » . « أن خسارة إسرائيل لا تقدر لغياب الشاه ، وليس فى وسع الغرب والشرق بعد اليوم أن ينظروا بعدم أكتراث إلى الوعى الإسلامى الجديد » .

وقد جذبت الثورة الإسلامية فى إيران انتباه المفكرين والفلاسفة فى الغرب ، وكتبت البحوث الطويلة فى تقييم هذه الظاهرة . فقالت جريدة الفيغارو الفرنسية : « أن مفاهيم التضحية فى سبيل العقيدة الإسلامية مازالت تلعب دورها القوى خاصة فى زمن يعانى من إنهيار الحضارات المادية . من كان يصدق أن هتاف « الله أكبر » يستطيع أن يصنع هذه المعجزة ، مكذبا كل النظريات المتعارف عليها . لقد أثبتت ثورة الخمينى أن العقيدة الصادقة هى أكبر محرك لأحداث التاريخ وأن الثورات لا تنجح إلا إذا كان لها حلم كبير يجسده زعيم مؤمن ، توجهه عقيدة روحية تنهار أمامها قوى الطغيان » . وقالت جريدة « الفاينننشال تايمز » : « لا يمكن لأحد بعد اليوم ، أن ينكر حدوث بعث إسلامى أسئ فهمه إلى حد بعيد »[1] . وهكذا يتضح لنا إن العقيدة هى أهم العوامل بل العامل الرئيسى لتحقيق النصر على الأعداء .

---

(١) سعد جمعة : « لماذا كل هذا التهجم على الثورة الأسلامية فى أيران » مجلة الحوادث فبراير ١٩٧٩ ، ٤٩ .

ثالثاً : البعد الجغرافى : — وقد ألح اليهود على توضيح هذا البعد الحاحا شديداً وجعلوه أحد شعاراتهم الأساسية الثابتة التى ينطلقون منها فى صراعهم مع العرب . فهم ومنذ اللحظة التى بدأوا فيها الصراع مع الكنعانيين بينوا أن فلسطين ليست هى بغيتهم الوحيدة من ذلك الصراع . فقد ورد فى الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ما يلى :

« فى ذلك اليوم قطع إبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض . الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1] .

ونتيجة لإنتشار اليهود وتشتتهم فى مختلف أرجاء المعمورة أصبح العالم كله ساحة للصراع بيننا وبينهم . وقد إتخذ هذا الصراع أشكالاً عدة .

لقد بنى اليهود إستراتيجيتهم على أساس إقامة إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات . وقد ظل اليهود طوال المراحل التى مر فيها ذلك الصراع يؤلبون الأمم على الأمة العربية والإسلام ويكيدون لنا بمختلف أساليب الكيد والمؤامرات مستغلين فى ذلك نفوذهم الإقتصادى والعلمى والإعلامى ، الذى اكتسبوه على مر الأيام فى شتى أنحاء العالم .

وقد آن للعرب والمسلمين أن يدركوا أنه لن يهدأ للصهيونية بال حتى تصل بحلمها المرسوم إلى غايته ، ولا ينبغى أن يخطر ببال عربى عاقل أن المعاهدات يمكن أن تضع حداً لإطماع إسرائيل التوسعية .

رابعاً : البعد البشرى : — أدرك اليهود ومنذ البداية أنهم لن يتمكنوا من تحقيق أى فوز فى صراعهم مع العرب أن هم إعتمدوا على قوتهم الذاتية ، وقد أدركوا نقطة ضعفهم المتمثلة فى قلة عددهم فاستثمروها أروع إستثمار وعوضوا أنفسهم عنها بتلمس العون من الآخرين . وقد جعلوا ذلك مطلبا إستراتيجيا فى صراعهم مع العرب . ولنعد مرة أخرى إلى التاريخ لنرى كيف أنهم — عندما طلب منهم موسى دخول فلسطين رفضوا ذلك بشدة مادام أهل البلاد الأصليين موجودين فيها .

---

(١) العهد القديم ، سفر التكوين الأصحاح ١٥ .

وكانوا فى ذلك الوقت فى وضع لا يمكنهم فيه كسب تأييد أى شعب من شعوب الأرض ولهذا فقد طلبوا من موسى أن يعوضهم عن ذلك تلمس العون من الله . « قالوا يا موسى أنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنها هنا قاعدون »(١) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه أنه ليس فى إمكان اليهود أن يحققوا أى نصر إلا إذا وجدوا العون من الله أو من الناس . « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(٢) .

وقد دفعت التعاليم اليهودية الواردة فى التوراة المحرفة والتلمود . والتى اشتقت منها « مبادئ الصهيونية السياسية المعاصرة — اليهود إلى السعى الدائم من أجل السيطرة على العالم وتسخير شعوبه لخدمة الشعب المختار وتحقيق أطماعه الشريرة . ومن أجل ذلك أنشأ والجمعيات والمنظمات وابتدعوا النظريات الفلسفية والمذاهب الإقتصادية التى تولوا عن طريقها مهمة إقناع الشعوب بباطلهم وبسطوا من خلالها نفوذهم على جميع الدول الأمريكية والأوربية ، وسخروا حكوماتها فى تحقيق أهدافهم ومخططاتهم .

أما العرب فلم يعيروا هذا البعد من أبعاد الصراع ما يستحقه من الإهتمام وظل تحركهم فى مجاله دون المستوى المطلوب . لقد أعجبتهم كثرتهم التى لم تغن عنهم شيئا وظنوا أن تفوقهم العدوى كاف لحسم الصراع مع اليهود لصالحهم . لقد ظنوا أن فى إستطاعتهم التغلب على اليهود فى أول جولة من جولات الصراع ، ولم يلتفتوا إلى ذلك الداء العضال الذى يجعل من الكثرة العددية عاملا من عوامل الهزيمة بدلاً من أن تكون سببًا من أسباب النصر . لقد غرهم تفوقهم العددى ووفرة مواردهم الإقتصادية وعمق بلادهم الجغرافى وتغافلوا عن معالجة ذلك

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٨١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٦ .

الداء المستشرى الذى حال بينهم وبين الإفادة من جميع هذه المميزات . أما ذلك الداء فليس بيننا من يجهله ، أنه داء الفرقة والتمزق والشتات . أنه الداء الذى قسم الأمة العربية الواحدة إلى أكثر من عشرين دولة يصل الخلاف بين العديد من أنظمتها إلى حد المواجهة بالسلاح .

وليس بين الناس من يجهل أن جميع الإنتصارات التى حققتها الصهيونية فى حروبها مع الأمة العربية فى النصف الثانى من هذا القرن إنما تحققت بفضل ما تلقته من عون من القوى العالمية الكبرى . كانت بريطانيا وراء إقامة الكيان الصهيونى وخروجه ظافرا من حرب ١٩٤٨ ، وكانت بريطانيا ذاتها مع حليفتها فرنسا وراء إنتصار إسرائيل سنة ١٩٥٦ ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هى صانعة نصرها فى حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . كما أنها تمد إسرائيل بإستمرار بالمال والسلاح بينما يمدها الإتحاد السوفيتى بالقوة البشرية عن طريق السماح لليهود السوفييت بالهجرة إلى فلسطين .

أن فهمنا الدقيق لهذا البعد من أبعاد الصراع ينبغى أن يشكل لدينا قناعة تتلخص فى أننا لن نتمكن من التفوق على الصهيونية فى ميدان الدعاية العالمية لقضايانا العادلة ، ولكن ذلك لا ينبغى أن يولد فى نفوسنا أى عامل من عوامل الإحباط لأن فى إستطاعة العرب أن يعوضوا بأساليب أخرى كثيرة ناجعة . ويكفى أن تعمل الأمة العربية على جمع الصفوف المبعثرة وتجميع الطاقات المهدورة وتوحيد القوى والإمكانات شريطة أن تتوافر القناعة التامة بإرادة القتال حتى يتحقق لنا النصر على العدو الصهيونى .

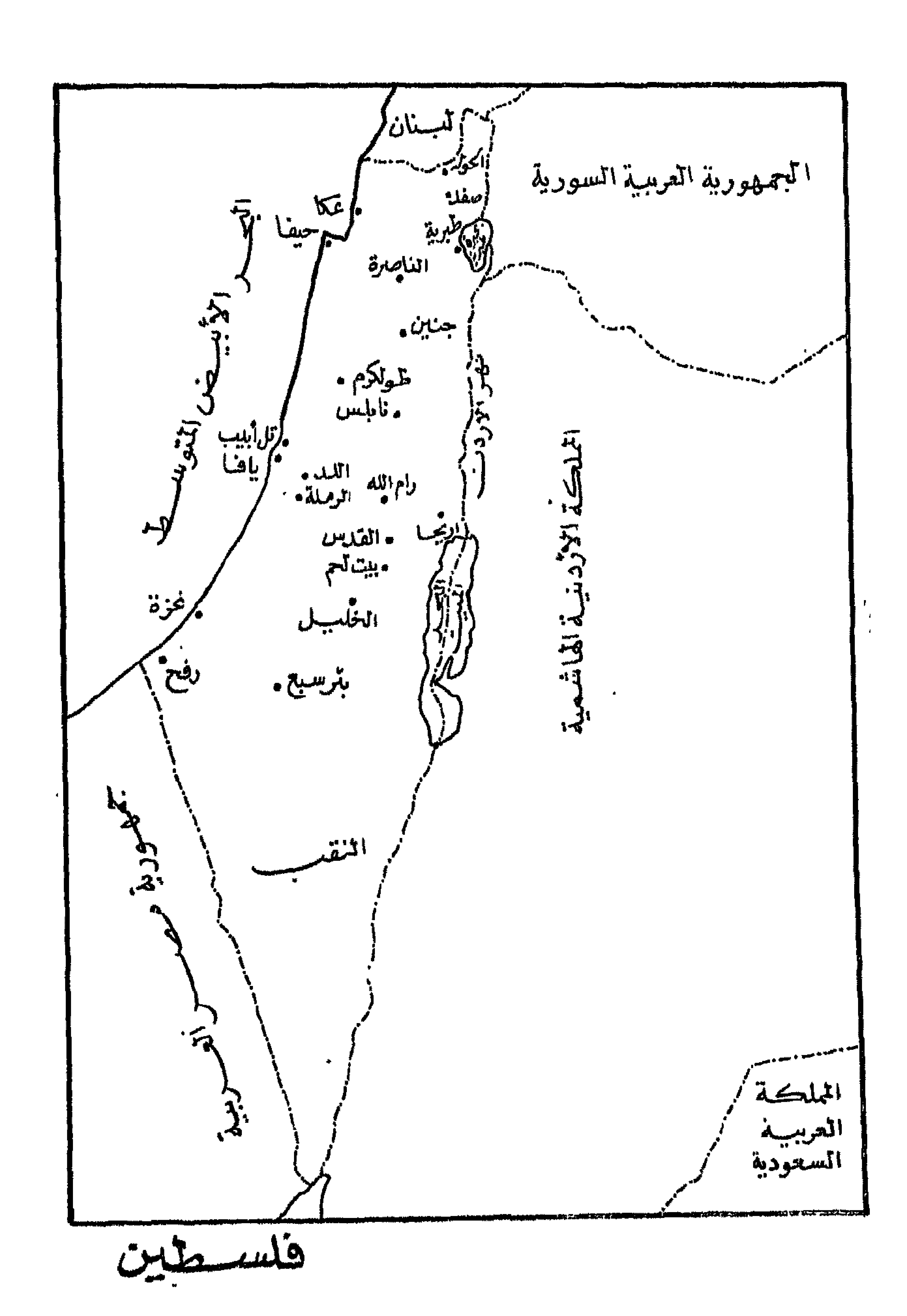
أن القضية بين العرب وإسرائيل ليست سياسية – كما يتوهم البعض – وإنما هى قضية قومية أولا ودينية ثانيا ، وصراع على قطعة واحدة من الأرض . أنها فى الواقع صراع بين فريقين يطالب كل منهما – عن عقيدة – إلا بانتصار أحد الفريقين ، وبالتالى أن يكون أحد الفريقين مالكا لهذه الأرض . وهذه الأرض التى هى فلسطين ليست نهاية المطالب بالنسبة للأطماع الصهيونية أنها بمثابة نقطة إنطلاق منها ينطلقون إلى الوطن العربى الكبير الذى يريدون له أن يصبح تحت

نفوذهم وسيطرتهم . والمجتمع الإسرائيلى هو مجتمع حرب لا مجتمع سلم لأن زعماء إسرائيل يدركون أن السلم خطر على مجتمعهم . وهم أن رفعوا شعار السلم فإنما يخدعون العالم لأنهم يخفون وراء هذا الشعار إستعدادهم للحرب . أنهم يريدون أن يوهموا العرب بهذا السلم المزعوم حتى يركنوا إلى السكينة والهدوء . فيأخذونهم على حين غرة . ولذلك فلا حل للقضية الفلسطينية إلا بالحرب ، ولا بديل للعرب سوى الإستعداد لخوض معركة المصير والشرف وإسترداد أراضيهم وتحرير قدسهم ، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة . ولم يعرف التاريخ شعبا إسترد حقه وأرضه بغير القوة . ولا سبيل للعرب فى تحقيق النصر الكاسح على إسرائيل إلا بتوحيد صفوفهم ، وجمع كلمتهم وتقوية جيوشهم وحشد كل طاقاتهم والإعتماد على قوتهم الذاتيه . ومما لا شك فيه أن الرأى العام العالمى دائما مع القوى ولا قيمة فى حق لا تسنده قوة . والعرب يملكون كل مقومات القوة ومفاتيح النصر ، وما عليهم إلا شحذا لهمم وتقويه العزائم وأن يحيوا سنة السلف الصالح فى الجهاد لتحرير ديار الإسلام ، ويسيروا على كتاب الله .

وسنة رسوله الكريم مؤمنين بقوله تعالى « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

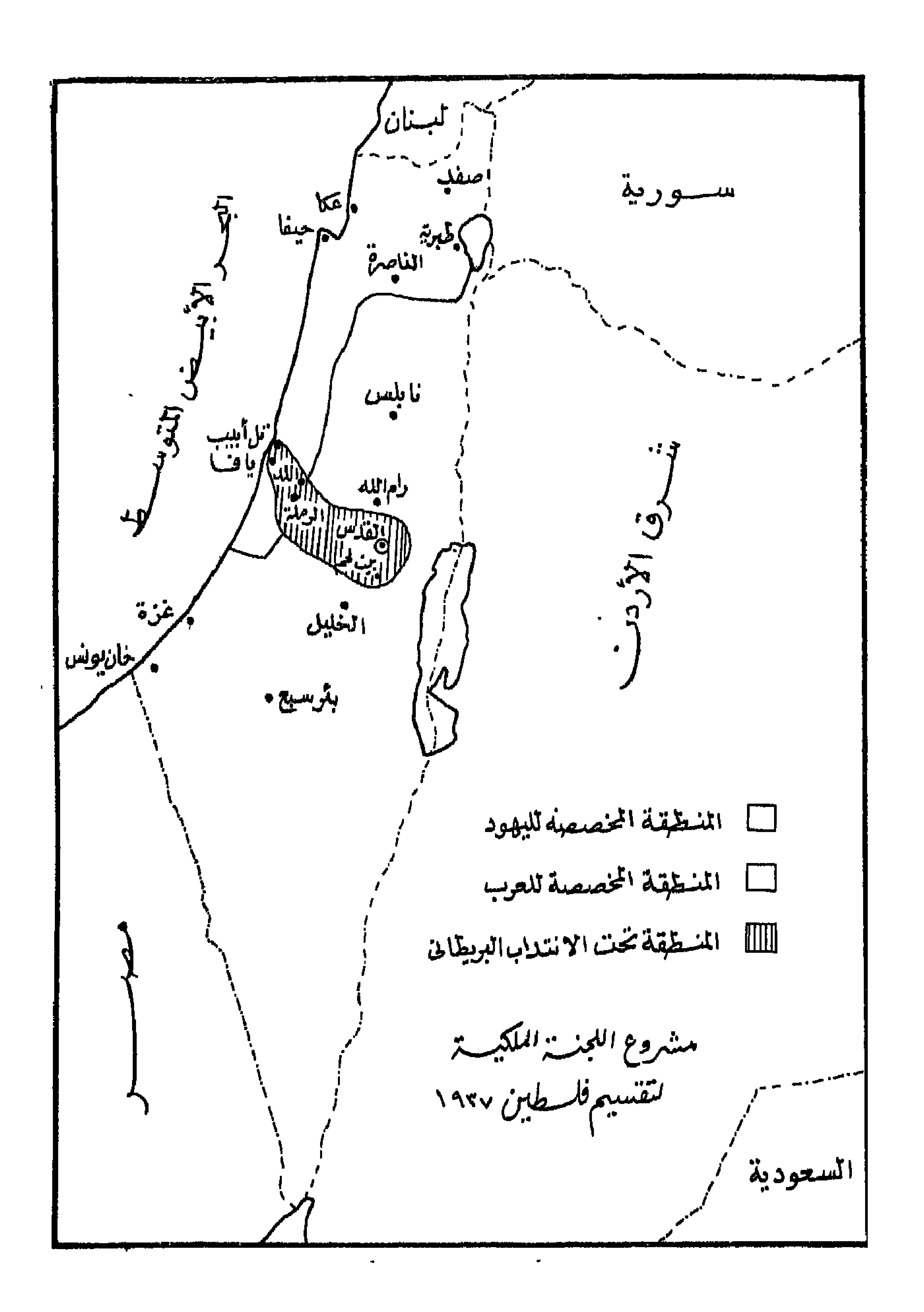
المَلاحِق

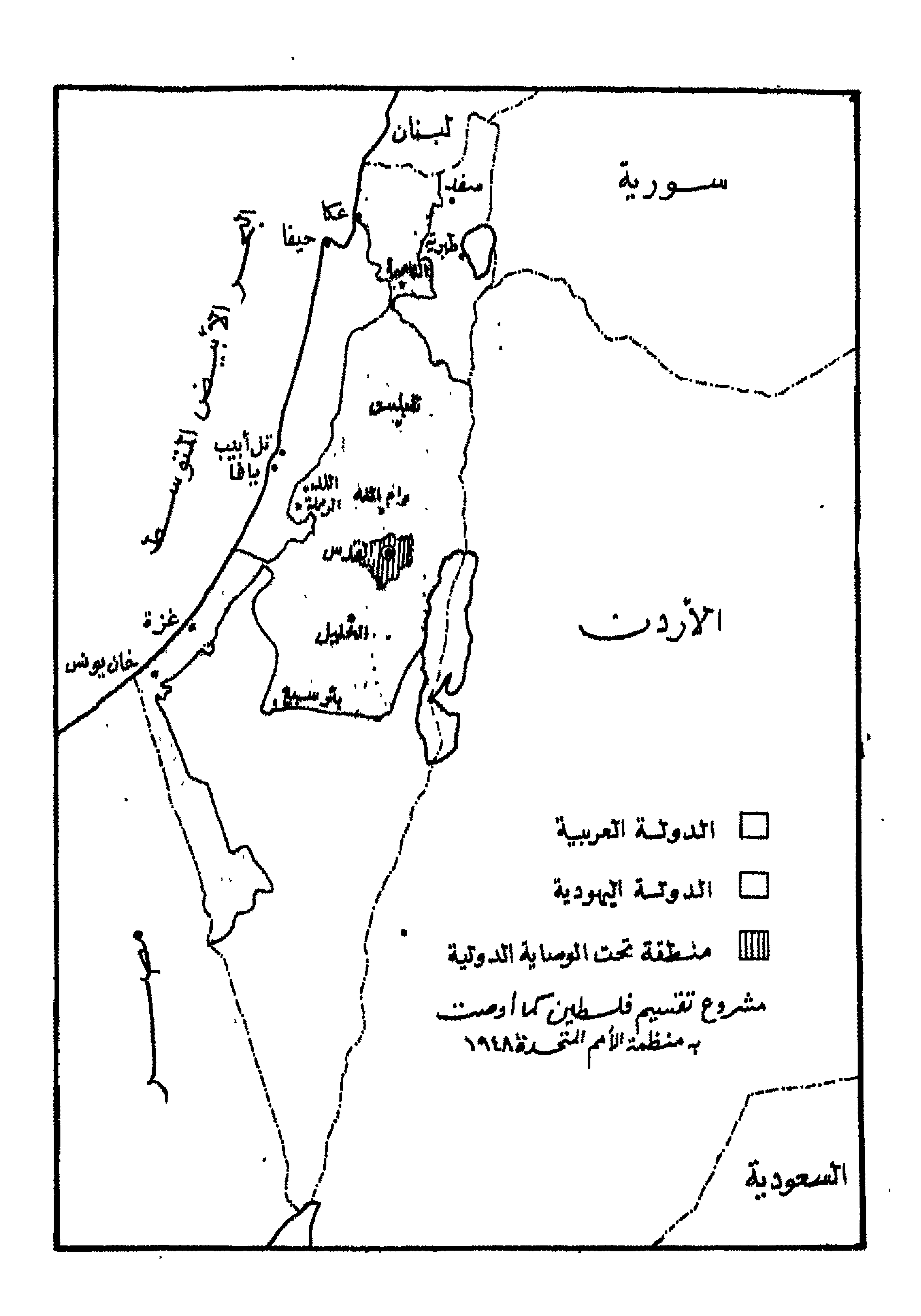
خرائط وأشكال توضيحيّة

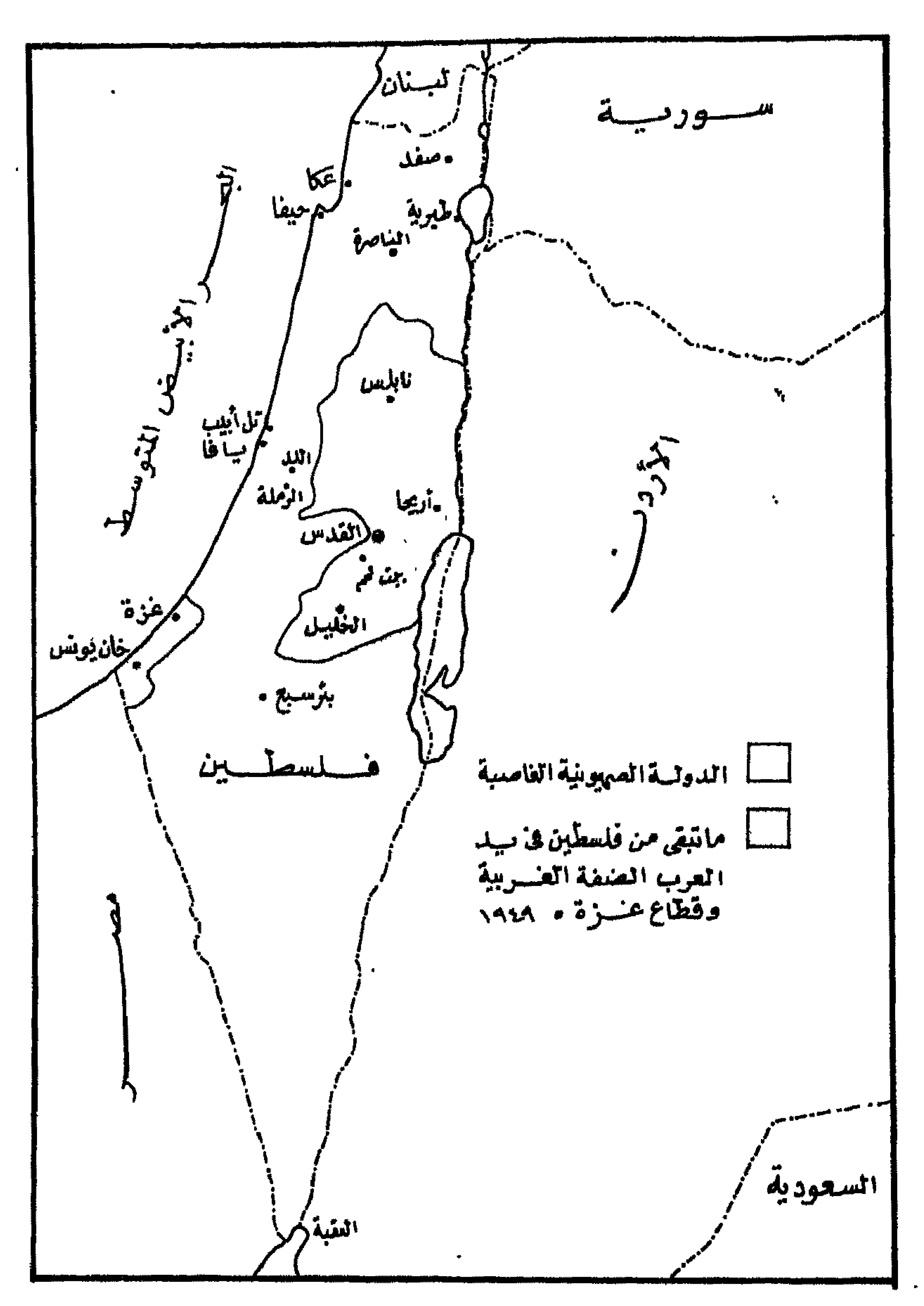


لبنان
الجمهورية العربية السورية
صفد
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
جنين
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
أريحا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
رفح
بئر سبع
النقب
نهر الأردن
البحر الأبيض المتوسط
المملكة الأردنية الهاشمية
جمهورية مصر العربية
المملكة العربية السعودية

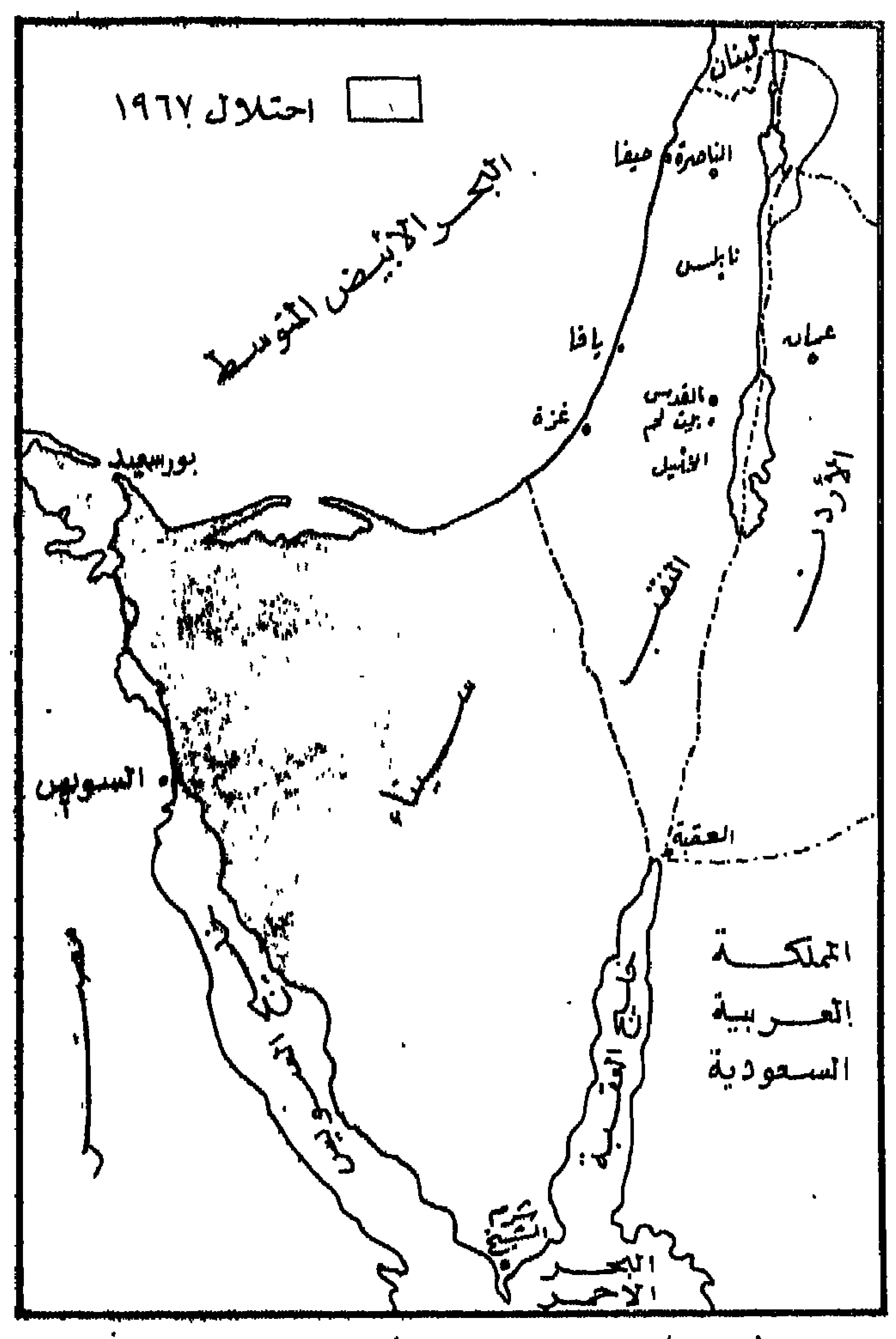
فلسطين


لبنان
سورية
صفد
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
البحر الأبيض المتوسط
نابلس
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
القدس
بيت لحم
شرق الأردن
غزة
خان يونس
الخليل
بئر سبع
المنطقة المخصصة لليهود
المنطقة المخصصة للعرب
المنطقة تحت الانتداب البريطانى
مصر
مشروع اللجنة الملكية
لتقسيم فلسطين ١٩٣٧
السعودية

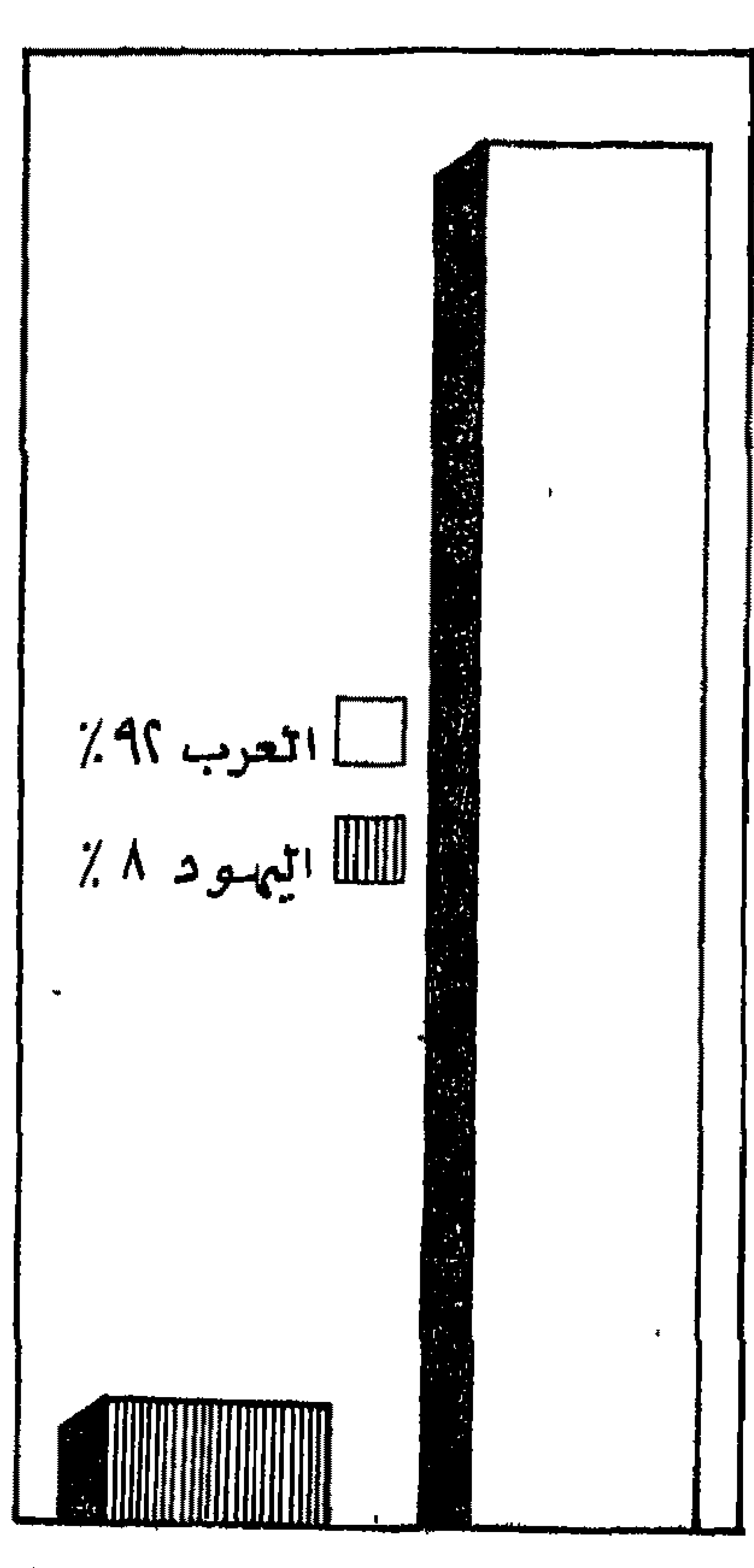

لبنان
سورية
صفد
عكا
حيفا
طبرية
البحر الأبيض المتوسط
نابلس
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
القدس
الخليل
غزة
خان يونس
الأردن
الدولة العربية
الدولة اليهودية
منطقة تحت الوصاية الدولية
مشروع تقسيم فلسطين كما أوصت
به منظمة الأمم المتحدة ١٩٤٨
السعودية



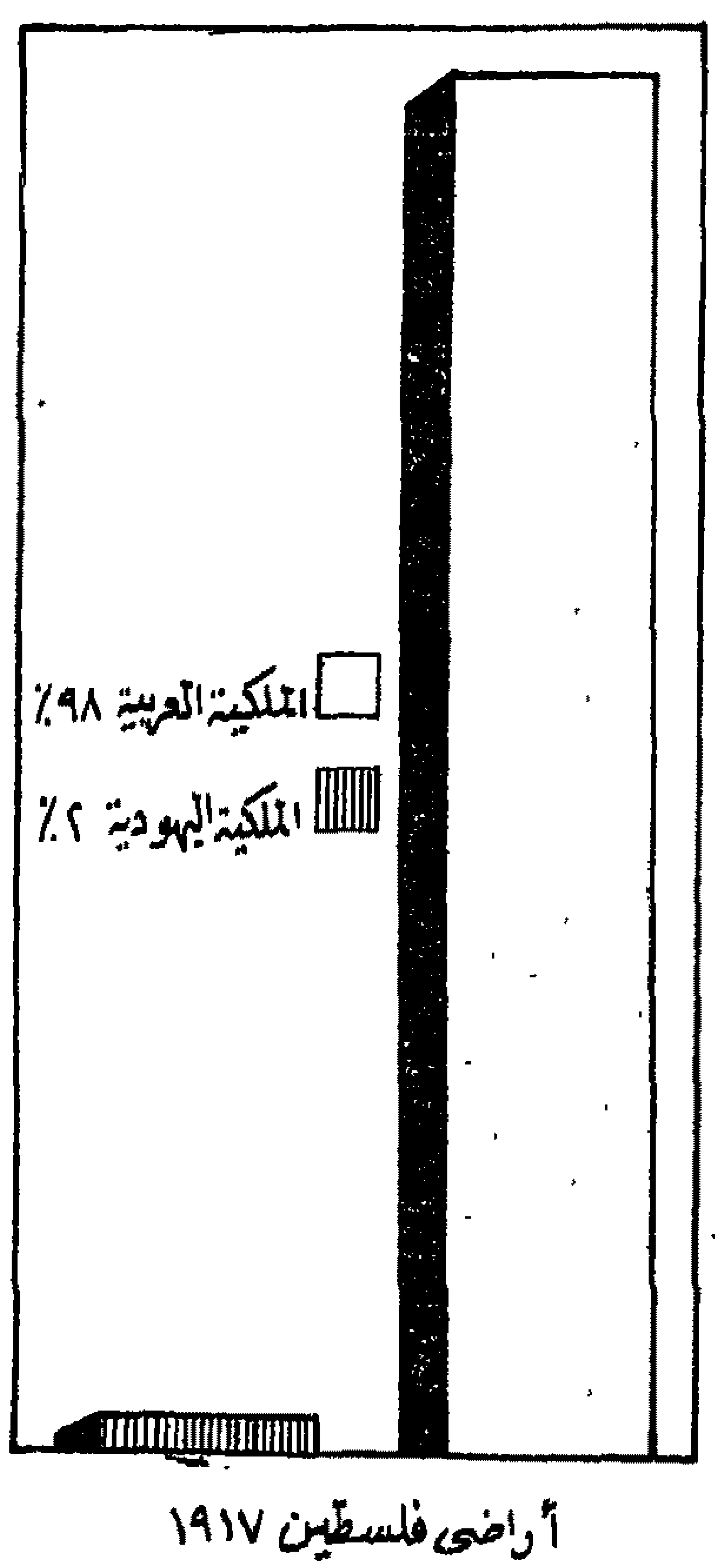
فلسطين المغتصبة ١٩٤٩



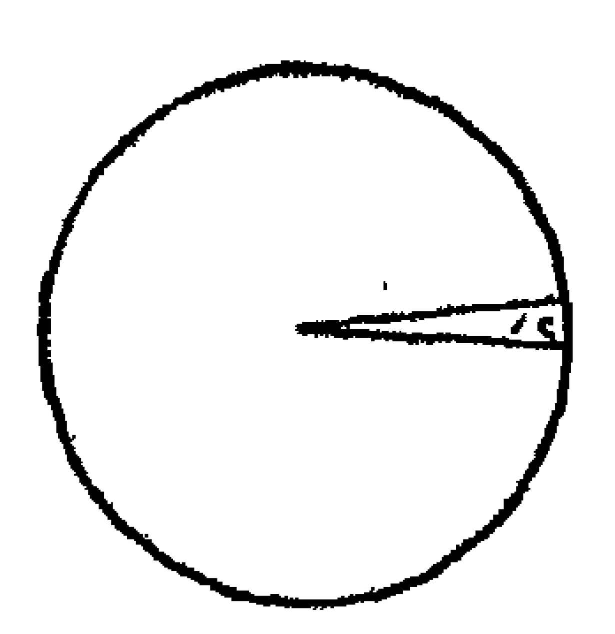
فلسطين بعد الاحتلال الاسرائيلى سنة ١٩٦٧



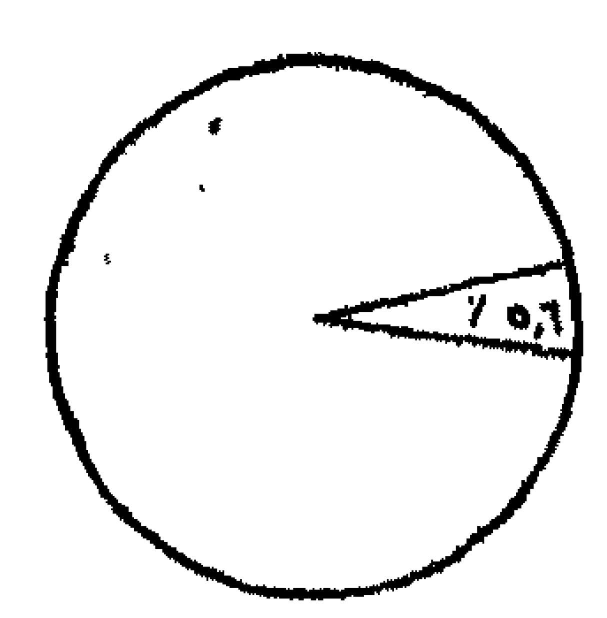
السكان في فلسطين ١٩١٧



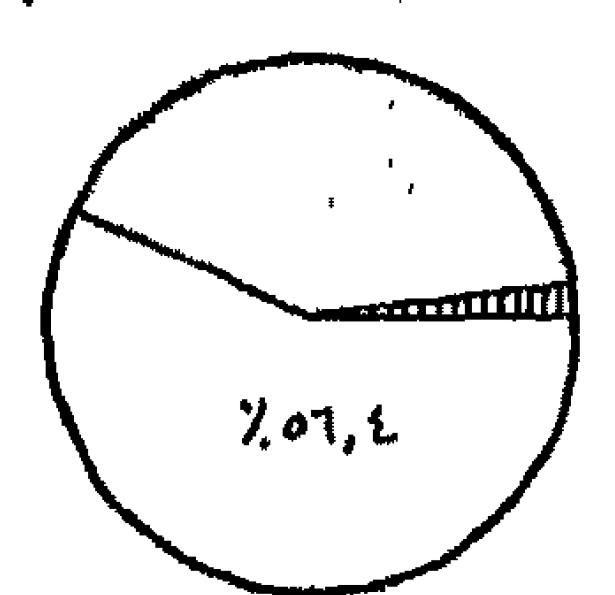
أراضي فلسطين ١٩١٧



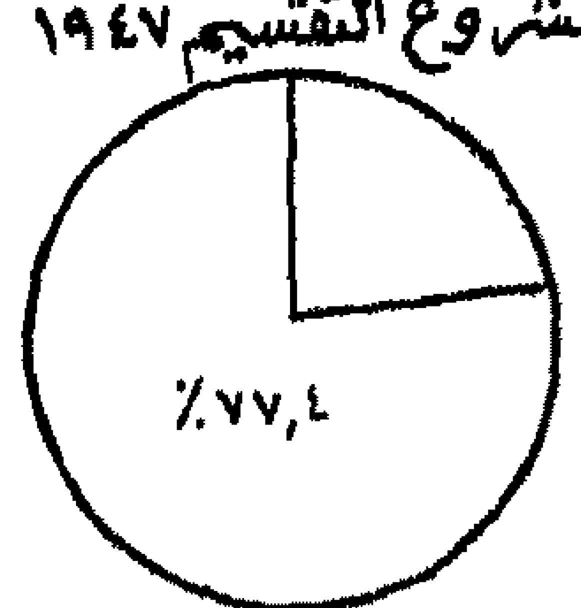
أراضى فلسطين وقت صدور وعد بلفور ١٩١٧



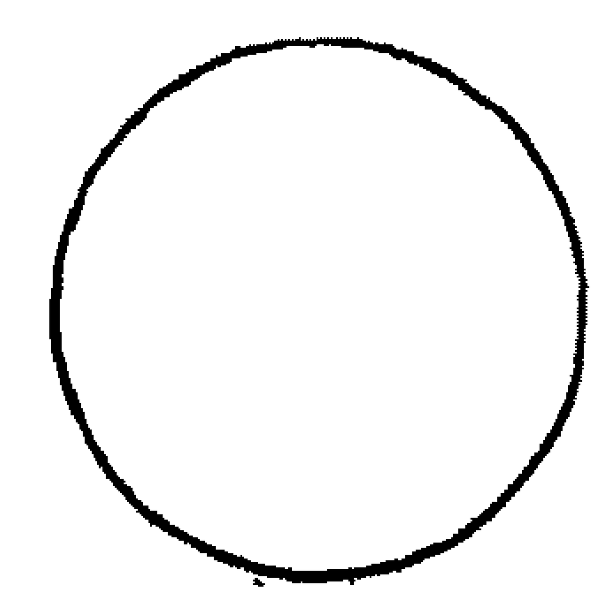
أراضى فلسطين عشية صدور توصية التقسيم ١٩٤٧



أراضى فلسطين كما وزعت بموجب
مشروع التقسيم ١٩٤٧



أراضى فلسطين بعد حرب ١٩٤٨



أراضى فلسطين بعد حرب ١٩٦٧

- أراضي بيد العرب
- أراضي استولى عليها الصهيونيون
- أراضي تحت الوصاية الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر العربية

أولا : الوثائق العربية والمصادر الأساسية

١ – القرآن الكريم

٢ – التوراة (العهد القديم والجديد)

٣ – الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين إصدار الجامعة العربية القاهرة ١٩٥٧

٤ – تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (لجنة بيل ١٩٣٧)

٥ – تقرير المندوب السامى البريطانى عن إدارة فلسطين ١٩٢٠ – ١٩٢٥ القدس ١٩٢٥

٦ – وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، إعداد مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨

ثانيا : بحوث ومقالات منشورة :

١ – امين محمود عبد الله « نشأة النزعة الإستيطانية فى الفكر اليهودى الغربى خلال القرن التاسع عشر» مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، يوليو ١٩٧٩

٢ – حسان حلاق « موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيونى الدولى » مجلة شئون فلسطينية العدد ٧٤ ، يناير ١٩٧٨

٣ – سامى هداوى : « فلسطين تحت الإنتداب البريطانى » ندوة فلسطين العالمية ، الكويت فبراير ١٩٧١

٤ – عادل غنيم : « موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية ١٩١٧ – ١٩٢٩ » مجلة الشرق الأوسط ، العدد الأول ، القاهرة يناير ١٩٧٤

٥ – عبد العزيز عوض « الحركة العربية فى متصرفية القدس » مجلة الشرق الأوسط العدد الأول ، القاهرة ١٩٧٤

٦ – غسان كنفانى : « الملتقى الفكرى العربى فى الخرطوم مارس ١٩٧٠ » مجلة المعرفة السورية ، العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٧٠

٧ – مجاهد على شراب «كفاح الشعب العربى الفلسطينى منذ الحرب العالمية الأولى » جريدة الوطن الكوتيه ١٩٧٦/٨/١٠

٨ – محمد على الفراء «تهويد فلسطين» المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول الرياض ١٩٧٩/١٣٩٩

٩ – مذكرات مفتى فلسطين ، مجلة فلسطين ، بيروت ١٩٦٩

ثالثا : المراجع العربية

١ – إبراهيم ابو لغد : تهويد فلسطين بيروت ١٩٧٣

٢ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ بيروت ١٩٧٤

٣ – أحمد سامح الخالدى : أهل العلم بين مصر وفلسطين (القدس ١٩٤٦).

٤ – الحكم دروزه : موجز القضية الفلسطينية بيروت ١٩٦٧

٥ – الحكم دروزه : ملف القضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى بيروت ١٩٧٣

٦ – اسحق موسى الحسينى : عروبة بيت المقدس

٧ – أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية بيروت ١٩٧٣

٨ – أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى بيروت ١٩٦٨

٩ – أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربى بيروت ١٩٧٣

١٠ – إسرائيل كوهين : هذه هى الصهيونية القاهرة ١٩٥٦

١١ – الياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة بيروت ١٩٦٩

١٢ – اميل توما : جذور القضية الفلسطينية بيروت ١٩٧٣

١٣ – إميل الغورى : المؤامرة الكبرى . إغتيال فلسطين ومحق العرب القاهرة ١٩٥٥

١٤ – أنيس صائغ واخرون : الفكرة الصهيونية بيروت ١٩٧٣ .

١٥ – حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيونى بيروت ١٩٧٨

١٦ – خيرى حماد : الوجود الإسرائيلى فى المخطط الإستعمارى بيروت ١٩٦١

١٧ – خيرى حماد : دور الأسر المالكة فى ضياع فلسطين.

١٨ – خيرية قاسمية : النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه بيروت ١٩٧٣ .

١٩ – رفيق شاكر النتشه : الإسلام وفلسطين الرياض ١٩٨٠

٢٠ – زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث بيروت ١٩٧٣

٢١ – سالم الكسوانى : المركز القانونى لمدينة القدس عمان ١٩٧٧

٢٢ – السيد احمد حامد الفقى : الصهيونية سافرة

٢٣ – السيد رجب حراز : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل القاهرة ١٩٧٤

٢٤ – صالح صائب الجبوري : محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية بيروت ١٩٧٠

٢٥ – صالح مسعوذ بويصير : جهاد شعب فلسطين بيروت ١٩٧٠

٢٦ – صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين

٢٧ – صبرى جريس : تاريخ الصهيونية بيروت ١٩٧٧

٢٨ – عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية القاهرة ١٩٧٠

٢٩ – عبد المنعم شميس : أسرار الصهيونية القاهرة ١٩٦٥

٣٠ – عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث بيروت ١٩٧٠
٣١ – عبد الله التل : كارثة فلسطين القاهرة ١٩٥٩
٣٢ – عز الدين فوده : قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية
٣٣ – عمر رشدى : الصهيونية وربيبتها إسرائيل القاهرة ١٩٦٥
٣٤ – على المحافظة : العلاقات الأردنية البريطانية عمان ١٩٧٥
٣٥ – عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصهيونية القدس ١٩٣٧
٣٦ – فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى فى فلسطين بيروت ١٩٧٣
٣٧ – فايز صايغ : عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية بيروت ١٩٧٣
٣٨ – فاضل حسين : تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية بغداد ١٩٦٧
٣٩ – كامل محمود خله : فلسطين والإنتداب البريطانى بيروت ١٩٧٤
٤٠ – لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث
٤١ – محمد اديب العامرى : عروبة فلسطين فى التاريخ بيروت ١٩٧٢
٤٢ – مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ق٢ حـ٩ بيروت دار الطليعة ١٩٧٦
٤٣ – محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك
٤٤ – مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل
٤٥ – محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الأسكندرية ١٩٧٦
٤٦ – محمد خليفه التونسى : بروتوكولات حكماء صهيون
٤٧ – محمد أمين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين القاهرة ١٩٥٤
٤٨ – محمد عزت دروزه : القضية الفلسطينية بيروت ١٩٥٥
٤٩ – محمد عرابى نخله : تطور المجتمع فى فلسطين القاهرة ١٩٧٨
٥٠ – محمد انيس والسيد رجب طراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٦٧
٥١ – ناجى علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية بيروت ١٩٧٤
٥٢ – نقولا الدار : هكذا ضاعت وهكذا تعود بيروت ١٩٦٣
٥٣ – هنرى كتن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل بيروت ١٩٧٠
٥٤ – وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين القاهرة ١٩٧١
٥٥ – يورى إيفانوف : إحذروا الصهيونية ترجمة أحمد داود بيروت ١٩٧٢

المصادر والمراجع الأجنبية

أولا : الوثائق الإنجليزية الغير منشورة

مجلد رقم Fo. 371

ملفات أرقام 14497, 13753, 14493, 17875, 17876.

ثانيا الوثائق الإنجليزية المنشورة

.Cmd 3686 / 1930 Palesline, Report on Immigration land settlement and Development By sir J-H. simpson

.Documents on British Foreign Policy.

-Esco Foundation for Palestine: Palestine; A study of Jewish Arab and British Policy.

-Govennment of Palestime: Survey of Palestine Jerusalem 1946

-Govennment of Palestime: Statistical Abstvact of Palistine Juruslalem 1946

ثالثا : محاضر جلسات مجلس العموم البريطانى

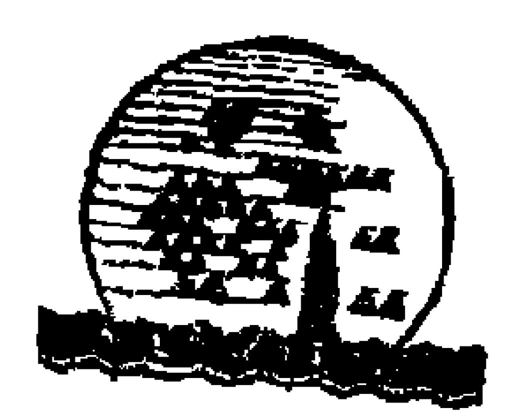
-Parli mentary Debates, House of Commons 1919, 1920 1921, 1922, 1925, 1946.

رابعا : المعاجم والموسوعات

-Encyclopedia of Zionism and Israel, New york 1971.

خامسا : المراجع الأجنبية

1. Benwitch, Norman: Palestine, London 19462.
2. Bulland, Reader: The Middle East. London 1958
3. Cohen, Ahron: Israel and the Arab world.
4. Cohen, Israel: A short thistory of Zionism.
5. Eliahu Ben Morin: The Middle East cnossroads of History:
6. Geonge, David Lloyd: war Memoirs, New york 1943.
7. Golding, Lewis: The Jewish Problem, london 1949.
8. Hadawi, Sami: Palestine, Cairo 1965.
9. Haddon, A.C.: The Races of the man combridge 1929
10. Herle, Theodor: The Jewish state Newyork 1972.
11. Herzle, Theodor: The Complet Diarus Newyork 1972.
12. Hurewitz, J.C. : The Struggle for Palestine
13. Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the near and Middle East London 1962.
14. Hutchison, E.N.: Violent Truce New York 1956.



15. Kirk , George: Ashort History of the middle East London 1956.
16. laqueur ,w.: the Israel Arab Reader
17. Lenzowski, Gesrge: The Middle East in the world Affaris London 1956.
18. Lilental, Alfred: what Price Israel? chicago
19. Mondel, Neville: Turks, Arabs and Jewish 1953. Immigration into Palestine London 1956.
20 Monroe, Elizabeth: Britaims Moment in the middle East London 1956.
21. Ripley william,z: The Raes of Europe London 1899.
22. Roth, Cicil: The Standard Jewish Ency clopedia Jerusalem 1926
23. Roth, Cecil: Ashort History of Jewish peoplc London 1965
24. Skolov'n: History of Zionism.
25. Stein Leonard: The Bel four Declaration.
26. Stevens Richard P.: American Zionism and U.S. Forergn Policy New York 1962.
27. Sykes christopher: Crossroads to Israel, London 1965
28. Tylor, Allan. Prelude to Israel London 1967
29. Weizmann, chaim: Trial and Error.

مطبعة نهضة مصر

